سبيل الرشاد

في

هدي خير العباد

تصنيف

العلامة الشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي
رحمه الله تعالى
(١٣١١ - ١٤٠٧ هـ)
(١٨٩٣ - ١٩٨٧ م)

قرأه وعلق عليه وقدم له وخرج أحاديثه

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الجزء السادس

الدار الأثرية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبل الرشاد

في

هدى خير العباد

٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الدار الأثرية
عمان - الأردن - تلفاكس : ٠٠٩٦٢ / ٦٥٦٥٨٠٤٥
خلوي : ٠٠٩٦٢/٧٩٥٩٤٣٤٥٦ - ص.ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠
الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

نفي التشبيه والتمثيل والتأويل والتعطيل عن صفات الله تعالى

اعلم أن المنتسبين إلى الإسلام على ثلاثة أقسام؛ قسم نفوا بعض صفات الله تعالى أو كلها، فالمتفلسفون نفوا الصفات كلها إلا الوجود، وزعموا أنهم بذلك نزهوا الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته. والجهمية ومن سلك طريقهم حكّموا عقولهم الفاسدة في صفات الله تعالى فأثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضها، وزعموا أن ما نفوا منها فيه تشبيه وتمثيل، كصفة العلو والاستواء التي تقدم بيانها، وصفة الكلام الذي هو عربي أو عبراني أو سرياني أو غير ذلك بحروف وأصوات، وتقديم وتأخير.

وقد تقدم الكلام فيه مستوفى، ورؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم يوم القيامة يتجلى لهم ضاحكاً ويتنعمون برؤيته ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد تقدم ذلك بغاية التحقيق، وينفون كذلك نزول الله إلى السماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء، ومحبته لعباده المؤمنين ورضاه عنهم وبغضه للكافرين وغضبه عليهم وفرحه بتوبة عبده المؤمن وعجبه وضحكه.. إلى غير ذلك مما يزعمون أن فيه تشبيهاً، وسبب ضلالهم أنهم لم يفهموا من الفوقية والنزول والقرب والمحبة والبغض والرضى والسخط والفرح والضحك إلا ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولو أنهم اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وأهل القرون المفضلة لعلموا أن ذات الله لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، وهم يعترفون أن لله علماً وقدرة وإرادة، وللمخلوقين علم وقدرة وإرادة، ولكن شتان ما بين علم الله وعلم المخلوق، وشتان ما بين قدرة الله وقدرة المخلوق، وشتان ما بين إرادة الله وإرادة المخلوق، وشتان ما بين حياة الله وحياة المخلوق.

فكذلك نقول: لله كلام وعلو ونزول ومجيء ورضى ومحبة وسخط وغضب لا تشبه صفات المخلوقين، فهؤلاء متناقضون فيما يثبتون وفيما ينفون، أو يحرفون فيقولون: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استولى، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: جاء أمره، ويؤولون الرضى والمحبة والضحك والفرح بالثواب والكراهية والبغض والغضب والسخط بالعقاب وهم محجوجون؛ لأنه يرد عليهم فيما أثبتوه ما أوردوه على غيرهم فيما نفوه، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه.

إرادة الله ومشيئته

١ ـ قال تعالى في سورة الدهر: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣٠، ٣١].

٢ ـ وقال تعالى في سورة التكوير: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

٣ ـ وقال تعالى في آخر سورة يس: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

٤ ـ وقال تعالى في آخر سورة يونس: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

٥ ـ وقال تعالى في سورة البروج: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٢ ـ ١٦].

٦ ـ وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٧ ـ وقال تعالى في سورة الكهف الآية [٣٥]: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا

وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٣٥ ـ ٤٣].

قال (ك) في تفسير الآية الأولى: «وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعاً ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية، فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ثم قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ أي: يهدي من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له».اهـ[(١)].

وقال (ك) في تفسير الآية الثانية:

«أي ليست المشيئة موكولةً إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين»[(٢)].

قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى[(٣)]: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾»[(٤)].

وقال (ك) في تفسير الآية الثالثة: «أي: إنما يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد[(٥)]:

إِذَا مَـا أَرَادَ اللهُ أَمْـراً فَـإِنَّـمَـا ... يَـقُـولُ لَـهُ كُـنْ قَـولَـة فَـيَـكُـونُ

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢١٧ ـ ٢١٨): «وَيُضل مَن يشاء».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لمشيئة الله ﷻ رَبِّ العالمين» (١٤/ ٢٧٢).

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فأنزل تعالى» (١٤/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٩٨) من طريق سعيد بن عبد العزيز به، وهو معضل.

(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧): «بدون ـ وتأكيد».

وقال الإمام (حم)[(١)]: بسنده عن أبي ذر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول: يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جواد ماجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له: كن، فيكون**».

وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه يرجع العباد يوم المعاد، فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وكقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجسام والملكوت هو عالم الأرواح، والصحيح الأول[(٢)]، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

قال (حم): بسنده عن حذيفة قال: قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ السبع الطوال[(٣)] في سبع ركعات، وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**سمع الله لمن حمده**» ثم قال: «**الحمد لله ذي الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**»، وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي[(٤)]». اهـ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٤) **بسند ضعيف**، فيه ليث بن أبي سُليم وشهر بن حوشب ضعيفان، وليث توبع.
وأخرجه أبو عوانة في البر والصلة ـ كما في «إتحاف المهرة» (١٤/ ١٦٤) ـ، وهناد في «الزهد» (٩٠٥)، والترمذي (٢٤٩٥)، والبزار في «مسنده» (٤٠٥١)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٣٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٨١١) من طرق عن شهر بن حوشب عن أبي ذر، ولأول الحديث شواهد هو بها **صحيح**.

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والأول هو الصحيح».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الطُوَل».

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٨) **وإسناده ضعيف** لجهالة ابن عم حُذيفة، وقد عُرِّف في طريق أخرى أخرجها الإمام أحمد (٥/ ٣٨٢) **بسند صحيح**، وهي من طريق صلة بن زُفر عن حُذيفة.

=

وقال (ﷺ) في تفسير الآية الرابعة:

«فيه بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، روى[(١)] ابن عساكر وذكر سنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم**»[(٢)(٣)]. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: لمن تاب إليه وتوكل عليه، ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به فإنه يتوب عليه»[(٤)].

وقال (ﷺ) في تفسير الآية الخامسة:

«أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم القوى[(٥)]، فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي: من

= وأخرجه من طريق صلة بألفاظ مطولاً ومختصراً: مسلم (١/ ٢٤٨)، وأبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢، ٢٦٣)، والنسائي (٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧، ١٧٧، ٢٢٤)، وابن ماجه (٢٦٠٤، ٢٦٠٥)، وغيرهم.
وله طرق عن حذيفة، ولا داعي للإطالة في ذكرها.

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الحافظ ابن عساكر».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٣٢٨ ـ مخطوط، **وإسناده ضعيف** وفيه انقطاع.
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٣٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١١٢١) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**اطلبوا الخير**...»، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٧٢٠) وفي كتاب الدعاء (٢٦)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٦٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٧٠١)، والبيهقي في «الشعب» (١١٢٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٣٩) وعلقه ابن عساكر، كلهم من طريق عمرو بن الربيع بن طارق عن يحيى بن أيوب به، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٥٠) من طريق سعيد بن أبي مريم أخبرني يحيى بن أيوب به، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٣٤) وقال: «رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى... وهو ثقة»، وثقه ابن حبان في «الثقات» (٧/ ١٣٤).

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله».

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) بتصرف.

(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قوي».

قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق[١] ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، والودود قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ أي: صاحب العرش العظيم[٢] العالي على جميع الخلائق، و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾ فيه قراءتان الرفع على أنه صفة للرب ﷻ، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ أي: مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله: كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له: وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال لي: (إني فعال لما أريد)»[٣]. اهـ.

وقال (ك) في تفسير الآية السادسة:

«في البخاري ومسلم[٤] بسندهما عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾».

وروى الإمام (حم)[٥]، والأربعة إلا الترمذي:

عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، كأن[٦] على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى**

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثم».
(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المعظم».
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» كتاب «التفسير»، باب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ (٤٦٩٩)، ومسلم كتاب «الجنة وصفةُ نعيمها وأهلها»، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٧٣) (٢٨٧١).
(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧) **بإسناد صحيح** وسيأتي تخريجه قريباً مطولاً.
(٦) في المطبوع: «وكأن».

يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت[1] حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض[2]، فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذه[3] الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.

فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر[4]، و[5]يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير[6]، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، فيجلس[7] عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب.

---

(1) في المطبوع زيادة «عليه السلام».
(2) في المطبوع «قال».
(3) في المطبوع «هذا».
(4) في المطبوع «بصره».
(5) في المطبوع «قال».
(6) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يجيءُ بالخير».
(7) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حتى يجلس».

قال: فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، فيخرج(١) منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه(٢) الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان(٣) يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

«فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم. فيقول: هاه هاه لا أدري.

فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف(٤) أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»(٥).اهـ.

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وتخرجُ منها».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ما هذا الروح الخبيثة».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كانوا يُسمونه».

(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فيه أضلاعه».

(٥) أخرجه أبو داود (٣٢١٢) و(٤٧٥٣)، وأخرجه مختصراً النسائي في «المجتبى» (٤/ ٧٨)، وابن ماجه (١٥٤٩)، وهو عند الترمذي (٣١٢٠) مختصراً جداً، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣١٠، ٣٧٤، ٣٨٠ ـ ٣٨٢ و١٠/ ١٩٤)، وهناد (٣٣٩)، والطيالسي (٧٥٣)، وأبو عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٢٩)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (٧١٨ ـ ٧٢٣)، و«التفسير» (٢٠٧٨٧)، وأبو عوانة ـ كما في «إتحاف المهرة» (٢/ ٤٥٩) ـ وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١١٩)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٩٤) ـ، والحاكم (١/ ٣٧ ـ =

وقال الإمام (حم) بسنده إلى جابر بن عبد الله عن فتاني القبر: إن[١] النبي ﷺ قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول**[٢]**: إنه رسول الله ﷺ، وعبده فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما.**

فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي فيقال له: اسكن.

وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أصحابه[٣] **فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس، فيقال له: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في**[٤] **الجنة**[٥] **أبدلت مكانه مقعدك من النار**»، قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه**[٦] **المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه**»[٧]. إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»[٨]. اهـ.

قال القاسمي في «تفسيره»:

«﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثَبَّت المؤمنين عليه حسب إرادتهم واختيارهم، ووصفهم بالظلم لوضعهم الشيء في غير

= ٣٨)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٠ ـ ٢١، ٤٤)، وفي «الشعب» (٣٩٥) وغيرهم من طرق عن الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء به، **وإسناده صحيح**، وصححه جماعة، منهم البيهقي في «الشعب» قال عنه: «هذا حديث صحيح الإسناد».

وقال ابن منده: «هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدّة عن الأعمش» في جماعة آخرين صححوه، وبيّنتُ ذلك في تعليقي على «بشرى الكئيب» رقم (٣٤)، و«التذكرة» للقرطبي، يسر الله إتمامه ونشره بخير وعافية.

انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٩ ـ ٢٠١).

(١) في المطبوع: «فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ».

(٢) في المطبوع: «فيقول المؤمن: أقولُ».

(٣) في المطبوع: «أهله».

(٤) في المطبوع: «من».

(٥) في المطبوع: «قد».

(٦) سقطت «عليه» من المطبوع.

(٧) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٦)، وعبد الرزاق (٦٧٤٤، ٦٧٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٢). والحديث صحيح.

(٨) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

موضعه، أو لظلمهم أنفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: من التثبيت والإضلال حسبما تقتضيه حكمته البالغة»[1]. اهـ.

وقال (ك) في تفسير الآية السابعة:

«وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، وذلك اغتراراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى[2] ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: كائنة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ[3] عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: في الدار الآخرة تألى على الله ﷻ.

وكان سبب نزولها في العاص بن وائل، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان».

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿طَلَبًا﴾.

قال (ك): «يقول تعالى: مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ الآية، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين، وهو آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ الآية، أي: كيف تجحدون ربكم ودلالته[4] عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم إنه كان معدوماً، ثم وجد وليس وجوده من

---

(١) انظر: «تفسير القاسمي» (١٠/ ٢٩).

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة بعدها: «ولا تفرغ».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لأني مُحْظىً عند ربي».

(٤) قال محمد تقي الدين: قوله: «ودلالته عليكم»، فيه نظر والصواب أن يقال: ودلالته لكم، والله أعلم. (منه).

نفسه ولا مستنداً لشيء[١] من المخلوقات؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء، ولهذا قال المؤمن[٢]: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ هذا[٣] تحضيض وحث على ذلك ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ أي: هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت[٤] الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه[٥] غيرك، وقلت: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية[٦].

وقد ثبت في «الصحيحين»[٧] عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: **«ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»**.

وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي: على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

قال ابن عباس والضحاك[٨] ومالك عن الزهري: عذاباً من السماء.

والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زروعها[٩] وأشجارها ولهذا قال:

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى شيءٍ».
(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «المؤمن».
(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهٰذا».
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فحَمِدَ اللهَ».
(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لم يُعط». (٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الكريمة».
(٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقد ثبت في الصحيح».
والحديث: أخرجه البخاريُّ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥) وكتاب الجهاد، باب ما يُكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢) وفي الدعوات، باب الدعاء إذا علا (٦٤٠٩) وكتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٦١٠) وكتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٧٣٨٦).
وأخرجه الإمام مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤).
(٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «وقتادة». (٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «زرعها».

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي: بلقعاً تراباً أملس لا يثبت فيه قدم.

وقال ابن عباس: كالجُرُز الذي لا ينبت شيئاً.

وقوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ أي: غائراً في الأرض وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي: جار وسائح، وقال ههنا: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ والغور مصدر بمعنى: غائر، وهو أبلغ منه، كما قال الشاعر[١]:

تظل جياده نوحاً عليه مقلدة أعنتها صفونا

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿عُقْبًا﴾».

قال (ك): «يقول تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بأمواله أو بثماره على القول الآخر، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله ﷻ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ قال[٢] قتادة: يصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأمور التي أذهبها عليها ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ أي: عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾.

اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدئ بقوله: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، ومنهم[٣] من يقف على ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، ثم اختلفوا في قراءة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ فمنهم من فتح الواو[٤]

---

(١) قاله عمرو بن كلثوم ذكر ذلك القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٤ ـ ١٢/ ٥٩، ١٥/ ١٧٠)، والشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٦٤٩) و(٤/ ٦١٢)، وقد ذكره الطبريُّ في تفسيره (٨/ ٢٢٦) بدون نسبة، وجاء منسوباً لعمرو بن كلثوم في «تاج العروس» للزبيدي تحت مادة «عكف» مع تغيير في صَدر البيت.

وقد جاء في طبعة أولاد الشيخ «صفوفاً»، وهو تحريف، والصحيح المُثبت.

(٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وقال»!

(٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ومنه»! وانظر: «البحر المحيط» (٦/ ١٣١).

(٤) هذه قراءة ابن كثير وابن عامر ونافع وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ورواية حفص. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ١٣٠)، «حجة القراءات» (٤١٨)، «الكشف» (٢/ ٦٢)، «إعراب القراءات السبع وعللها» (١/ ٣٩٦)، «الدر المصون» (٤/ ٤٦٠).

من[(١)] ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ فيكون المعنى هنالك الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد[(٢)] مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [غافر: ٨٤]، وكقوله إخباراً عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠، ٩١].

ومنهم من كسر الواو من الولاية[(٣)] أي: هنالك الحكم لله[(٤)]، ثم منهم من رفع «الحق» على أنه نَعتٌ للولاية، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦].

ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله ﷻ كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ الآية [الأنعام: ٦٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: جزاء ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: الأعمال التي تكون لله ﷻ ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير»[(٥)]. اهـ.

وقال صاحب «الكواشف» ص٩١:

«وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون قوله: «من الولاية».
(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من مؤمن».
(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان وطلحة وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني، واختارها ابن جرير، وهي بمعنى: السلطان والملك. وأنكر هذا أبو عمرو والأصمعي. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٣٠٩)، «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩)، «روح المعاني» (١٥/ ٢٨٤)، و«معجم القراءات» لعبد اللطيف الخطيب (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لله الحق».
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ١٣٧ ـ ١٤١).

في هذه الآيات وما ماثلها إثبات لمشيئة الله التامة وإرادته الكونية القدرية والدينية الشرعية، وقد أجمع العلماء من المسلمين وسلف الأمة وأئمتها وأهل السنة قاطبة على إثبات مشيئة الله وإرادته[١].

---

(١) لكن هنالك فروق بين الإرادة الكونية القدرية والدينية الشرعية، يمكن إجمالها فيما يأتي:
أولاً: الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، أما الشرعية فلا بد أن يحبها ويرضاها؛ فالكونية مرادفة للمشيئة، والشرعية مرادفة للمحبة.
ثانياً: الإرادة الكونية مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً، وسائر الشرور؛ لتحصل بسببها محابّ كثير، كالتوبة، والمجاهدة، والاستغفار.
أما الشرعية فمقصودة لذاتها؛ فالله أراد الطاعة وأحبها، وشرعها، ورضيها لذاتها.
ثالثاً: الإرادة الكونية لا بد من وقوعها؛ فالله إذا أراد شيئاً وقع ولا بد، كإحياء أحدٍ أو إماتته، أو غير ذلك، أما الشرعية كالإسلام ـ مثلاً ـ، فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.
رابعاً: الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.
خامساً: الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدّى الصلاة ـ مثلاً ـ جمع بينهما؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها ورضيها، وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، وكونها وقعت دلّ على أن الله أرادها كوناً فهي كونية من هذا الوجه، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع. وتنفرد الكونية في مثل: كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدلّ على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيءٌ إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة، ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية، وتنفرد الشرعية في مثل: إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع ـ مع أمر الله بها ومحبته لها ورضاه ـ هذا دليل على أنها ـ أيضاً ـ شرعية فقط؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع.
سادساً: الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه؛ من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل: إيمان الكافر، وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به. هذه فوارق بين الإرادتين، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شُبهات كثيرة، زلّت بها أقدام، وضلّت بها أفهام؛ فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور. انظر: «منهاج السنة النبوية» (٣/ ١٨٠ ـ ١٨٣، ٥/ ٣٦٠ و٤١٣ و٤١٤، ٧/ ٧٢، ٧٣)، وانظر: «شفاء العليل» (ص٥٥٧)، و«تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» للشيخ سليمان بن سحمان (ص٦١ ـ ٦٢)، و«تعليق الشيخ ابن باز على الواسطية» (ص٤١)، و«شرح الواسطية» للهراس (ص١٠٠)، و«شرح الواسطية» للشيخ صالح الفوزان (ص٤٢ ـ ٤٣)، و«القضاء والقدر» للأشقر =

الآية الأولى:

أي: وهلا إذ أعجبتك جنتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد، وقلت: الأمر ما شاء الله والكائن ما قدره الله، ليكون ذلك منك اعترافاً بالعجز وبأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء الله أبقاها وإن شاء أفناها، وأن ما تيسر لك[١] من عمارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوتك[٢] وقدرتك. اهـ.

الآية الثانية:

فيها أولاً إخبار عما وقع بين أتباع الرسول ومن[٣] بعدهم من التنازع والتعادي وأن ذلك إنما يكون بمشيئة الله ﷻ، ولو شاء الله عدم الاقتتال لم يقتتلوا إذ لا يجري في ملكه إلا ما شاء سبحانه.

الآية الثالثة:

وهي قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ الإرادة المذكورة فيها دينية شرعية، أي أبيحت لكم بهيمة الأنعام أي: الإبل والبقر والغنم، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إلا ما يتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال، وقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، قال بعضهم: هذا منصوب على الحال والمراد بالأنعام ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم، وما يعم الوحشي كالظباء[٤] والبقر والحمر الوحشية، فاستثنى من الإنسي[٥] ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد حال الإحرام.

وقيل المراد: أحللنا الأنعام إلا ما استثني منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام لقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ الآية [البقرة: ١٧٣].

= (ص١٠٦)، و«التعليقات على لمعة الاعتقاد» للشيخ عبد الله بن جبرين (ص٦٠ ـ ٦١)، و«الإيمان بالقضاء والقدر» (٩٨ ـ ٩٩).

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «له».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا بقوته وقدرته».

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «من بعد».

(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «كالضباء».

(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الوحشي»، والصحيح المُثبت.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: يحكم ما يريد من التحليل والتحريم لا اعتراض عليه في الحكم فله الحكم سبحانه، وهو الحكيم لا حاكم غيره، فكل حكم سوى حكمه فهو باطل مردود، وكل حاكم بغير حكمه وحكم رسوله، فهو طاغوت كافر بالله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذا عام شامل فما من قضية إلا والله فيها حكم، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال ﷺ: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١).

وقال فيما صح عنه: «**ما بعث الله(٢) من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**»(٣).

وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»(٤).

ولا شك أن من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله واعتاض عنها بالقوانين الوضعية(٥) أنه كافر كفراً ناقلاً عن الملة الإسلامية، (وكذا من استهزأ بالقرآن، أو طلب تناقضه، أو ادعى أنه مختلف، أو مختلق مقدور على مثله، أو إسقاط لحرمته، أو استخف به، أو جحد شيئاً منه، أو كذب به أو بشيء منه، أو أثبت شيئاً نفاه القرآن، أو نفى ما أثبته القرآن، فقد كفر قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) **بإسناد حسن**، وهو قطعة من حديث العرباض بن سارية، وهو **صحيح** بطرقه وشواهده، وتقدم تخريجه مفصلاً في التعليق على (٣/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

(٢) في مطبوع «الكواشف»: «ما بُعِث من نبي».

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) أخرجه الطيالسي (٤٧٩)، وأحمد (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤ و١٦٢)، والبزار (١٤٧)، والطبراني (١٦٤٧)، وانظر: «العلل» للدارقطني (٦/ ٢٩٠) وتعليقي على «الإعلام» (٥/ ١٣٨).

(٥) مستحلاً ذلك صراحة، أو بالقرائن الظاهرة المعتبرة شرعاً.

وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وقال علي: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله)[١]، وكذا[٢] من زعم أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، أو زعم أن هدى غير محمد أفضل من هديه ﷺ أو أحسن، أو زعم أنه لا يسع الناس في مثل هذه العصور إلا الخروج عن الشريعة، وأنها كافية[٣] في الزمان الأول فقط، وأما في هذه الأزمنة فالشريعة لا تساير الزمن ولا بد من تنظيم قوانين بما يناسب الزمن، فلا شك أن هذا الاعتقاد إذا صدر من إنسان فإنه قد استهان بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتنقصها، ولا شك في كفره وخروجه من[٤] الدين الإسلامي بالكلية.

وكذلك من زعم أنه محتاج للشريعة في علم الظاهر[٥] دون علم الباطن[٦]، أو في علم الباطن فقط أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة أو أن الإنسان حر[٧] التدين وفي أي دين شاء من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك، أو أن هذه الشرائع غير منسوخة بدين محمد، أو استهان بدين الإسلام، أو تنقصه أو هزل به أو بشيء من شرائعه أو بمن جاء به وكذلك ألحق بعض العلماء الاستهانة بحملته لأجل حمله فهذه الأمور كلها كفر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وقال ابن القيم:

والله ما خوفي الذنوب فإنها ... لعلى سبيل[٨] العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب من ... تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضًى بآراء الرجال وخرصها ... لا كان ذاك بمنَّةِ المنان

(١) ما بين الهلالين غير موجود في «الكواشف الجلية».
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وكذلك».
(٣) في مطبوع «الكواشف»: «وأنها كانت كافية».
(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن».
(٥) في مطبوع «الكواشف»: «في الظاهر دون علم».
(٦) في مطبوع «الكواشف»: «الباطل»، والمثبت هو الصحيح.
(٧) في مطبوع «الكواشف»: «حر في التدين».
(٨) في مطبوع «نونية ابن القيم»: «طريق».

فبأي[١] وجه آت ربي غدا[٢] إذا   أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزلته عما أريد لأجله   عزلاً حقيقياً بلا كتمان[٣]

الآية الرابعة:

«يقول تعالى: فمن كان أهلاً بإرادة الله وتقديره لقبول دعوة الإسلام ـ الذي هو دين الفطرة والهادي إلى طريق الرشاد وجد لذلك في نفسه انشراحاً واتساعاً بما يشعر به قلبه من السرور، فلا يجد مانعاً من النظر الصحيح فيما ألقي إليه فيتأمله، وتظهر له عجائبه، وتتضح له دلائله فتوجه[٤] إليه إرادته، ويدعو له قلبه، بما يرى من ساطع النور الذي يستضيء به لبه وباهر البرهان الذي يتملك نفسه.

ولما سئل ﷺ عن هذه الآية قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟

قال: «**نور يقذف فيه فينشرح[٥] له وينفسح**» قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت**»[٦].

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ...﴾» إلخ. أي: من فسدت فطرته بالشرك

---

(١) في مطبوع «نونية ابن القيم»: «فبأيّ وجه ألتقي إلي أنا...».

(٢) قال محمد تقي الدين: هذا البيت مختل الوزن ومعناه واضح (منه).

(٣) انظر: «نونية ابن القيم» (٣٣٣، ط. دار ابن الجوزي).

(٤) في مطبوع «الكواشف»: «فتتوجه».

(٥) في مطبوع «الكواشف»: «فيشرح له وينفسخ».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢١)، وعبد الرزاق (١/ ٢١٧) في «مصنيفهما»، وابن أبي حاتم (٤/رقم ٧٨٧٣)، وابن جرير (٩/ ٥٤١ ـ ٥٤٢)، وسعيد بن منصور (٩١٨) جميعهم في «التفسير»، ووكيع (١٥)، وابن المبارك في (٣١٥) كلاهما في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٨٥ ـ السلفية)، وأبو الشيخ في «تاريخ أصبهان» (٨٧)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ٣٠٥ و٢/ ١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٥، ٣٢٦)، والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٤) ـ عن أبي جعفر عبد الله بن المسور به، وعبد الله بن مسور متروك، **فإسناد ضعيف جداً** ووهم بعضهم فحرفه إلى عبد الله بن مسعود، وانظر لزاماً: «العلل» للدارقطني (٥/ ١٨٨ ـ ١٩٠)، و«شرح علل الترمذي» (٢/ ٧٧٢ ـ ٧٧٤)، و«العلل المتناهية» (٢/ ٨٠٣) رقم (١٣٤٢)، و«ذكر الموت» لابن أبي الدنيا رقم (١١٦، ١٤٢م)، وورد من مرسل الحسن عند ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» (رقم ١٤٣ ـ بتحقيقي).

وتدنست نفسه بالآثام والذنوب؛ يجد في صدره ضيقاً أيما ضيق، إذا طلب إليه التأمل فيما يدعى له من دلائل التوحيد، والنظر في الآفاق والأنفس، لما استحوذ على قلبه من باطل التقاليد، والاستكبار عن مخالفة ما ألفه وسار عليه الأكثر من الناس، وتضعف إرادته عن ترك ما هو عليه فتكون إجابته للداعي إلى دين الإسلام والتمسك به ثقيلة ويشعر بالعجز عن احتمالها، ويكون مثل من صعد في الطبقات العليا في جو السماء إذ يشعر بضيق شديد في النفس، وكلما صعد في الجو أكثر شعر بتخلخل(١) الهواء ولم يستطع البقاء، فإن هو قد بقي فيها مات.

وقيل: كأنه من ضيقه وشدته يصعد في السماء، أي يتكلف الصعود إلى السماء الذي لا حيلة فيه.

والخلاصة:

إن هذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه بقوله، فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه؛ مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه وطاقته الوصول إليه.

قال شيخ الإسلام: جعل الله القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة(٢)، وذلك أنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافاً وإذعاناً، أو لا تكون يابسة جامدة؛ فالأول هو القاسي وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يكتب فيه الإيمان ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلاً ليناً قابلاً، والثاني لا يخلو إما أن يكون ثابتاً فيه لا يتزلزل(٣) عنه لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال، فالثاني هو الذي فيه المرض والأول هو القوي اللين.

والعلم يدخل قلب كل موفق ... من غير بواب ولا استئذان
ويردّه المحروم من خذلانه ... لا تشقنا اللهم بالخذلان(٤)»(٥)

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يتخلخل» بالياء والصحيح المثبت.

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «مؤمنةٌ مخبتة».

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا يزول عنه».

(٤) انظر: «القصيدة النونية» لابن القيم (ص٢٠٢).

(٥) انظر: «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» (٥٩ ـ ٦٢).

إثبات صفة المحبة لله ﷻ

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]

قال (ك): «الآية[١] الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب[٢] في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله[٣]، كما ثبت في «الصحيحين»[٤] عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٥].

ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحِبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: باتّباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذه[٦] من بركة سفارته». اهـ.

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذه الآية».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «في دعواه».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «وأحواله».

(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الصحيح».

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الإمام مسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

وهو في «صحيح البخاري» (٢٦٩٧) بلفظ: **«مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**.

(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذا».

فصل

قال محمد تقي الدين: تقدم ذكر هذه الآية في (القسم الثاني) في (آيات توحيد الاتباع) بتفصيل، والمراد هنا إثبات صفة المحبة لله ﷻ فإنه أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ وأصحابه كلهم والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث، فمن نفاها أو تأولها بأن الله يثيبهم فهو مبتدع من الخلوف الذين حذرنا منهم رسول الله ﷺ وأمرنا بجهادهم، فقال عليه الصلاة والسلام:

«فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(١).

وزعمهم(٢) أن في إثبات هذه الصفة وأمثالها تشبيهاً لله بخلقه؛ لأن المحبة ميل القلب إلى لقاء المحبوب والتشوق لوصاله، فقلنا لهم: هذه محبتكم أنتم ومن جهلكم شبهتم محبة الله بمحبتكم، فشبهوا أيضاً علمه بعلمكم، وقدرته بقدرتكم، وإرادته بإرادتكم، وحياته بحياتكم، وسمعه وبصره بسمعكم وبصركم، وانفوا عنه الصفات كلها كما فعل أشياخكم الفلاسفة، وذلكم لازم لكم.

أما نحن فنثبت لله تعالى كل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسول الله ﷺ مع نفي تشبيه صفاته تعالى بصفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبه ذواتهم.

فانظروا عقيدة السلف ما أسهلها! وما أحسنها! فنورُها مُشْرِق، وعقيدة الخَلْف ـ بسكون اللام ـ مظلمة منتنة الرائحة، فالحمد لله الذي عافانا منها!

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) قال أبو القاسم الأصبهاني في معرض حديثه عن آيات وأحاديث الصفات: «فَإنَّ مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره، ونفيُ الكيفية والتشبيه، وقد نفى قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله تعالى وتأوّلها قومٌ على خِلافِ الظاهر، فخرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبيه». من «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٧)، وانظر كتابي: «الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات» (ص٧٢).

قال (ك): «أي: من الذنب وإن تكرر غشيانه ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الأقذار والأذى، وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض، أو في غير المأتى». اهـ[١].

قال محمد تقي الدين: ثبتت محبة الله تعالى للتوابين وللمتطهرين وتأويل الحب هنا: بالثواب تكذيب[٢]. وادعاء المجاز باطل لأنه لا توجد قرينة تدل عليه، وقد تكرر وروده في النصوص، فتوبوا إلى ربكم يا أيها النفاة المعطلون، وآمنوا بالله مثلما آمن به رسوله والصحابة والتابعون بلا تأويل[٣] ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٠٥).

(٢) قال المازري في «المعلم» (١/ ٣٠٨): «الباري لا يُوصَفُ بالمحبَّةِ المعهودةِ فينا؛ لأنه يتقدَّسُ عن أن يميلَ أو يُمالُ إليه، وليس بذي جنس أو طبع، فيتصف بالشوق الذي تقتضيه الجنسيَّة، والطبيعة البشرية، وإنما معنى محبته سبحانه للخلق: إرادته لثوابهم وتنعيمهم على رأي بعض أهل العلم، وعلى رأي بعضهم أن المحبَّة راجعةٌ إلى نفس الإثابة والتنعيم لا للإرادة»، وهذا **يخالف عقيدة السلف**، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٥٤): «إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتَ محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، وقال النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح: «**ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: مَن كان اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما...**» وقد أجمع سلفُ الأمَّةِ وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصلُ دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام».
وقال الطوفيُّ: «وأول مَن أنكر المحبَّة في الإسلام الجعد بن درهم» من «أقاويل الثقات» (ص٧٧)، وانظر في تفصيل الرد على المنكرين كتابي: «الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات» (ص١٤٣ ـ ١٤٥).

(٣) وددت لو أن المصنف استخدم لفظ (التحريف) خير من لفظ (التأويل) فقد قال شيخ الإسلام في «المناظرة في الواسطية» (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ مع «مجموع الفتاوى»): «إني عدلت من لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريتُ في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيتُ ما ذمّه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معانٍ كما بيّنتُه في موضعه من القواعد.
فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من =

وقال تعالى في سورة المائدة في صفة المؤمنين الصادقين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤]

قال: (ك): «يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة: إنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته؛ فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] أي: بممتنع ولا صعب، وقال تعالى هٰهنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل، ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هذه صفة[(١)] المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعززاً على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[الفتح: ٢٩]، وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتّال، فهو ضحوك لأوليائه قتّال لإعدائه، وقوله ﷻ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يردهم عن ذلك راد ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل»[(٢)].اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: قد ذكرت تفسير هذه الآية مطولاً في (القسم الأول) من «سبيل الرشاد»، والمراد هنا إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين في سبيله كما قال تعالى في سورة الصف [٤]:

= أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف؛ لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلاً ما هو صحيح منقول عن بعض السلف فلم أنفِ ما تقوم الحجة على صحته، فإذا قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف».

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «صفات».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/٢٥٨ ـ ٢٦١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾. اهـ.

قال صاحب «الكواشف» (ص٩٩) ما نصه:

صفة المودة والمحبة

وقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾.

في هذه الآيات الكريمات دليل على إثبات صفة المحبة لله، وهي من الصفات الفعلية، وقد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، محبة تليق بجلاله كما يقال ذلك في سائر الصفات، والحب اشتقاقه في الأصل من الملازمة والثبوت من قولهم: أحب البعير فهو محب إذا برك[(١)]، فالمحب ملازم لذكر محبوبه ثابت القلب على حبه مقيم عليه، ولا[(٢)] يروم عنه انتقالاً ولا يبغي عنه تحولاً ولا زوالاً، قد اتخذ له في سويداء قلبه وطناً وجعله له سكناً، والحب بالضم والكسر، والضم أولى.

ومن السنّة ما يدل على صفة المحبة ما ورد عن عبد الله بن مسعود يرفعه قال: «**ثلاثة يحبهم الله: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله...**» الحديث[(٣)] رواه (ت)، وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله؛ فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابته بينه وبينهم، فتخلف رجل من أعيانهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه،...**»[(٤)] الحديث رواه (ت)و(ن).

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فلم يثر».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤٨٦)، **وإسناده ضعيف**، وأخطأ فيه أبو بكر بن عياش، فجعله من مسند (ابن مسعود) والصواب أنه من حديث (أبي ذر)، وهو الحديث الآتي، وانظر للتفصيل: «علل الدارقطني» (٦/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٦٨)، والنسائي (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ و٥/ ٨٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٩)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٢٩)، وابن خزيمة =

قال الشيخ[١]: «فأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله يحب ويرضى كما دل على ذلك الكتاب والسنة. ويقولون: إن المحبة والرضى أخص من الإرادة، فيقولون إن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضاه وإن كان داخلاً في مراده كما دخلت سائر المخلوقات.اهـ.

الآية الأولى:

فسره ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢]، وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إما أن يكون بإيصال النفع الديني والدنيوي، ويدخل فيه[٣] إنفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه البر والخيرات والعبادات، وإما أن يكون بدفع الضرر عنهم حسب استطاعة أو بهما جميعاً».اهـ.

الآية الثانية:

القسط: العدل في المعاملات والأحكام مع كل أحد، قريب أو بعيد، عدو أو صديق والعدل في حقوق الله أن تصرف نعمه في طاعته ولا يستعان بها ولا بشيء منها على معصية الله تعالى؛ أي: اعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون، إن الله يحب العادلين في أهليهم وما ولوا، وفي جميع أعمالهم، وفي حكمهم بين الناس، وفي جميع الولايات التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله في أداء حقوقهم.

عن عبد الله بن عمرو[٤] عن النبي ﷺ قال: «**المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلوا**»[٥].

= (٢٤٥٦)، وابن حبان (٣٣٥٠، ٤٧٧١)، والحاكم (١/ ٤١٦ - ٤١٧ و٢/ ١١٣) وغيرهم، والحديث **صحيح**.

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «رحمه الله».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١) من حديث عمر، وهو قطعة من حديث جبريل الطويل.

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «في ذلك».

(٤) في الأصل: «ابن عمر» بضم العين! والصواب فتحها، كما في مصادر التخريج.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٧)، وخرجته بتفصيل في تعليقي على «فضيلة العادلين» رقم (٢٠) =

قال الشيخ[1]: «العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح قط بحال، والعدل محبوب باتفاق أهل الأرض، مركوز حبه في القلوب[2] وتحمده، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه، والشرع الذي يجب على حكّام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلاً، بل حكم الله أحسن الأحكام، والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل، لكن العدل قد يتنوع بتنوّع الشرائع والمناهج». اهـ.

وقال: «أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه اشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق[3]، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة». اهـ.

وقال: «ومعلوم أن الناس تحت أمر الله ورسوله، فليس لأحد أن يضر نفسه وماله ضرراً نهاه الله عنه، ومن دفع ذلك الضرر عنه بما هو أخف منه فقد أحسن إلى نفسه، وفي فطر الناس جميعهم أن من لم يقابل الإحسان بالإحسان فهو معتدٍ، وما عدّه المسلمون ظلماً فهو ظلم». اهـ.

الآية الثالثة:

«التواب كثير التوبة الذي كلما أذنب تاب ورجع عن المعصية. والطهارة[4]: النظافة والنزاهة عن الأقذار، والطهارة تنقسم إلى قسمين: **الأولى**: حسية، وتكون عن الأحداث والأنجاس. **والثانية**: معنوية، وتكون عن الذنوب والآثام والمعاصي.

= لأبي نعيم، وانظر بهامشه «تخريج السخاوي» عليه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «رحمه الله».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «تحبه القلوب».

(٣) هكذا في الأصل، وفي معناه خفاء. (منه).

(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الطهارة» بدون «و».

والمعنى: إن الله يحب الذين يرجعون إليه تائبين غير مصرين على شيء[(١)] من أفعالهم، ويحب كلَّ من نزَّه نفسه عن الأقذار وابتعد عن ارتكاب المحرمات، وللتوبة ثلاثة شروط؛ إذا كانت لا تتعلق بحق آدمي: **الأول**: الإقلاع عن المعصية. **والثاني**: الندم على فعلها. **والثالث**: العزم على أن لا يعود إلى المعصية أبداً. فإن فَقَدَ أحد هذه الشروط[(٢)] لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة، الثلاثة المذكورة[(٣)]. **والرابع**: أن يبرأ من حق صاحبه[(٤)] فإن كانت مالاً أو نحوه رده، وإن كانت حد قذف أو نحوه، مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها إن كان عاقلاً حليماً يغلب على الظن أنه إذا جاء معتذراً متنصلاً من ذنبه تائباً نادماً عفا عنه وسامحه، وإلا فيستغفر له لحديث[(٥)]: «**إن**[(٦)] **كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: اللهم اغفر لنا وله**»[(٧)]. وقد حث الله على التوبة وبيّن ما للتائبين في آيات القرآن الكريم، وقد

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «سيء».
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أحد الشروط».
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «المذكور».
(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «صاحبها».
(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الحديث».
(٦) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أن فيه كفارة».
(٧) ورد في الباب عن جمع، مثل: أبي سعيد الخدري، أخرجه هناد (١١٧٨) ـ ومن طريقه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» رقم (١٧١) ـ، وابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (١٦٣)، وفي «الغيبة والنميمة» رقم (٢٥)، والدينوري في «المجالسة» (رقم ٣٥٤١ ـ بتحقيقي)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٦٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٠٦) رقم (٦٥٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٠٦) رقم (٦٧٤١)، **وإسناده ضعيف جداً**، فيه عباد بن كثير.
قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٩١ ـ ٩٢): «فيه عباد بن كثير الثقفي، وهو متروك»، وقال ابن أبي حاتم في «العلل» رقم (١٨٥٤): «قلت لأبي: هذا الحديث منكر؟ قال: كما يكون، أسأل الله العافية، يجيء عباد بن كثير البصري بمثل هذا؟!».
وعزاه العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٤١) لابن مردويه في «التفسير»، وكذلك السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٧)، وعزاه للبيهقي أيضاً وهو في «شعبه» كما قدَّمناه.
وفي الباب عن أنس، أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٩١) ـ وهو في «ذم الغيبة والنميمة» (١٥٣) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١١٨) ـ، والدينوري في «المجالسة» (رقم ٣٥٤٢ ـ بتحقيقي) ـ ومن طريقه ابن عربي في «محاضرة الأبرار» =

نظم أركان التوبة الشيخ عثمان بن قائد الحنبلي[1] في ثلاثة أبيات وسماها (شروطاً)، فقال:

شروط توبتهم إنْ شئتَ عِدَّتها ثلاثة عرفت فاحفظ على مهلِ
إقلاعه ندم، وعزمه أبدا أن لا يعود لما منه جرى وقلِ
إن كان توبته من ظلم صاحبه لا بد من رد[2] حقه على عجلِ

الآية الرابعة:

الاستقامة: ضد الاعوجاج، ومعناها لغةً: الاستواء في جهة الانتصاب، وأما اصطلاحاً، فهي: اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم.

= (٢/٢٩٣ - ٢٩٤) -، وأبو الشيخ في «التوبيخ» (٢١١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢١٢)، والحارث بن أبي أسامة (١٠٨٧ - بغية الباحث)، والبيهقي في «الشعب» (٦٣٦٨ - الهندية)، وضعّفه، وفيه عنبسة بن عبد الرحمٰن القرشي **كذاب**.
وأخرجه الخطيب (٣٠٣/٧) من طريق آخر عن أنس، وفيه دينار بن عبد الله **كذاب**.
وأخرجه الخرائطي في «المساوئ» (٢١٤)، والحاكم في «الكنى» (ق١٦١/ب)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٠٧) من طريق آخر عن أنس، **بسندٍ تالف**، قاله السخاوي في «الفتاوى الحديثية» (١/ ١٦٠).
ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١١٨) أيضاً من حديث سهل بن سعد وجابر بن عبد الله، وقال: «هذه الأحاديث ليس فيها شيء يصح»، وتعقّب في حكمه عليه بالوضع! انظر التفصيل في: «المقاصد الحسنة» (ص٣١٧ - ٣١٨)، و«اللآلئ» (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٩٩)، و«التعقبات على الموضوعات» رقم (٢٠٠) وتعليقي عليه، و«السلسلة الضعيفة» (١٥١٨، ١٥٢٠).

(١) هو عثمانُ بن أحمدَ بن سَعِيد بن عُثمان بن قائدٍ - بالقافِ - النَّجدِيُّ مَوْلِداً الدِّمَشقِيُّ رِحْلةً القاهِرِيُّ مَسْكناً ومَدْفناً، ولد في بَلَدِ العيينة مِن قُرى نجد ونشأ بها وطلب العلم فيها على يَدِ العلامة الشيخ عَبد الله بن محمد بن ذَهْلان، ثم ارتحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها، ثم بعد ذلك إلى مصر واشتهر في مِصرَ ونواحيها وَقُصِدَ بالأسئلة والاستفتاء سنين، وله كتب منها: «حاشية نفيسة على المنتهى»، و«هداية الرَّاغب شرح عمدة الطالب»، و«اختصر دُرَّةَ الغوّاص» مع تعقبات يسيرة، و«شرح البسملة»، و«رسالة في الرَّضاع»، و«فجأةُ الخَلَفِ في اعتقاد السلف» وغيرُ ذلك. توفي بمصر مساء يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى سنة ١٠٩٧. ترجمته في «السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» تأليف محمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي (٢/ ٦٩٧ - ٦٩٩)، وبعدها في «الكواشف الجلية»: «رحمه الله».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «رده الحق».

وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧] أي: مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم عليه من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين فاستقيموا لهم... إلخ، وقد فعل ﷺ ذلك والمسلمون، واستمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد ومالؤوا حلفاءهم، وهم: بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ فقاتلوهم[(١)] في الحرب أيضاً، فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان، ففتح الله عليه البلد الحرام ومكّنه من نواصيهم، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التقوى: التحرز بطاعة الله عن معصية الله، فهي كلمة جامعة لفعل المأمورات وترك المنهيات، وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال الشاعر[(٢)]:

خَلِّ الذُّنوبَ صغيرها ... وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبال من الحصى. اهـ

الآية الخامسة:

الحب والمحبة، ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، قال: وقد[(٣)] أحبه فهو محب وحبه ـ يحبه بالكسر ـ فهو محبوب، قال الأزهري: محبة العبد لله ولرسوله: طاعته لأمرهما واتباعه لهما، ومحبة الله للعبد: محبة تليق بجلاله وعظمته أثرها رحمته وإحسانه وإعطاؤه، والمعنى: قل يا محمد: إن كنتم تحبون الله حقيقة فاتبعوني فإن ما جئت به من عنده مبين لصفاته وأمره ونهيه، والمحب الصادق حريص على معرفة المحبوب ومعرفة أمره ونهيه، ليتقرب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه، فإن اتبعتموني يحببكم الله... إلى، وهذه حجة على من يدعي محبة الله في كل زمان ومكان وأعماله تكذب ما يقول، إذ كيف يجتمع حب مع الجهل بالمحبوب وعدم العناية بأوامره ونواهيه، فهو كما قال الوراق[(٤)]:

---

(١) في طبعة «الكواشف الجلية»: «فقتلوهم معهم».

(٢) هو ابن المعتز، والأبيات في «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٥)، «تفسير القرطبي» (١/ ٢٠٣)، «روح المعاني» (١/ ١٠٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٦٠)، «التذكرة» (١/ ٢٩٨) لابن حمدون.

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «وقد».

(٤) الأبيات منسوبة لمحمود الوراق في: «التحرير والتنوير» (١/ ١٠٥)، «جامع العلوم =

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

ما يؤخذ من الآية:

١ ـ إثبات الألوهية. ٢ ـ إثبات صفة الكلام. ٣ ـ إثبات صفة المحبة لله. ٤ ـ الرد على الجهمية والمعتزلة. ٥ ـ الحث على محبة الله بالسعي في أسبابها. ٦ ـ الرد على من قال: إن القرآن كلام جبريل أو كلام محمد ﷺ. ٧ ـ إثبات صفة المغفرة، ومن أسمائه تعالى الغفور والغفار، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ الآية. قال ابن القيم[(١)] رحمه الله:

وَهُو الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا ... مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَل مِنَ العِصْيَانِ
لاقاه بالغفرانِ مِلءَ قُرَابِهَا ... سبحانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ

فهو سبحانه الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾، وفي الحديث: «**إن الله يقول: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتُك بقرابها مغفرة**»[(٢)].

ومما يؤخذ من الآية أيضاً:

٨ ـ الحث على اتباع الرسول ﷺ. ٩ ـ إن هذه الآية هي الميزان الذي يعرف[(٣)] به من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع الرسول ﷺ.

قال الشيخ رحمه الله: وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله

= والحكم» (١/ ١٨٩)، وقد نسبها للشافعي القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٩).

(١) انظر: «نونية ابن القيم» (ص٢٤٦).

(٢) الحديث **حسن بمجموع طرقه، وحسنه** النووي في «رياض الصالحين» (١٨٧٨) وقال ابن رجب في «جامع العلوم» (٢/ ٣٩٤): «وإسناده لا بأس به»، **وحسنه** شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١٢٧، ١٢٨).
وفي الباب عن أنس عند الترمذي (٣٥٤٠) وعن أبي ذر عند أحمد (٢/ ١٥٤، ١٥٧، ١٦٧، ١٧٢)، والدارمي (٢/ ٣٢٢)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٣٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤١، ١٠٤٢).

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «التي يُعرف بها».

وإخلاصاً له في الدين، وإذا بَعُد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا كثر بُعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول». اهـ.

قال محمد تقي الدين: لم أنقل تفسيره لآية المائدة لأنه تقدم.

ثم قال:

«**تنبيه**: أنكرت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم محبةَ الله، وقالوا: المحبة لا تكون إلا بين متناسبين؛ وبهذه الشبهة الفاسدة ردوا صفة من صفات الله الثابتة له.

قال الإمام أحمد: لا نُزِيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين، والمناسبة لفظ مجمل، فإنه قد يراد بها التوالد[(١)] والقرابة، فيقال: هذا نسيب فلان ويناسبه إذا كان بينهم قرابة مستندة للولادة[(٢)] والآدمية، والله ﷻ منزَّه عن ذلك، ويراد بها المماثلة، فيقال: هذا يناسب هذا: أي: يماثله والله ﷻ أحد، صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أو[(٣)] يراد بها الموافقة في معنى من المعانى وضدها المخالفة، والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله تعالى يوافقونه فيما يأمر به فيفعلونه وفيما يحبه فيحبونه وفيما نهى عنه فيتركونه وفيما يعطيه فيصيبونه، والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال[(٤)]، نظيف يحب النظافة، محسن يحب المحسنين، مقسط يحب المقسطين، إلى غير ذلك من المعاني، فإذا أريد بالمناسبة هذا وأمثاله فهذه المناسبة حق، وهي من صفات الكمال[(٥)]، فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال أو لا يحب صفات الكمال، وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان ونحو ذلك، والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يحب هذا، ولا يبغض هذا كان الذي يحب تلك الأمور أكمل من هذا»[(٦)]. اهـ.

من «مجموعة الرسائل» لشيخ الإسلام.

---

(١) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «التولد».

(٢) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «إلى الولادة».

(٣) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «و».

(٤) في مطبوع «مجموع الفتاوى» زيادة: «عليم يحبُ العلم».

(٥) في مطبوع «مجموع الفتاوى» زيادة: «كما تقدمت الإشارةُ إليه».

(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ١١٤ ـ ١١٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ فالغفور من أبنية المبالغة، أي كثير المغفرة، وأصل الغفر: الستر، ومنه المغفر، فهو ﷻ يغفر لمن تاب إليه؛ أي يستر ذنوبه ويتجاوز عن خطاياه.

قال ابن رجب: «المغفرة: محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، ومنه: المغفر؛ لما يقي الرأس من الأذى، لا كما ظنه بعضهم الستر، فالعمامة لا تسمى مغفراً مع سترها، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية»[(١)]. اهـ.

وقوله: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ من الود، وهو خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة والرحمة، قال الجوهري: «ودِدْتُ الرجل أوَدُّه وُدّاً إذا أحببتَه، والوُدُّ المَوَدّة والودود المحب»[(٢)]، والودود من صفاته[(٣)] تعالى، أصله: من المودة واختلف فيه على قولين؛ فقيل: هو ودود بمعنى وادٌّ، كضروب بمعنى ضارب، وقتول بمعنى قاتل، ونؤوم بمعنى نائم، ويشهد لهذا القول أنّ فعولاً في صفات الله فاعل كغفور بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاكر، وصبور بمعنى صابر، وقيل: بل هو بمعنى مودود، وهو: الحبيب، وبذلك فسره (خ) في «صحيحه»، فقال: «الودود: الحبيب»[(٤)]، والأول أظهر لاقترانه بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٤]، وبالرحيم في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وفيه[(٥)] سر لطيف، وهو أنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فالتائب حبيب الله فالود أصفى الحب وألطفه. اهـ. من كلام ابن القيم[(٦)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ الوُدُودُ يحبُّهُم وَيُحبُّهُ ... أحبابُهُ والفَضْلُ للمَنَّانِ
وهُوَ الذي جَعَلَ المَحَبةَ فِي قُلُو ... بِهِمُ وَجَازَاهُمْ بِحُبٍّ ثَانِ

---

(١) اختيار الملأ الأعلى (ص٤٨) وعنه في «تفسير ابن رجب» (٢/٢٠٦).
(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/٥٤٩) مادة (وَدَّ).
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «صفات أصله» والصحيح المثبت.
(٤) «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب تفسير سورة البروج، باب رقم (٤٢٤).
(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وفي».
(٦) في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٥٥، ط. ابن رجب).

هَـذَا هُـوَ الإِحْـسَـانُ حَـقّـاً لَا مُـعَـا وَضَـةً وَلَا لِـتَـوَقُّـعِ الـشُّـكْـرَانِ(١)

والخلاصة:

إنه سبحانه المحب لأهل طاعته من أنبيائه ورسله وملائكته وأوليائه وعباده المؤمنين المحسنين وهو سبحانه محبوبهم ولا تعادل محبة الله عند أصفيائه محبة أخرى، وهذا هو الواجب ويتعين أن تكون المحاب تبعاً لها؛ لأن محبة الله هي روح الأعمال وجميع الأعمال وجميع العبودية الظاهرة والباطنة تبع لها، ومحبة العبد لربه فضل من ربه وإحسان ليست بحول العبد وقوته، فهو الذي أحب عبده فوفقه وجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه جازاه بحب آخر.

قال ابن القيم:(٢)

وحياة قلب المرء(٣) في شيئين من يـرزقـهـمـا يـحـيـى مـدى الأزمـانِ
في هـذه الـدنـيـا وفي الأُخـرى يـكـو ن الـحـي ذا الـرضـوان والإحـسـانِ
ذكـر الإلـه وحـبـه مـن غـيـر إشـ ـراك بـه وهـمـا فـمـمـتـنـعـانِ
من صاحب التعطيل حقاً كامتنا ع الطائر المقصوص من طيرانِ
أيـحـبـه مـن كـان يـنـكـر وصـفـه وعـلـوه وكـلامـه بـقـرانِ
لا والذي حقًّا على العرشِ استوى مُـتَـكـلِّـمـاً بـالـوحـي والـفـرقـانِ»(٤)

ثم قال صاحب «الكواشف»:

أقسام المحبة:

«أقسام المحبة خمسة: **الأول**: محبة الله، ولا تكفي وحدها للنجاة من النار والفوز بالجنة، فإن المشركين يحبون الله، **والثاني**: محبة ما يحب(٥) الله وهذه المحبة هي التي تدخل في الإسلام وتخرج من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، **الثالث**: محبة في الله ولله؛ وهي فرض، كمحبة أوليائه وبغض أعدائه وهي من مكملات محبة الله ومن لوازمها، فالمحبة التامة مستلزمة

---

(١) انظر: «نونية ابن القيم» (٢٤٥).
(٢) في «نونيته» (٢٩٧)، وفيها: «قلب العبد» بدل «قلب المرء».
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «قلب في».
(٤) «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» (٦٤ ـ ٧٢) بتصرف يسير.
(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يحبه الله».

لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ويحب أولياءه»[١].

قال الشيخ[٢] رحمه الله على قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]: «فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينفي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله.

فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه؛ كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب.

ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٨٠].

فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١]، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب.

ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فإنه أخبر في تلك الآية[٣] أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً»[٤]. اهـ.

قال ابن القيم[٥]:

أتـحـبُّ أعـداءَ الـحـبـيـبِ وتَـدَّعـي ... حُـبَّـاً لـهُ مَـا ذاكَ فِـي إمْـكَـانِ

وكـذا تُـعَـادي جَـاهِـداً أحـبـابَـهُ ... أيـنَ الـمـحـبَّـةُ يَـا أخَـا الـشَّـيْـطَـانِ

ليسَ العِبادَةُ غيرَ تَوْحِيدِ المَحَـ ... ـبَّةِ مَعْ خُضوعِ القَلْبِ والأرْكَانِ

---

(١) انظر: «الكواشف الجلية» (ص١١٢). (٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) في مطبوع كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام: «الآيات».

(٤) انظر: «الإيمان» (١٧ ـ ١٨).

(٥) في «الكافية الشافية» (٢٥٨)، والنقل ما زال من «الكواشف الجلية».

والحُبُّ نَفْسُ وِفاقِهِ فِيما يُحِـ ـبُّ وَبُغْضُ مَا لَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وهي المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال، فهذه لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غير الله أشرك[1] الشرك الأكبر.

الخامس: المحبة الطبعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة المال والولد ونحو ذلك، فهذه لا تذم إلا إذا شغلت[2] وألهت عن طاعة الله.

قال الشيخ: حب[3] الإنسان للأمور الدنيوية لا يلام العبد عليه ولا يعاقب إلا [إذا][4] دعا إلى معصية الله، أو تضمن ترك واجب. وجامع[5] المال إذا قام فيه بالواجبات ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه، لكن إخراج الفضل والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب، وأجمع للهمِّ، وأنفع للدنيا والآخرة»[6] .اهـ.

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فقد أشرك».
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أشغلت».
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «محبةُ».
(٤) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».
(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وجميع».
(٦) انظر: «الكواشف الجلية» (١١٢ ـ ١١٣).

إثبات صفة الرحمة لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١] في ابتداء كل سورة إلا سورة التوبة.

وقال تعالى في آخر سورة البقرة معلّماً عباده كيف يدعونه: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٢، ٣].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦].

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ الآية [البقرة: ٢١٨].

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٣﴾ الآية [العنكبوت: ٢٣].

إلى غير ذلك من الآيات التي هي برهان قاطع على أن الله تعالى موصوف بالرحمة.

معنى صفتي الرحمٰن الرحيم: قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢١٠): «في أسماء الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل: ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم، والرحمٰن خاص لله لا يسمى به غيره، ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمٰن.

وفيه: «ثلاث ينتفع[١] بهن العبد في الدنيا، ويدرك بهن في الآخرة ما هو أعظم من ذلك: الرُّحم، والحياء، وعي اللسان» الرحم بالضم: الرحمة، يقال: رحم رحماً: ويريد بالنقصان ما يناله المرء بقسوة القلب، ووقاحة الوجه، وبسطة اللسان التي هي أضداد تلك الخصال من الزيادة في الدنيا»[٢].

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾.

قال (ك): «أي: فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة و﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: أي: فيما يستقبل، فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر.

ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره»[٣]. اهـ.

وقال القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية: «يخبر تعالى بخطابه كافة الناس عن تفرده بالإهيته، وأنه لا شريك له ولا عديل.

قال الراغب: يجوز أن يكون قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ خطاباً عاماً، والمعنى، الذي تعبدونه إلٰه واحد[٤]، تنبيهاً أنكم لستم كالكفار، الذين يعبدون أصناماً آلهة والشيطان والهوى وغير ذلك.

إن قيل: ما فائدة الجمع بين ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وبين ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وأحدهما يبنى على الآخر؟

قيل: لما بيّن بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أنه المقصود بالعبادة أو المستحق لها ـ وكان يجوز أن يتوهم أن يوجد إلٰه غيره ولكن لا يعبد ولا يستحق العبادة أكده بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وحق لهذا المعنى أن يكون مؤكداً وتكرر عليه الألفاظ، إذ هو مبدأ مقصود العبادة ومنتهاه. اهـ.

وقال الرازي: إنما خص ﷻ هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين؛ لأن ذكر

---

(١) في مطبوع «النهاية»: «ينقصُ»، وهو الصحيح.
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٢١٠).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٢٨).
(٤) وهنا زيادة سقطت من الأصل وهي مثبتة في المطبوع من «تفسير القاسمي»: «أي المستحقُّ منكم العبادة هو إلٰهٌ واحدٌ لا أكثر، ويجوز أن يكون خطاباً للمؤمنين».

الإلٰهية الفردانية يفيد القهر والعلو، فعقبهما بذكر هذه المبالغة في[١] الرحمة ترويحاً للقلوب عن هيبة الإلٰهية وعزة الفردانية، وإشعاراً بأن رحمته سبقت غضبه وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان»[٢].اهـ.

قال محمد تقي الدين: تقدم معنى الرحمٰن الرحيم.

وقال صاحب «لسان العرب»: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله. وقد رحمته، وترحمت عليه، وتراحم القوم، رحم بعضهم بعضاً، والرحمة: المغفرة، وقوله تعالى في وصف القرآن: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] أي: فصلناه هادياً وذا رحمة، وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾: أي: هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم، رَحِمَهُ رُحْماً ورُحُماً ورَحْمةً ورَحَمَةً؛ حكى الأخيرة سيبويه، ومرحمة.

وقال الله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه؛ وتَرَحَّمْتُ عليه؛ أي: قلت: رحمة الله عليه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ فإنما ذكر على النسب وكأنه اكتفى بذكر الرحمة عن الهاء، وقيل: إنما ذلك لأنه تأنيث غير حقيقي، والاسم الرحمٰن[٣]. قال الأزهري[٤]: التاء في قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ﴾[٥] أصلها هاء وإنْ كُتِبتْ تاء، الأزهري: قال عكرمة في قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء: ٢٨]. أي: رزق ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا [ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا]﴾[٦] رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ [هود: ٩] أي: رزقاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أي: عطفاً[٧]، ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ [يونس: ٢١] أي: حيا وخصبا بعد مجاعة، وأراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الكافرين، والرحموت: من الرحمة، وفي المثل: رهبوت خير من رحموت، أي: لأن ترهب خير من أن ترحم، لم يستعمل على هذه الصيغة إلا مزدوجاً[٨].

---

(١) من مطبوع «تفسير القاسمي» و«تفسير الرازي»، وسقطت من الأصل.
(٢) انظر: «تفسير القاسمي» (٣/ ١٤)، و«تفسير الرازي» (٤/ ١٦٠).
(٣) في مطبوع «لسان العرب»: «والاسم الرُّحمن».
(٤) في «تهذيب اللغة» (٥/ ٥١).
(٥) في مطبوع «لسان العرب»: «رحمتَ» بالتاء المبسوطة.
(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.
(٧) في مطبوع «لسان العرب»: «وصنعاً».
(٨) في مطبوع «لسان العرب»: «مُزوَّجاً».

وتَرَحَّم عليه: دعا له بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة، ورجل مرحوم ومُرَحَّمٌ شُدِّدَ للمبالغة، (والتوكيد فلأنه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر، وهذا تغال بالعرض، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ١٠٥]، معناه يختص بنبوته من يشاء ممن أخبر ﷻ أنه مصطفى مختار)[(١)].

والله الرحمٰن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فعلان لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمٰن؛ لأن الرحمٰن مقصور على الله ﷻ والرحيم قد يكون لغيره.

قال الفارسي: إنما قيل: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فجيء بالرحيم، بعد استغراق الرحمٰن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، كما قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ٢] فخص بعد أن عم»[(٢)]. اهـ.

قال القاسمي في «تفسيره» عند هذه الآية: «وقوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، تطلق الرحمة على التعطف والمغفرة والإحسان والجنة، كما قال تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [الشورى: ٨]، ولعلها هي المراد هنا، بدليل مقابلتها بـ «العذاب»[(٣)] قيل: كما قابل الآية التي ذكرها بقوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ [الإنسان: ٣١] والله أعلم. ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي: هذه الرحمة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: الكفر والشرك والفواحش: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: يعطون زكاة أموالهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: بكتابنا ورسولنا يصدقون»[(٤)]. اهـ.

وقال القاسمي أيضاً في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ الآية [البقرة: ٢١٨]: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بحرمة الشهر في نفسه وجواز قتال المخرجين أهل المسجد الحرام منه، ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ تركوا مكة وعشائرها[(٥)] إذ خرجوا من المسجد الحرام ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولو في الشهر الحرام للدفع

---

(١) ما بين الهلالين سقط من مطبوع «لسان العرب».
(٢) انتهى النقل من «لسان العرب» (١٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) بتصرف.
(٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «قبل».
(٤) انظر: «تفسير القاسمي» (٧/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).
(٥) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وعشائرهم».

عن أنفسهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وإن باشروا القتال في الشهر الحرام ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: جنته على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم، وإنما ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو؛ للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه(١) ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهتكهم حرمة الشهر ﴿رَّحِيمٌ﴾ بما تجاوز عن قتالهم، مع قيام دليل الحرمة فلم يعاقبهم»(٢). اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٣].

قال (ك): «أي جحدوها وكفروا بالمعاد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ أي: لا نصيب لهم فيها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع(٣) شديد في الدارين»(٤). اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: الرحمة صفة وصف الله بها نفسه، ولفظها مشترك له في كل مقام معنى، والمعنى الذي وصف الله به نفسه خاص بالله تعالى لا يشترك معه أحد فيه، والذين نفوها عن الله تعالى رأوها مفسرة بالرقة والتعطف في حق المخلوق، فشبهوا صفة الخالق بصفة المخلوق ونفوها عن الله تعالى وأوّلوها بالمغفرة والإثابة، وإنما أتوا من قبل جهلهم وتشبيههم، ولو أثبتوها مع التنزيه عن مشابهة المخلوقين كما أثبتوا العلم والقدرة؛ لكان خيراً لهم.

وقال صاحب «الكواشف» (ص١١٢): «صفة الرحمة والمغفرة. وقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾(٥)، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، في هذه الآيات(٦) إثبات صفة الرحمة والمغفرة.

الآية الأولى:

الباء في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، والتقدير

---

(١) في مطبوع «تفسير القاسمي» زيادة: «لا لأنَّ في فوزهم اشتباهاً».

(٢) انظر: «تفسير القاسمي» (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «موجعٌ في الدنيا والآخرة».

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٥٠٢). (٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الآية».

(٦) في مطبوع «الكواشف الجلية» بزيادة: «﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

أبتدئ، والاسم مشتق من السمو و[١]العلو أو من السمة، وهي العلامة، ولفظ الجلالة مشتق من أله، ومعنى كونه مشتقاً أنه دال على صفة هي ألوهية كسائر الأسماء الحسنى، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال ابن عباس: الرحمٰن الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر؛ أي: أوسع رحمة.اهـ.

وهما من أبنية المبالغة، والرحمٰن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، والرحمٰن خاص بالله سبحانه لا يسمى به غيره ولا يوصف، بخلاف الرحيم فيوصف به غيره، فيقال: رجل رحيم، وفائدة الجمع بين الصفتين الرحمٰن[٢] الرحيم: الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، وخاصة عامة.

قال ابن القيم: «وأسماء[٣] الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي[٤] بين العلمية والوصفية، فالرحمٰن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هي[٥] صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورد[٦] الاسم العلم.

ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى؛ حسن مجيئه مفرداً غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمٰن كاسم الله، فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجئ قط تابعاً[٧] بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمٰن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً.

وأما الجمع بين الرحمٰن والرحيم ففيه معنى، وهو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما، وهو أن الرحمٰن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمٰن صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٌ

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وهو».
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية» بإثبات: «و».
(٣) في مطبوع «بدائع الفوائد» بدون: «و».
(٤) بعدها في مطبوع «بدائع الفوائد»: «فيها». (٥) بعدها في مطبوع «بدائع الفوائد»: «هو».
(٦) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «ورود». (٧) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «لغيره».

﴿رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئ قط (رحمٰن بهم) فعلم أن رحمٰن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته، **وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب**، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم[١] تنجل لك صورتها»[٢].

وقال ابن القيم:

«تضمنت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣] إثبات النبوات من جهات عديدة:

الأولى: من[٤] اسم «الله» وهو المألوه المعبود، ولا سبيل إلى معرفة عبوديته[٥] إلا من طريق رسله.

الثانية: من اسمه «الرحمٰن» فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية السعادة[٦]، فمن أعطى هذا الاسم[٧] حقه عرف أنه متضمن إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب، فاقتضاؤه الرحمة لما يحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائه ما يحصل به حياة الأبدان والأشباح[٨]»[٩]. اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: قوله: إن اسم الجلالة «الله» مأخوذ من (اله) بزيادة الألف واللام وحذف الهمزة، وهو فعال بمعنى مفعول؛ أي: مألوه؛ لأن أله يأله بمعنى عبد يعبد، وهذا مذهب سيبويه وعندي فيه نظر؛ لأن هذا هو اسم الباري سبحانه في جميع اللغات السامية، كالعبرانية فهو فيها الوهيم والسريانية فهو فيها أولاها، والآشورية فهو فيها ألاهو، فهو مرتجل والله أعلم. اهـ.

---

(١) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «لم ينجل».
(٢) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٤، ط. دار الكتاب العربي).
(٣) في مطبوع «مدارج السالكين» بدون: «بسم الله الرحمٰن الرحيم».
(٤) قبلها في «مدارج السالكين»: «أخذها». (٥) في مطبوع «مدارج السالكين»: «عبادته».
(٦) في مطبوع «مدارج السالكين»: «كمالهم».
(٧) في مطبوع «مدارج السالكين»: «اسم الرحمٰن».
(٨) انظر: «مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» (١/ ٧ ـ ٨، ط. دار الكتاب العربي ـ تحقيق محمد حامد الفقي).
(٩) انظر: «الكواشف الجلية» (٧٢ ـ ٧٤).

الآية الثانية:

أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فما من مسلم ولا كافر إلا وهو يتقلب في نعمته. اهـ.

الآية الثالثة:

يخبر تعالى أنه بالمؤمنين رحيم.

أما في الدنيا؛ فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصّرهم الطريقَ الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر والبدع وأتباعهم من الطغام. وأما رحمته في الآخرة التي قال فيها[(١)]: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، فإنه أمّنهم من الفزع الأكبر، وأمر الملائكة يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

الآية الرابعة:

يخبر تعالى أن رحمته عمَّتْ كلَّ شيء في العالم العلوي والسفلي: البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا يخلو مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمته وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخالصة[(٢)] ليست لكل أحد، ولهذا قال[(٣)] فيها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي[(٤)]: الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة.

الآية الخامسة:

في الآية احتجاج، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين مقرراً لهم[(٥)] وملزماً

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عنها».
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «الخالصة».
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عنها».
(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «أي».
(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «لهم».

لهم بالتوحيد؟ فإن أجابوك وإلا فقل: إن الله هو الخالق لهذا الكون المالك المتصرف فيه، وقوله: ﴿كُتِبَ...﴾ إلخ هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عن الإقبال عليه، وإخبار منه بأنه رحيم بالعباد، قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ولكنه كتب على نفسه الرحمة ووعد بها فضلاً منه وإحساناً ولم يوجبها عليه أحد.

والكتابة تكون شرعية وتكون كونية[1]، فالكتابة الشرعية الأمرية كقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

والكونية القدرية كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤].

والكتابة في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] كونية قدرية فقد كتب على نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً من غير أن يوجبها عليه أحد كما قيل[2]:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعى لديه ضائعُ
إن عُذِّبُوا فبعدله أو نُعِّمُوا فبفضله وهو الكريم الواسعُ

«وإذا كان معقولاً من الإنسان أن يوجب على نفسه ويحرم، ويأمرها وينهاها، مع كونه تحت أمر غيره ونهيه، فالآمر الناهي الذي ليس فوقه آمر ولا ناهٍ كيف يمتنع في حقه أن يحرم على نفسه ويكتب على نفسه، وكتابته على نفسه سبحانه تستلزم إرادته لما كتبه ومحبته له[3] إرادة أن لا يفعله فإن محبته للفعل تقتضي وقوعه منه وكراهته لأن يفعله، (فإن محبته للفعل تقتضي وقوعه منه، وكراهته لأن يفعله تمنع وقوعه منه، وهذا غير ما يحبه سبحانه من أفعال عباده ويكرهه، فإن محبته ذلك منهم تستلزم وقوعه، وكراهته منهم لا تمنع وقوعه)[4]،

---

(١) سبق أن ذكرنا في التعليق على (٦/١٨) الفرق بينهما.

(٢) انظر: «شرح نونية ابن القيم» (ص٢٤٥).

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية» بزيادة جملة وهي: «ورضاه به وتحريمه على نفسه يستلزم بُغضَه لما حرمه وكراهته له و...».

(٤) ما بين الهلالين ليس في «الكواشف الجلية».

فرق بين فعله هو سبحانه وبين فعل عباده الذي يقع مع كراهته وبغضه له، ويتخلف مع محبته له ورضاه به، بخلاف فعله هو سبحانه، فهذا نوع وذلك نوع، فتدبر هذا الموضع»[١].

وقال: «واعلم أن الناس في هذا المقام ثلاث طوائف:

فطائفة منعت أن يجب عليه شيء أو يحرم عليه شيء بإيجابه وتحريمه، وهم كثير من مثبتي القدر، الذين ردوا أقوال القدرية النفاة وقابلوهم أعظم مقابلة، نفوا لأجلها الحِكَمَ والأسبابَ والتعليل، وأن يكون العبد فاعلاً أو مختاراً.

الطائفة الثانية: بأزاء هؤلاء أوجبوا على الرب وحرموا أشياء بعقولهم جعلوها شريعة له، يجب عليه مراعاتها من غير أن يوجبها هو على نفسه ولا حرمها، وأوجبوا عليه من جنس ما يجب على العباد، وحرموا عليه من جنس ما يحرم عليهم، ولذلك كانوا مشبهة في الأفعال، والمعتزلة منهم جمعوا بين الباطلين؛ تعطيل صفاته، وجحد نعوت كماله، والتشبيه له بخلقه فيما أوجبوه عليه وحرموه، فشبهوا في أفعاله وعطلوا في صفات[٢] كماله، فجحدوا بعض ما وصف به نفسه من صفات الكمال وسموه توحيداً وشبهوه بخلقه فيما يحسن منهم ويقبح من الأفعال وسموا ذلك عدلاً، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد، فعدلهم إنكار قدرته ومشيئته العامة الشاملة التي لا يخرج شيء من الموجودات ذواتها وصفاتها وأفعالها، وتوحيدهم إلحاد في أسمائه الحسنى وتحريف معانيها عما هي عليه، فكان توحيدهم في الحقيقة تعطيلاً[٣]، وعدلهم شركاً، والمقصود أن هذه الطائفة مشبِّهة في الأفعال، معطِّلة في الصفات.

وهدى الله الأمة الوسط لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فلم يقيسوه بخلقه، ولم يشبهوه بهم في شيء من صفاته ولا أفعاله، ولم ينفوا ما أثبته لنفسه من ذلك، ولم يوجبوا عليه شيئاً ولم يحرموا عليه شيئاً، بل أخبروا عنه بما أخبر عن نفسه، وشهدت قلوبهم ما في ضمن ذلك الإيجاب والتحريم من الحكم والغايات المحمودة التي يستحق عليها كمال الحمد والثناء، فإن العباد لا يحصون ثناء عليه[٤] بل هو كما أثنى على نفسه.

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤). (٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «صفاته».
(٣) في الأصل: «تعليلاً»! والمثبت من «الكواشف الجلية».
(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية» بعدها: «أبداً».

وهذا بيّن ـ بحمد الله ـ عند أهل العلم والإيمان، مستقر في فطرهم، ثابت في قلوبهم، يشهدون انحراف المنحرفين في الطرفين، وهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل هم إلى الله ورسوله متحيزون وإلى محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أين توجهت ركائبه، ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه». اهـ من كلام ابن القيم(١)، ثم نقل عن شيخ الإسلام(٢) كلاماً حسناً أثبته هنا:

«زعم الجهمية والمعتزلة أن الرحمة ضعف وخور في الطبيعة وتألم على المرحوم، وهذا الزعم باطل من وجوه؛ أما **أولاً**؛ فلأن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، وقد نهى الله عباده عن الوهن والحزن، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] وندبهم إلى الرحمة، وقال النبي ﷺ: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»(٣)، وقال: «**من لا يَرْحم لا يُرْحَم**»(٤)، وقال: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن**»(٥)، وقال: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٦)، ومحال أن يقول: لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي،

(١) في «بدائع الفوائد» (٢/ ١٦٤). (٢) في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١١٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٤)، والترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤٢)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٧)، وأحمد (٢/ ٣٠١)، والطيالسي (٢٥٢٩)، وأبو يعلى (٦٦٥٢)، وابن حبان (٤٦٢)، والحاكم (٤/ ٢٤٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٧٢)، والخطيب (٧/ ١٨٣)، والبيهقي (٨/ ١٦١)، والبغوي (٣٤٥٠) من حديث أبي هريرة، **وإسناده حسن**.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧)، ومسلم كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه الترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدي (٥٩١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٦٤)، وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٩)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٣)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (١/ ٤٢٦)، والخطيب (٣/ ٢٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، **وحسنه** ابن حجر في كتاب «الإمتاع» (ص٦٣)، وذكر تصحيح الترمذي، وعلق عليه بقوله: «وكأنه صححه باعتبار المتابعات والشواهد» قال أبو عبيدة: هو كذلك، وأحسنها الحديث السابق.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٦)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدي (٥٩١)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي (٩/ ٢٤١)، والخطيب (٣/ ٢٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو، وهو **صحيح بشواهده**، ومضى بعضها، وغيرها =

ولما كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة الناس ونحو ذلك ظن الغالط أنها كذلك مطلقاً.

وأيضاً فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك، لم يجب أن تكون في حق الله تعالى مستلزمة لذلك، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه.

وأيضاً فنحن نعلم بالاضطرار أنّا إذا فرضنا موجودَيْن: أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، والآخر قد استوى عنده ما يقتضي[١] جلب منفعة أو دفع مضرة؛ كان الأول أكمل»[٢]. اهـ.

تفسير آية يوسف:

قال (ك): «وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤] قرأ: بعضهم «حافظاً»[٣]، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: هو أرحم الراحمين بي وسيرحم كِبَري وضعفي ووجدي بولدي، وأرجو من الله أن يرده عليَّ، ويجمع شملي به، إنه أرحم الراحمين»[٤]. اهـ.

= كثير، ولابن طولون جزء مطبوع بعنوان «الأربعين في فضل الرحمة والراحمين»، تنظر فيه، والله الموفق لا رب سواه.

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «هذا وهذا وليس عنده ما يقتضي...».

(٢) انظر: «الكواشف الجلية» (٧٣ ـ ٧٧).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وابن محيصن ـ بخلاف عنه ـ والشنبوذي وحماد وخلف وابن مسعود بهذا. (حافظاً) اسم فاعل من (حفظ) وهو منصوب على الحال.
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم من رواية أبي بكر ويعقوب وأبو جعفر ﴿خير حِفْظاً﴾ بدون ألف، وهو منصوب على التمييز، وهو مصدر دال على الفعل.
انظر القراءات مع توجيهها في: «التيسير» (١٢٩)، «السبعة» (٣٥٠)، «النشر» (٢/ ٢٩٦)، «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٣)، «إعراب القراءات السبع وعللها» (١/ ٣١٤)، «البحر المحيط» (٥/ ٣٢٢)، «روح المعاني» (١٣/ ١١).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٥).

صفة الرضا والغضب والكراهية والسخط

قال الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه العزيز: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، فمن ذلك قوله تعالى في آخر سورة المائدة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ الآية [١١٩].

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ الآية [١٠٠].

وقال تعالى في سورة الفتح: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ الآية [١٨].

وقال تعالى في سورة المجادلة في آخرها: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية [٢٢] تقدم تفسير هذه الآية في (القسم الأول) من «سبيل الرشاد».

قال صاحب «لسان العرب»: «الرضا: مقصور ضد السخط، وفي حديث الدعاء: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1]، وفي رواية[2]: بدأ

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٤٨٦) من حديث عائشة.

(٢) أخرجها النسائي (٨/ ٢٨٣) وفي «الكبرى» (٧٩٧٥، ١٠٧٢٧)، وعبد الرزاق (٢٨٨٣)، وأبو يعلى (٤٥٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٨٣)، والدارقطني (١/ ١٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣٨٣٧).

بالمعافاة ثم بالرضا، قال ابن الأثير[١]: «إنما ابتدأ بالمعافاة من العقوبة؛ لأنها من صفات الأفعال كالإماتة والإحياء، والرِّضا والسَّخَط من صفات الذات[٢]، وصفات الأفعال أدنى رُتبةً من صفات الذات، فبدأ بالأدنى مترقِّياً إلى الأعلى، ثم لما ازداد يقيناً وارتقاء ترك الصفات وقصر نظره على الذات، فقال: «**أعوذ بك منك**» ثم لما ازداد قُرباً استحيا معه من الاستعاذة على بساط القُرب، فالتجأ إلى الثناء فقال: «**لا أحصي ثناء عليك**»، ثم علم أن ذلك قُصور، فقال: «**أنت كما أثنيت على نفسك**»»[٣].

فصل

قال محمد تقي الدين: لقد أحسن صاحب «اللسان» حين أخبر أن الرضا صفة ذات الله تعالى، والجهمية وغلاة المتصوفة ينفون صفتي الرضا والسخط عن الله تعالى، ويؤولون الرضا بالثواب والسخط بالعقاب، وهم كاذبون لأن الله وصف نفسه بالرضا كما تقدم، ووصف نفسه بالسخط في قوله في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠﴾ الآية [٧٨ ـ ٨٠].

ففي قوله تعالى: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إثبات صفة السخط لله تعالى على بعض عباده، ولا يجوز تأويله بالعقاب؛ لأنه عطف عليه قوله: ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ ولا يجوز في الكلام الفصيح أن يقال: عاقبهم وعاقبهم أو عذبهم وعذبهم؛ لأن العطف في الغالب يقتضي المغايرة، والنادر لا حكم له.

قال تعالى في سورة القتال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨﴾ الآية [٢٨].

ولا يجوز تأويله بأنهم أوجبوا عليه عقابهم، والله تعالى يعبر عن الثواب إذا أراده بحروفه.

---

(١) في «النهاية» (٢/ ٢٣٢).

(٢) كذا في «النهاية» وهو الصواب، وفي الأصل: «القلب»!

(٣) انظر: «لسان العرب» (٣٢٣، مادة «رَضِيَ»).

وقال تعالى في المؤمنين من أهل الكتاب الذين كانوا نصارى فسمعوا ما أُنزل إلى الرسول ففاضت أعينهم من الدمع فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٤ ـ ٨٥].

ويعبر عن العذاب بحروفه إذا أراده، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية [١١٥] ومثل ذلك كثير في القرآن.

وأثبت الله سبحانه صفة الغضب لنفسه، فمن ذلك: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ الآية [٩٣].

ولا يجوز أن يؤول غضب هنا بمعنى عذاب؛ لأنه مخلٌّ بالفصاحة والبلاغة، قال صاحب «الكواشف» (ص١٢٢):

«قال الشيخ رحمه الله (يعني شيخ الإسلام): «وقد ثبت بالسمع اتصاف الباري بالأفعال الاختيارية به، كالاستواء على العرش والقبض والبسط والنزول والخلق والرزق، المتعلقة بنفسه والمتعدية إلى الخلق، والفعل المتعدي واللازم لا بد أن يقوم بالفاعل، ويمتنع عقلاً وشرعاً أن يقوم بالفاعل، ويمتنع عقلاً وشرعاً أن يقوم بغيره في الحالين، وهذه الأفعال الاختيارية تبع لقدرته ومشيئته فما شاء قاله وتكلم به، وما شاء فعله في الحال والماضي والمستقبل، هذا أصل متفق عليه بين السلف وعليه دل الكتاب والسنة».

قال ابن القيم في النونية[1]:

أو ما علمت بأنه سبحانه ... حقاً يُكلِّمُ حِزْبَهُ بِجِنَانِ
فيقول جَلَّ جلالُهُ هَلْ أنتُمْ ... رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو[2] رِضْوَانِ
أم كَيفَ لا نَرْضَى وَقَدْ أعْطيتنا ... ما لَم نَنَلْهُ قَطّ مِنْ إنسَانِ
هل ثَمَّ شَيءٌ غَيرُ ذَا فيكونُ أفضـ ... ـلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ المَنَّانِ

---

(١) انظر: «نونية ابن القيم» (٣٨٨).

(٢) قال المؤلف: صوابه ذوو رضوان، لكنه يختل الوزن.

فيقول أفضلُ منهُ رِضْوَانِي فَلَا يَغْشَاكُمُ سَخَطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ»

وقال صاحب «الكواشف» نقلاً عن ابن القيم[(١)] (ص١٢٣):

«الرضا ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله: فالرضا بالله فرض، والرضا عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم؛ لعجزهم عنه ومشقته عليهم، وأوجبه بعضهم، وأما الرضا بكل مقضي فلا يجب، بل المقضي ينقسم إلى ما يجب الرضا به وهو[(٢)] الديني، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [النساء: ٦٥]، ومقضي كوني قدري، فإن كان فقراً أو مرضاً ونحو ذلك استحب الرضا به ولم يجب، وأوجبه بعضهم، وإن كان كفراً أو معصية حرم الرضا به، فإن الرضا به مخالفة لربه[(٣)] سبحانه لا يرضى بذلك ولا يحبه قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ الآية [الزمر: ٧]، وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب»[(٤)]. اهـ.

وقال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني: في «عقيدته» ما نصه:

«وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين[(٥)]، ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه[(٦)] عليه بتأويل مُنْكَر ويُجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله تعالى»[(٧)].

وفي «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٦٢) ما نصه:

---

(١) كلامه في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٧٩).

(٢) بعدها في مطبوع «الكواشف»: «المقضي».

(٣) بعدها في مطبوع «الكواشف»: «فإنه». (٤) انظر: «الكواشف الجلية» (٨٠).

(٥) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «بل».

(٦) قوله: «وتضعه عليه» خطأ وهو هكذا في الأصل، والله أعلم بالصواب. (منه).

(٧) انظر: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني (ص٢٨).

«ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات.

قال: ولا يقال: إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب[1] ويرضى ما لا يريده ويكره ويسخط ويغضب لما أراده، ويقال لمن تأول الغضب والرضا بإرادة الإحسان: لِمَ تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: لأن[2] الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة وذلك لا يليق بالله تعالى، فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب ويقال أيضاً: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه يزداد بوجوده وينقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء؛ فإن جاز هذا جاز هذا وإن امتنع هذا امتنع ذاك، فإن قالوا: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد وإن كان كل منهما حقيقة، قيل له: فقل: إن الغضب والرضا الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان كل ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل بل يجب تركه؛ لأنك تسلم من التناقض وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام ولا يكون الموجب للصرف ما دل عليه عقله إذا العقول مختلفة فكلٌ يقول: إن عقله دل على خلاف ما يقوله الآخر.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى؛ لامتناع ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به ووجود الباري كما يليق به.

---

(١) بعدها في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «عندهم».

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «إن».

فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته مثل: الحي والعليم والقدير، أو سمى به بعض صفاته كالغضب والرضا، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصّاً، فيثبت في كل منهما كما يليق به، بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية الآدميين؛ لأن الملائكة ليسوا من ذوي الأخلاط الأربعة حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقال: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك! وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت ولا يغضب في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**»[(١)]. اهـ.

---

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ (٣٣٤٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وما سبق من «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٢٤ ـ ٥٢٧)، و«الكواشف الجلية» (٨٥ ـ ٨٦).

إثبات صفة الفرح والضحك والعَجَب

قال شيخ الإسلام في «العقيدة الواسطية»: «وقوله ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته**»[١] الحديث متفق عليه.

وقوله: «**عجب ربُّنا من قنوط عباده وقُرْبِ خيره**[٢] **ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**»[٣] حديث حسن.

قال صاحب «الكواشف» في شرحه:

«في الأحاديث المذكورة إثبات صفة الفرح، والضحك، والعجب وهي من صفات الأفعال الاختيارية.

الحديث الأول: المفردات:

الفرح لغة: السرور، التوبة: الرجوع من المعصية إلى الطاعة، الراحلة من الإبل: ما كان صالحاً لأن يرحل[٤].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)، ومسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) كذا في الأصل، وفي كثير من كتب التوحيد المطبوعة!.

وفي أصل «الكواشف الجلية»: «غِيَره»، ولعله الصواب، وهو بمعنى تغير الحال، فحينئذٍ ضَميره لجنس العبد، والمراد تغيّر حاله من القوة إلى الضعف، ومن الحياة إلى الموت، ويحتمل أن يكون المعنى: تغيير الحال وتحويله، وحينئذٍ الضمير لله، والمعنى: أنه تعالى يعجب من أن العبد يصير آيساً من الخير بأدنى شر وقع عليه مع قرب تغيره تعالى الحال من شر إلى خير، ومن مرض إلى عافية، وهكذا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨١)، وأحمد (٤/ ١١، ١٢)، والطيالسي (١٠٩٢)، وابن أبي عاصم (٥٥٤)، وعبد الله بن أحمد (٢٦٤) كلاهما في «السنة»، والطبراني (١٩/ رقم ٤٦٩)، والدارقطني في «الصفات» (٣٠)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٧٩ ـ ٢٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٧٣) من حديث أبي رَزين، **وإسناده ضعيف**، فيه وكيع بن حدس مجهول، وقال عنه ابن حجر: «مقبول» أي: إذا توبع، وإلا فليِّن.

(٤) في مطبوع «الكواشف»: «اللام لام الابتداء».

هذا حديث جليل، فيه بشارة عظيمة ترتاح لها قلوب التائبين، المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في توبتهم، الخالعين ثياب الإصرار على المعاصي البعيدين عن سوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده الطالبين لعفوه الملتجئين إليه في مغفرة ذنوبهم وحصول مطالبهم[١].

روى هذا الحديث جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة[٢]، والبراء بن عازب[٣]، والنعمان بن بشير[٤]، وأنس[٥]، ولفظ حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»** متفق عليه[٦]، ولمسلم[٧]: **«لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فَلَاةٍ فانفلتت منه، وعليها طعامُه وشرابُه فأيسَ منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد[٨] أيس من راحلته فبينا[٩] هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»**. فهذا الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبته له ومودته له، فهذا الكشف والبيان والإيضاح لا مزيد عليه في[١٠] ثبوت هذه الصفة ونفي الإجمال والاحتمال، وفرحه تعالى بتوبة عبده؛ لأن رحمته سبقت غضبه، وكل ما

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «مطلوبهم».

(٢) أخرجه مطولاً النسائي في «الكبرى» ـ كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ٢٤) ـ ووقع فيه اضطراب شديد. انظره في: «العلل» (٧/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) للدارقطني، وأسنده بنحوه الدارقطني (٧/ ٢٧٠)، وابن عساكر في «التوبة» رقم (٥)، والحطاب في «مشيخته» (ص١١٥) رقم (٤)، والديلمي (٦٠٧)، **وإسناده ضعيف**، ويشهد له حديث ابن مسعود المتقدم تخريجه قريباً، وأخرجه مسلم (٢٦٧٥) مختصراً ضمن حديث، وهو المحفوظ.

(٣) أخرجه مسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٦) من حديث البراء بن عازب.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٤٥) من حديث النعمان بن بشير.

(٥) سيأتي لفظه.

(٦) أخرجه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٩) ـ وهذا لفظه ـ، ومسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٧) من حديث أنس.

(٧) برقم (٢٧٤٧) (٧).

(٨) كذا في «صحيح مسلم»، وفي الأصل: «وقد»!

(٩) كذا في «صحيح مسلم»، وفي الأصل: «فبينما».

(١٠) سقطت (في) من مطبوع: «الكواشف الجلية».

كان من صفة الرحمة فهو غالب لما كان من صفة الغضب فإنه سبحانه رحيم ورحمته من لوازم ذاته كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإحسانه فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك، ليس كذلك غضبه فإنه ليس من لوازم ذاته ولا يكون غضبان دائماً غضباً لا يتصور انفكاكه، ورحمته وسعت كل شيء وغضبه لم يسع كل شيء، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب على نفسه الغضب، ووسع كل شيء رحمة وعلماً ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً». اهـ.

الحديث الثاني: في هذا الحديث الجليل يخبرنا ﷺ عن كرمه[١] وجوده وأنه متنوع، فهذان الرجلان اللذان قتل أحدهما الآخر، جعل الله لكل منهما[٢] سبباً أوصله الجنة[٣]، فالأول قاتل في سبيل الله فأكرمه الله على يد الرجل الآخر الذي لم يسلم بعد بالشهادة التي هي أعلى المراتب بعد مرتبة الصدِّيقين، وأما الآخر فإن الله جعل باب التوبة مفتوحاً لكل من أراد التوبة بالإسلام[٤]، فلما تاب محا الله عنه الكفر وأثره[٥] ثم مَنَّ عليه بالشهادة؛ فدخل الجنة كأخيه الذي قتله.

الحديث الثالث: العجب: لغة استحسان الشيء، القنوط: شدة اليأس وقرب خيره؛ أي تغييره الحال من شدة إلى رخاء، أزلين: الأَزَلَ؛ بمعنى الشدة والضيق.

المعنى: يخبرنا ﷺ أن الله ـ جل وعلا ـ يعجب من قنوط عباده عند احتباس المطر ويأسهم من نزوله، وقد اقترب وقت الفرج ورحمته لعباده بإنزال الغيث عليهم وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون.

قال الشيخ: «والسبب في أن فرج الله يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق هو تحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ومن كمال نعمة الله على عباده المؤمنين أن يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتى يصرف قلوبهم إلى التوحيد، وقال ابن عدوان:

ويعجب ربي من قنوط عباده ... فألق لما بينت سمعك واهتدِ
وفي رقية المرضى مقال[٦] نبينا ... ألا ارق به مرضاك ياذا التسددِ
رواه أبو داود ياذا وغيره ... ألا احفظ هداك الله سنة أحمدِ»[٧]

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «كرم الله»، والحديث لم يسبق ذكره عند المصنف.
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «منها». (٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «إلى الجنة».
(٤) بعدها في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فما دونه».
(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «آثاره». (٦) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فقال».
(٧) انظر: «الكواشف الجلية» (١٧١ ـ ١٧٣).

صفة الرجل والقدم

قال تعالى في سورة «ق»: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠].

قال (ك): «يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها[١] أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين، فهو ﷻ يأمر[٢] بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول: هل من مزيد؟ أي: هل بقي شيء تزيدني؟ هذا الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث:

١ ـ قال البخاري عند تفسير هذه الآية بسنده: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول: قط قط**»[٣].

٢ ـ وقال (**أحم**) بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر، فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة؟**»[٤].

٣ ـ وقال (**خ**) بسنده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت: النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبِّرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي،**

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنه وعدها».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فهو سبحانه يأمر».

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حديث (٤٨٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٤)، وعلقه البخاري (٧٣٨٤) ووصله مسلم (٢٨٤٨) (٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ١٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٣١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٢٥)، والخطيب في «تاريخه» (٥/ ١٢٧).

ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول: قط قط[١]، فهنالك تمتلئ وينزوي[٢] بعضها إلى بعض ولا يظلم الله ﷻ[٣] من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقاً آخر؟»[٤].

٤ ـ روى مسلم في «صحيحه» بسنده: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«احتجَّت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فِيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى بينهما فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء عن عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها؟»[٥].**

٥ ـ وقال (**أحم**) بسنده: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **«افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين، فيقول الله[٦] تبارك وتعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء، ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى في النار أهلها فتقول: هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقى فيها وتقول: هل مزيد؟ حتى يأتيها ﷻ فيضع قدمه عليها فتنزوي[٧] وتقول: قدني قدني، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى[٨] أن يبقى فينشئ الله ﷻ[٩] لها خلقاً مما يشاء»[١٠].**

٦ ـ قال الحافظ أبو يعلى في «مسنده» بسنده عن أُبيّ بن كعب، قال: إن

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قط». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وَيُزوى».
(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «ﷻ».
(٤) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (٤٨٥٠).
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضُّعفاء، حديث (٢٨٤٧).
(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ﷻ». (٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فُتزوى».
(٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».
(٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «سبحانه وتعالى».
(١٠) أخرجه أحمد (٣/ ١٣)، وعبد بن حميد (٩٠٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٩٣، ٩٤ ـ ٩٥، ٩٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٤٥٤)، وابن حبان (٧٤٥٤) وغيرهم، وهو حديث صحيح.

رسول الله ﷺ قال: «**يُعرِّفني الله**(١) **تعالى نفسه يوم القيامة، فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم، فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل، حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وأنا على الحوض**»، قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال ﷺ(٢): «**والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من ريح**(٣) **المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ ولا يصرف فيروى أبداً**»(٤).

قال محمد تقي الدين: هذا الحديث وأمثاله تلقاه السلف الصالح بالقبول ولم يؤولوه ولم يحرفوه، فيقولون: إن لله قدماً مع نفي التشبيه بالمخلوقين، ورجلاً مع نفي التشبيه بالمخلوقين، وقد تقدم الكلام في اليدين والوجه، وجل الله أن يشبه شيئاً من خلقه، أو يشبهه شيء من خلقه، ولو كان ما ذكر في هذه الأحاديث غامضاً يحتاج إلى بيان لبينه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث، ونحن بهم مقتدون وعلى آثارهم بفضل الله مهتدون. اهـ.

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ﷻ».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «ﷺ».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «ريح».

(٤) أخرجه أبو يعلى في «المسند الكبير» ـ كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٥٦١) رقم (٤٥٦٤) ـ وابن أبي عاصم في «السنة» (٧١٧، ٧٩٠) مختصراً، **وإسناده ضعيف جداً**، فيه عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، متروك. ويشهد لبعض معانيه الأحاديث المتقدمة، وانظر كلام المعلق على: «المطالب» (١٥/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤)، وخلص إلى أن الحديث ضعيف جداً، لا يتقوى بالشواهد ومعناه صحيح، إلا قوله: «ولا يصرف فيروى أبداً» قال: «لم أجد له شاهداً صحيحاً، فيبقى على ضعفه»!!
وما سبق مطولاً في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١٩٣ ـ ١٩٦).

الكلام في الإسلام والإيمان والإحسان

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ الآية [آل عمران: ١٩، ٢٠]

قال (ك): «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إخباراً منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سدَّ جميعَ الطرق إليه، إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثه محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] الآية وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل(١) عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت(٢) الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بغض بعضهم البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: من جحد ما أنزل الله في كتابه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه.

---

(١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «منه».
(٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم».

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في التوحيد ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ أي: فقد أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ند له ولا ولد له ولا صاحبة له ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ أي: على ديني يقول كمقالتي كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨]. ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله محمد ﷺ أن يدعو إلى طريقة دينه[١] والدخول في شرعه وما بعثه الله به إلى الكتابيين من المليين[٢] والأميين من المشركين فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ أي: والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة[٣]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وما ذلك إلا لحكمته ورحمته، وهذا الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

وفي (خ م)[٤] وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم: عربهم وعجمهم، كتابيّهم وأميّهم، امتثالاً لأمر الله له بذلك.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني ومات، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»** رواه (م)[٥].

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «طريقته ودينه».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الكتابيين مِنَ الملتين».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الحجة البالغة».

(٤) انظر: «صحيح البخاري» كتاب العلم، باب ما يُذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان حديث (٦٥)، و«صحيح مسلم» كتاب الجهاد والسير، حديث (١٧٧٣/ ٧٤).

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان (٢٤٠).

وقال ﷺ: «**بعثت إلى الأحمر والأسود**»[(١)]، وقال: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[(٢)].

وقال (أحمد) بسنده: عن أنس: «إن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوءَهُ ويناوله نعليه، فمرض؛ فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبي ﷺ: «**يا فلان قل: لا إله إلا الله**» فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد عليه ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أخرجه**[(٣)] **بي من النار**»[(٤)]. رواه (خ) في «الصحيح» إلى غير ذلك من الآيات والآحاديث»[(٥)].اهـ.

وعن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**» قال: صدقت؛ فعجبنا له، يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم**

---

(١) قطعة من حديث أخرجه بهذا اللفظ مسلم كتاب المساجد، باب منه (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله، وهو عند البخاري باللفظ الآتي.

(٢) قطعة من حديث أخرجه بهذا اللفظ البخاري كتاب الطهارة، باب التيمم (٣٣٥)، وباب قول النبي ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**» (٤٣٨) من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) قال المصنف: (أخرجه) إن صحت هذه اللفظة فمعناها حفظه (منه).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٥) وهو عند البخاريِّ كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبيُّ فمات هل يُصلَّى عليه؟ حديث (١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٦ ـ ٣٩).

دينكم». رواه (م)[١].

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» في شرح هذا الحديث ما نصه:

«فأما الإسلام، فقد فسره النبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة من القولِ والعملِ، وأول ذلك: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو عمل اللسان، ثم إقامة[٢] الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من[٣] استطاع إليه سبيلاً، وهي منقسمة إلى عمل بدني: كالصلاة والصوم، وإلى عمل مالي: وهو إيتاء الزكاة، وإلى ما هو مركبٌ منهما: كالحجِّ بالنسبة إلى البعيد عن مكة.

وفي رواية ابن حبان[٤] أضاف إلى ذلك: الاعتمارَ والغُسلَ من الجنابة وإتمام الوضوء، وفي هذا تنبيهٌ على أن جميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمى الإسلام.

ثم قال: من أقر بالشهادتين صار مسلماً حكماً، فإذا دخل في الإسلام بذلك ألزم القيام ببقية خصال الإسلام، ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام»[٥].

قال محمد تقي الدين: وللشهادتين شروط لا تنفعان إلا بها:

الأول: معرفة معناهما، **الثاني**: اعتقاد صحة هذا المعنى، **الثالث**: العمل بمقتضاهما فمن دعا غير الله أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كإنزال المطر وشفاء المريض وإعادة عقل المجنون بلا علاج وتنوير القلب وشرح الصدر وهداية القلوب وما أشبه ذلك، فهو كافر لا ينفعه النطق بلا إلٰه إلا الله؛

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيانُ الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه (٨).

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إقام».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «لمن».

(٤) في «صحيحه» (١٧٣ ـ التعليقات الحسان)، وأخرجها أيضاً: ابن خزيمة (١/ ٣ ـ ٤)، وأبو نعيم في «المستخرج» (١/ ١٠٢)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧، ١٤٩) من طريق سليمان التيمي عن يحيي بن يعمر عن ابن عمر عن عمر وهذه الرواية عند مسلم (١/ ٣٠) ولكنه لم يسق لفظها، وهذا مسلك من مسالك التعليل الخفية عنده!
قال ابن حبان عقبه: «تفرد سليمان التيمي بقوله: «تعتمر وتغتسل وتتم الوضوء»».

(٥) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٨).

لأنه إما أن يكون جاهلاً بمعناها أو جاحداً له، وكلاهما كفر، ومن خالف رسول الله ﷺ على عمد فيما جاء به من أمور الدين، فهو جاهل بمعنى محمد رسول الله ﷺ أو جاحد لهذه الشهادة.

ثم قال: «ومما يدل على أن جميع الأعمال الظاهرة تدخل في مسمى الإسلام قوله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[(١)]. اهـ.

قال محمد تقي الدين: وبهذا يظهر أن الإسلام ليس متحصراً في الأمور الخمسة المذكورة في حديث جبريل، وإنما اقتصر النبي ﷺ عليها؛ لأن أكثر الناس يستطيعونها ولأن النيابة لا تجزئ فيها، فلا يفعلها أحد عن أحد في الجملة بخلاف غيرها كقضاء الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله إذا لم يكن فرض عين، وإقامة العدل بين الناس، وأيضاً فإن تلك الخمسة لا تصح إلا بالنية وغيرها يصح ولو بلا نية كقضاء الدين مثلاً، وإلا فكل ما أخبرنا النبي ﷺ أنه فرض لا يتم الإسلام إلا به. اهـ.

ثم قال ابن رجب:

«وفي «الصحيحين»[(٢)] عن عبد الله بن عمرو[(٣)] أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: **«أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»**[(٤)]. اهـ.

قال محمد تقي الدين: فهاتان الفريضتان من خير فرائض الإسلام، وهما إطعام الطعام وقراءة السلام، ولم تذكرا في حديث جبريل. اهـ.

ثم قال ابن رجب:

«وفي «صحيح الحاكم» عن أبي هريرة قال: **«إنّ للإسلام صوىً[(٥)] ومناراً**

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٩٩)، والحديث أخرجه البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢) من حديث أبي موسى، ومسلم (٤١) من حديث جابر.

(٢) أخرجه البخاري (١٢، ٢٨، ٦٢٣٦)، ومسلم (١٠١٣).

(٣) الأصل: «ابن عمر» بضم العين، وصوابه فتحها، كما في «جامع العلوم والحكم»، ومصادر التخريج.

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٩).

(٥) في الأصل: «ضوء»! وهو تحريف. والصُّوى: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي المجهولة، فيستدل بتلك الأعلام على طرقها، واحدتها (صُوَّة)، قاله أبو عبيد.

كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسليمك على بني آدم إذا لقيتهم، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، فمن انتقض منهن شيئاً فهو سهم من الإسلام تركه(١)، ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»(٢).

وخرج(٣) ابن مردويه من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**للإسلام ضياء ونور(٤) وعلامات كمنار الطريق، فرأسها وجماعُها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإتمام(٥) الوضوء والحكم بكتاب الله وسنة نبيه وطاعة ولاة الأمر وتسليمكم على أنفسكم وتسليمكم على أهليكم إذا دخلتم بيوتكم، وتسليمكم على بني آدم إذا لقيتموهم»(٦)**، وفي إسناده ضعف، ولعله موقوف»(٧). اهـ.

قال محمد تقي الدين: ولا يضر ضعفه لأنه سيق لتقوية ما قبله.

ثم قال ابن رجب:

«وصح عن حذيفة أنه قال: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، ولعل السهم(٨) الثامن

---

(١) كذا الصواب، وفي الأصل: «فهو متهم من الإسلام بتركه»، وهذا تحريف قبيح!

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١) ـ وإطلاق «الصحيح» عليه تساهل غير مرضي ولا سيما من أمثال العلامة ابن رجب ـ.
وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٨٣)، و«الإيمان» رقم (٣) ـ ومن طريقه ابن بشران في «الأمالي» (٥٢٧)، وعبد الغني المقدسي في «الأمر بالمعروف» رقم (٩) ـ، والطبراني في «مسند الشاميين» (٤٢٩)، وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٠)، والشجري في «أماليه» (١/ ٣٨)، وابن شاهين في «الترغيب» (٤٨٧)، وأبو نعيم (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨) **والحديث صحيح بشواهده**، وانظر: «الصحيحة» (٣٣٣).

(٣) في الأصل: و«خرجه».

(٤) في «جامع العلوم والحكم» بدون: «ونور».

(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وتمامُ».

(٦) عزاه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٨) للطبراني في «الكبير» **بسند لا بأس به في الشواهد**، أفاده شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣).

(٧) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وحجُّ البيتِ سهمٌ»! ولعل سبب وجود كلمة (لعل) إملاء المصنف الأثر من حفظه، والله أعلم.

الحج، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وخاب من لا سهم له»، وخرجه البزار[(١)] مرفوعاً والموقوف أصح[(٢)]، ورواه أبو يعلى[(٣)] عن علي مرفوعاً، والموقوف على حذيفة أصح؛ قاله الدارقطني وغيره»[(٤)].اهـ.

قال محمد تقي الدين: وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي.

ثم قال ابن رجب:

«وقوله: يعني «الإسلام سهم»، أي: الشهادتان؛ لأنهما علم الإسلام وبهما يصير الإنسان مسلماً. وكذلك ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام أيضاً، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[(٥)]، وسيأتي في موضعه إن شاء الله .

ويدل على هذا أيضاً ما أخرج (حم) و(ت) و(ن) من حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «**ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أحد[(٦)] أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك! لا تفتحه فإنك[(٧)] إن فتحته تلجه. والصراطُ: الإسلام، والسوران: حدود الله ﷻ، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق[(٨)] الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم**»[(٩)]، زاد (ت): ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ

---

(١) في «البحر الزخار» برقم (٣٣٦)، وأخرجه أيضاً برقم (٣٣٧).

(٢) أخرجه الطيالسي (٤١٣) موقوفاً.

(٣) في «مسنده» برقم (٥٢٣)، وأخرجه من حديث علي أيضاً الطبراني في «الصغير» (٢/ ٤٠ - ٤١)، و«الأوسط» (٦٤٥٠) **وسنده حسن**، قاله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٨٠).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠١ - ١٠٢).

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «أحدٌ».

(٧) سقطت من مطبوع «جامع العلوم والحكم».

(٨) في الأصل: «جوف»! والصواب المثبت.

(٩) وهم المصنف في جعل الحديث من مسند (العرباض) وإنما هو من حديث (النواس بن سمعان) كما في مصادر التخريج المذكورة وغيرها، وهذا تخريج موجز له: أخرجه أحمد =

ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، ففي هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ أن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي أمر الله[١] بالاستقامة عليه، ونهى عن مجاوزة حدوده وأن من ارتكب شيئاً من المحرمات فقد تعدى حدوده.

وأما الإيمان؛ فقد فسره النبي ﷺ في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٢]، وقد ذكر الله في كتابه الإيمان بهذه الأمور[٣] الخمسة في مواضع كقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٣].

والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتاب والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به، وغير ذلك[٤] من صفات الله[٥] وصفات اليوم الآخر، كالصراط والميزان والجنة والنار، وقد أُدخِلَ

= في «المسند» (٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣ و١٨٣)، والترمذي في «السنن» كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده (٥/ ١٤٤/ ٢٨٥٩) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٣)، والطبري في «جامع البيان» (١٨٦ و١٨٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢١٤١ و٢١٤٢ و٢١٤٣)، والرامهرمزي في «الأمثال» رقم (٣)، وأبو الشيخ في «الأمثال» رقم (٢٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٨، ١٩)، وابن نصر في «السنة» (٥)، والآجري في «الشريعة» (١١) من طريقين عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي «تحفة الأشراف» (٩/ ٦١): حسن غريب، وهو اللائق؛ لأن رواته ثقات.

وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في «تفسيره»: «وهذا **إسناد حسن صحيح**»، وقال ابن القيم في «الإعلام» (٢/ ٤٠٨ ـ بتحقيقي) عند هذا الحديث: «**فليتأمل العارف قدر هذا المثل، وليتدبره حق تدبره، ويزن به نفسه، وينظر أين هو منه، وبالله التوفيق**».

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تعالى».
(٢) أخرجه مسلم في أول «صحيحه» (الحديث الأول) منه عن عمر بن الخطاب.
(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الأصول».
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «وغير ذلك».
(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تعالى».

في الإيمان: الإيمان[(١)] بالقدر خيره وشره، ولأجل هذه الكلمة روى ابن عمر هذا الحديث محتجاً به على من أنكر القدر وزعم أن الأمر أُنُف، يعني: إنه مستأنف لم يسبق به سابق قدر من الله ﷻ، وقد غلظ عبد الله بن عمر عليهم وتبرأ منهم، وأخبر أنه لا تقبل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر.

والإيمان بالقدر على درجتين:

أحدهما: الإيمان بالله[(٢)] تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم[(٣)] من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

والدرجة الثانية: أن الله خلق أفعال العباد[(٤)] كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم.

فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة وتنكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم، كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته[(٥)] وكعمرو بن عبيد[(٦)] وغيره.

وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن جحدوا[(٧)] فقد كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأن الله تعالى[(٨)] قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد كتب ذلك عنده في كتاب حفيظ، فقد كذَّب بالقرآن فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا

---

(١) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «وقد أُدخل في هذه الآيات الإيمان...».

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «بأن الله».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «ومن هو منهم».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تعالى خلق أفعال عباده».

(٥) ثبت ذلك عنه في (الحديث الأول) في «صحيح مسلم».

(٦) للدارقطني جزء مفرد فيه، وبيان ضلاله، وفرغت منه قديماً، يسر الله نشره.

(٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «جحدوه».

(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

أن الله خلق أفعال العباد[١] وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا؛ لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه.

وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء، وأما من أنكر العلم القديم، فنص الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام.

فإن قيل: فقد فرق النبي ﷺ في هذا الحديث بين الإسلام والإيمان، وجعل الأعمال كلها من الإسلام لا من الإيمان، والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان.

وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، **وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من[٢] الإيمان إنكاراً شديداً.**

وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي[٣] والزهري[٤] ويحيى بن أبي[٥] كثير وغيرهم، وقال الثوري: هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: وكان مَن مضى مِن[٦] السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار:

أما بعد: فإن للإيمان[٧] فرائض وشرائع[٨]، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. ذكره (خ)[٩] في «صحيحه».

وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عباده».
(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عن الإيمان».
(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إبراهيم النخعي».
(٤) بعدها في الأصل: «وإبراهيم»! ولا وجود له في مطبوع «جامع العلوم والحكم» لأنه النخعي المتقدم.
(٥) سقطت كلمة «أبي» من الأصل.
(٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ممن سلفَ».
(٧) كذا في «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «الإيمان».
(٨) بعدها في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وحدوداً وسنناً».
(٩) تعليقاً في كتاب «الإيمان»، باب قول النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس**» ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٤٩) وغيره.

إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ الآية [الأنفال: ٢].

وفي (ق)[١] عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بأربع: الإيمان بالله وحده**[٢]**، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً**[٣] **رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم**[٤] **الخمس**».

وفي (ق)[٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال «**الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها أماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» (ولفظه لمسلم).

وفي «الصحيحين»[٦]: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**». فلولا أنَّ ترك هذه الكبائرَ من مُسَمَّى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلّا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته. وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمالَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ كتاب مواقيت الصلاة، باب ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ (٥٢٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه مَن لم يبلغه (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «وحده».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «وأن محمداً رسول الله».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «المغنم».

(٥) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥) من حديث أبي هريرة.

(٦) أخرجه البخاريُّ كتاب المظالم والغصب، باب النُهبَى بغير إذنِ صَاحبه (٢٤٧٥)، وكتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥٥٧٨)، وكتاب الحدود وما يُحذَرُ من الحدود، باب لا يُشربُ الخمر (٦٧٧٢)، وكتاب المحاربين مِن أهل الكفر والرِّدة، باب إثم الزُّناة (٦٨١٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧) من حديث أبي هريرة.

في مُسمَّى الإسلامِ دون [مُسمَّى][(١)] الإيمان، فإنَّه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكونَ شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرِنَ ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض [تلك][(٢)] المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل ما هو[(٣)] محتاج؛ فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها. فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرِدَ أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي.

وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي[(٤)] في «رسالته إلى أهل الجبل»: «قال كثير من أهل السنة والجماعة: إنَّ الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فَرَضَ الله على الإنسان أن يفعل إذا ذكر كلُّ اسم على حدته[(٥)] مضموماً إلى الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين[(٦)] أريد بإحدهما معنى لم[(٧)] يرد به الآخر، وإذا ذُكِرَ أحد الاسمين شَمِلَ الكُلَّ وعَمَّهُم»[(٨)]. وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن»[(٩)] وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

ويدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ فسر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل.

وفَسَّر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان»[(١٠)].اهـ.

قال محمد تقي الدين: وبيان ذلك كما قال المحققون أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

---

(١) و(٢) أثبتها من مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وسقطت من الأصل.
(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «كل مَنْ».
(٤) في الأصل: «الإسماعلي»! والمثبت هو الصواب.
(٥) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم». و«اعتقاد الإسماعيلي» (ص٦٦) وفي الأصل: «حدة»!
(٦) و(٧) سقطت من الأصل، وأثبتها من مطبوع «جامع العلوم والحكم» و«اعتقاد الإسماعيلي».
(٨) انظر: «اعتقاد أئمة الحديث» للإسماعيلي (ص٦٧).
(٩) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٤/ ٣١٥، ط. المكتبة العلمية).
(١٠) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠١ ـ ١٠٦).

يعني: إذا ذكر الإسلام والإيمان في موضع واحد افترقا في الدلالة، فيدل الإسلام على الأعمال الظاهرة ويدل الإيمان على ما ذكر في حديث جبريل، وهو التصديق، وأما إذا ذكر كل واحد منهما وحده فإنهما يجتمعان.

فالإسلام الصحيح يدل على الأعمال الظاهرة وتصديق القلب، والإيمان كذلك يدل عليهما. وهذا ملخص ما تقدم.

ثم قال ابن رجب: «وفي «المسند» للإمام أحمد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**الإسلامُ علانية والإيمان في القلب**»[(١)]. وهذا لأنَّ الأعمال تظهر علانية والتصديق في القلب لا يظهر.

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه إذا صلَّى على الميت: «**اللهمَّ من أحييته منَّا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته مِنَّا فتوفّه على الإيمان**»[(٢)]؛ لأن العمل[(٣)] بالجوارح وإنما يُتمكَّنُ منه في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب، ومن هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مُضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب**»[(٤)]. فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمناً؛ فإنه قد يكون الإيمانُ ضعيفاً فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً مع عمل جوارحِه بأعمال الإسلام، فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمانَ التامّ كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الآية

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وأبو يعلى (٢٩٢٣)، والبزار (٢٠ ـ زوائده) في «مسانيدهم»، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٦)، والعقيلي (٣/ ٢٥٠)، وابن عدي (٥/ ١٨٥٠)، وابن حبان (٢/ ١١١) جميعهم في «الضعفاء»، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٤٩)، ومدار إسناده على علي بن مسعدة، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٨)، وأبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٧٩، ١٠٨١)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأبو يعلى (٦٠٠٩، ٦٠١٠)، وابن حبان (٣٠٧٠)، والطبراني في «الدعاء» (١١٧٤ ـ ١١٧٧)، والطحاوي في «المشكل» (٩٧١)، والحاكم (١/ ٣٥٨)، والبيهقي (٤/ ٤١)، **والحديث صحيح بطرقه وشواهده**.

(٣) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «الأعمال»!

(٤) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير، والمذكور قطعة منه.

[الحجرات: ١٤]، فلم(١) يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول ابن عباس وغيره، بل كان إيمانهم ضعيفاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ الآية [الحجرات: ١٤]، يعني لا ينقصكم من أجورها، فدل على أن معهم من الإيمان ما يقبل(٢) به أعمالهم.

وكذلك قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص لما قال له: لم لا تعط فلاناً وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ: «**أو مسلم**»(٣) يشير إلى أنه لم يتحقق(٤) مقام الإيمان، فإنما(٥) هو في مقام الإسلام الظاهر.

ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن، لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضاً، لكن اسم الإيمان ينفى عن من ترك شيئاً من واجباته، كما في قوله ﷺ(٦): «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»(٧). اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: وافق الحافظَ ابنَ رجب الحافظُ ابنُ القيم في أن أولئك المذكورين في آخر سورة الحجرات وهم الأعراب كان عندهم شيء من الإيمان(٨)، وهذا أحد القولين لأهل السنة، والقول الثاني: أنهم كانوا منافقين لا حظ لهم في

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ولم».
(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تُقبل».
(٣) أخرجه البخاري (٢٧، ١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠) من حديث سعد بن أبي وقاص.
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «يُحقِّق».
(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وإنما».
(٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «ﷺ».
(٧) أخرجه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وما سبق مأخوذ من «جامع العلوم والحكم» (١/١٠٨ ـ ١١١).
(٨) قرر ذلك في «مدارج السالكين» (٣/٩١) وفصّله من وجوه في «بدائع الفوائد» (٤/١٧)، وهذا نص كلامه رحمه الله تعالى فيه على تفسير الآية:
«نفياً للإيمان المطلق لا مطلق الإيمان لوجوه منها:
أنه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك.
ومنها: أن هؤلاء الجفاة الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم، وجفاء لا نفاقاً وكفراً.
ومنها: أنه قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ ولم ينف دخول الإسلام في قلوبهم، =

الإيمان، وهو الذي رجحه (خ)[1]، وإليه أميل؛ لأن الله تعالى نفى عنهم الإيمان بقوله، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا يجوز أن يقال: بل دخل الإيمان في قلوبهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ إلخ [الحجرات: ١٤]، فليس فيه دليل على أنهم كانوا مؤمنين؛ لأن طاعة الله ورسوله لا تقبل إلا بعد دخول الإيمان في القلوب، وهو مطابقة اللسان للقلب، وهؤلاء لم تكن قلوبهم مطابقة لألسنتهم وحديث سعد يؤيد هذا الترجيح، فإنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، فقال له النبي ﷺ: «**أو مسلماً**»، فأعاد عليه هذا القول ثلاث مرات، فأجابه فيهن بالجواب نفسه ثم قال له: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه**»[2]، الحديث.

فقول النبي ﷺ: «**أو مسلماً**»، معناه والله أعلم: لعل هذا الرجل الذي حلفت أنه مؤمن ليس كما ظننت وإنما هو مسلم، فظهر بذلك أن من لم يدخل الإيمان في قلبه مسلم فيما يرى الناس وليس بمؤمن، والله أعلم». اهـ.

ثم قال ابن رجب:

«وقد اختلف أهل السنة: هل يسمَّى مؤمناً ناقص الإيمان أو يقال: ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين: وهما روايتان عن أحمد[3] وأما اسم الإسلام فلا

= ولو كانوا منافقين لنفي عنهم الإسلام كما نفي الإيمان.

ومنها: أن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الحجرات: ١٤]. أي: لا ينقصكم والمنافق لا طاعة له.

ومنها: أنه قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ [الحجرات: ١٧]. فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمنوا على رسول الله ﷺ، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً؛ لقال لم تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذبهم في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]؛ لما لم تطابق شهادتهم اعتقادهم.

ومنها: أنه قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ ولو كانوا منافقين لما من عليهم.

ومنها أنه قال: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ ولا ينافي هذا قوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ فإنه نفي الإيمان المطلق ومن عليهم بهدايتهم إلى الإسلام هو متضمن لمطلق الإيمان».

(١) كذا في الأصل بخاء! وصوابه جيم، إذ المذكور هو الذي قرره ابن جرير في «تفسيره» (٢١/٢٨٨)، ولا يوجد في «صحيح البخاري» ما يدل على مذهبه عند الآية المذكورة في (كتاب التفسير)، ووجدته رأياً للزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/٢٠٨).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (١/١١٠).

ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته، وإنما ينفى بالإتيان بما ينافيه بالكلية، ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عن من ترك شيئاً من واجباته كما ينفي الإيمان عن من ترك شيئاً من واجباته، وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أيضاً، وقد اختلف العلماء: هل يسمَّى مرتكب الكبائر كافراً كفراً أصغر[١] أو منافقاً النفاق الأصغر، ولا أعلم أن أحداً منهم أجاز إطلاق نفي اسم الإسلام عنه إلا أنه روى عن ابن مسعود أنه قال: «ما تارك الزكاة بمسلم»[٢]. ويحتمل أنه كان يراه كافراً بذلك خارجاً عن[٣] الإسلام.

وكذلك روي عن عمر فيمن تمكَّن من الحج ولم يحج، أنهم ليسوا بمسلمين[٤]، والظاهر أنه كان يعتقد كفرهم، ولهذا أراد أن يضرب عليهم الجزية بقوله: لم يدخلوا في الإسلام بعد[٥]، فهم مستمرون على كتابيتهم، وإذا تبين أن اسم الإسلام لا ينتفي إلا بوجود ما ينافيه ويخرج عن الملة بالكلية، فاسم الإسلام إذا أطلق أو اقترن به المدح دخل فيه الإيمان كله من التصديق وغيره.

---

(١) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «صغيراً»!

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ١١٤) **بسند ضعيف** عن ابن مسعود قال: «ما مانع الزكاة بمسلم».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «من».

(٤) أخرج أبو بكر الإسماعيلي ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٨)، و«مسند الفاروق» (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ـ، وابن أبي شيبة ـ كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٧٥) ـ عن عمر قال: «من أطاق الحج ولم يحجَّ، فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً».
قال ابن كثير في «مسند الفاروق» (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ـ وعزاه فيه للأوزاعي ـ: «**هذا إسناد صحيح**» وصححه في «التفسير» أيضاً.

(٥) أخرج سعيد بن منصور في «السنن»، وابن أبي شيبة ـ كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٠٠) عن عمر قال: «لقد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا إلى كل من كان عنده جدة ولم يحجّ، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين»، **وصححه** السيوطي، وأورد ابن كثير إسناد سعيد في «التفسير» (٣/ ١٢٨) وهو من طريق الحسن عن عمر، وهو منقطع، وأورده في «مسند الفاروق» (١/ ٢٩٣) من طريق قتادة قال: ذُكر لنا عن عمر. . . وسرده. وقال: «ورواه سعيد في «سننه»، وهذا منقطع بين قتادة وعمر»، وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «يقول» بدل «بقوله».

وأخرج[١] (ن)[٢] من حديث عقبة[٣] بن مالك أن النبي ﷺ بعث سرية فأغارت[٤] على قوم، فقال رجل منهم: إنِّي مسلم فقتله رجل من السرية، فنُمي الحديثُ إلى رسول الله ﷺ فقال فيه قولاً شديداً، فقال الرجلُ: إنما قالها تعوذاً من القتل، فقال النبي ﷺ: **«إن الله أبى عَليَّ أن أقتل مؤمناً»** ثلاث مرات. فلولا أن الإسلام المطلق يدخل فيه الإيمان والتصديق بالأصول الخمسة لم يصر من قالَ: أنا مسلم، مؤمناً بمجرد هذا القول، وقد أخبر الله تعالى عن ملكة سبأ أنها دخلت في الإسلام بهذه الكلمة وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وأخبر عن يوسف عليه السلام أنه دعا بأن يموت[٥] على الإسلام[٦] وهذا كله يدل على أن الإسلام المطلق يدخل فيه ما يدخل في الإيمان من التصديق.

وفي «سنن ابن ماجه»[٧] عن عَديٍّ بن حاتم قال: قال[٨] رسول الله ﷺ: **«يا عديُّ، أسلم تسلم»** قلت: وما الإسلام؟ قال: **«أن[٩] تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتؤمن بالأقادر كلها خيرها وشرها[١٠] وحلوها ومرها»**.

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «خَرَّج».

(٢) في السِّيَر من «السنن الكبرى» ـ كما في «التحفة» (٧/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣) ـ ورواه أيضاً أحمد (٤/ ١١٠ و٥/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٤٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ رقم ٩٨٠ و٩٨١)، وأبو يَعْلى (٦٨٢٩)، والحاكم (١/ ١٩)، والبيهقي (٨/ ٢٢)، **وإسناده صحيح**، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٧)، وقال: «رجاله كلهم ثقات».

(٣) في الأصل: «عبيد» والصواب المثبت، وهو كذلك في «جامع العلوم والحكم» ومصادر التخريج.

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فغارت».

(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «دعا بالموت».

(٦) وذلك في قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

(٧) برقم (٨٧). وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٥)، والطبراني (١٧/ رقم ١٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٦٨ ـ ٦٩)، **وإسناده ضعيف جداً**، فيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك ولقوله: «أسلم تسلم» طريق أخرى حسنه أخرجها أحمد (٤/ ٢٥٧)، والحاكم (٤/ ٥١٨ ـ ٥١٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٥٤٣) وأصله عند البخاري (٣٥٩٥).

(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «قال لي».

(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «أن».

(١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «و».

فهذا نص في أن الإيمان بالقدر من الإسلام، ثُمَّ أن[١] الشهادتين من خصال الإسلام بغير نزاع، والحق أن التصديق القائم بالقلوب يتفاضل[٢]، وهذا هو الصحيح، وهو أصح الروايتين عن أبي عبد الله أحمد[٣] بن حنبل، فإن إيمانَ الصِّدِّيقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب[٤]، ليس كإيمان غيرهم فلا يبلغ[٥] هذه الدرجة من[٦] لو شكك لدخله الشك، ولهذا جعل النبي ﷺ مرتبة الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه وهذا لا يحصل لعموم المؤمنين، ومن هنا جاء في الحديث[٧]: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره»[٨].

وسئل ابن عمر: هل كانت الصحابة يضحكون؟ فقال: «نعم، وإن الإيمان[٩] في قلوبهم أمثال الجبال»[١٠]. فأين هذا ممن لا إيمان في قلبه ما يزن ذرة ولا شعيرة[١١] كالذين يخرجون من أهل التوحيد من النار»[١٢].

فصل

ثم قال ابن رجب:

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «والحقُّ».
(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «لمتفاضل».
(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عن أحمد».
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ولا الارتياب».
(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ممن لم يبلغ».
(٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «بحيث».
(٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «قال بعضهم».
(٨) ليس هذا بحديث، وإنما هو من قول أبي بكر بن عياش، ولذا فقد أحسن ابن رجب لما عزاه لبعضهم خلافاً للمصنف الذي جعله حديثاً!
انظر للتفصيل: «السلسلة الضعيفة» (٩٦٢) لشيخنا الألباني.
(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «والإيمان» دون «إن».
(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٦٧١، ٢٠٩٧٦) ولفظه: «أعظم من الجبال»، وانظر: «عمدة القاري» للعيني (٢٢/ ١٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٨/ ١٩٧).
(١١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فأين هذا ممن الإيمانُ في قلبه يزنُ ذرَّةً أو شعيرةً»، والفرق بين العبارتين كبير، فتأمل!
(١٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١١١ ـ ١١٤).

«قد تقدم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان أيضاً، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسماها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة، فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى[(١)]، والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله ﷻ[(٢)]، وخوف الله سراً وعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، والحب[(٣)] في الله والبغض في الله، والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها، والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران، ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم، والحزن بما يحزنهم.

ولنذكر بعض النصوص الواردة بذلك، فأما ما ورد في دخوله في اسم الإسلام ففي «مسند (ح)» و(ن) عن معاوية بن حيدة قال: قلت: يا رسول الله بالذي بعثك بالحق ما الذي بعثك الله به[(٤)]؟ قال: «**الإسلام**» قلت: وما الإسلام؟ قال: «**أن تسلم قلبك لله تعالى**[(٥)] **وأن توجّه وجهك إلى الله**[(٦)] **وأن تصلي**[(٧)] **الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة**» وفي رواية[(٨)]: قلت: وما آية الإسلام؟[(٩)] فقال:

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».
(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «ﷻ».
(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «والمحبةُ».
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الذي بعثك به».
(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».
(٦) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، ومصادر التخريج، وفي الأصل: «وجهك لله».
(٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وتصلي» بدون «أن».
(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «له».
(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «قال».

«أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخلّيت(١) **وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكل**(٢) **المسلم على المسلم حرام»**(٣).

وفي «السنن» عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته بالخَيفِ من مِنى: **«ثلاث لا يُغِلُّ عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم»**(٤)، فأخبر أن هذه الثلاث الخصال تنفي الغل عن قلب المسلم. وفي «الصحيحين»(٥) عن أبي موسى

---

(١) هكذا في الأصل وفيه نظر (منه) قال أبو عبيدة: لا نظر فيها، فـ«تخلَّيتُ» من (التخلّي). أراد التبعُّد من الشرك وعقد القلب على الإيمان، أي: تركت جميع ما يعبد من دون الله، وحدت عن الميل إليه فارغاً.

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وكلُّ مسلم على مسلم حرام».

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣ و٤ و٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٠١)، وأبو داود (٢١٤٢)، والنسائي (٥/ ٤ و٨٢ ـ ٨٣) وفي «الكبرى» (١١٤٦٩)، وابن ماجه (٢٣٤، ٢٥٣٦)، وعبد الرزاق (٢٠١١٥)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١٤٢)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠١ ـ ٤٠٤)، وابن عدي (٢/ ٥٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٩٦٩ ـ ٩٧٣، ١٠٣٤ ـ ١٠٣٦)، وفي «الأوسط» (٦٣٩٨)، وابن حبان (١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٣٠٥)، **وإسناده حسن**.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٣١، ٣٠٥٦)، وأحمد (١/ ٨، ٨٢)، والدارمي (١/ ٧٤، ٧٥)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٠ ـ ١١)، والطحاوي في «المشكل» (١٦٠١، ١٦٠٢)، والطبراني (١٥٤١، ١٥٤٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٤ ـ ٥)، والحاكم (١/ ٨٧)، وأبو يوسف في «الخراج» (٩ ـ ١٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٢١)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٦٠٤)، **وإسناده ضعيف**. ولم يخرجه من أصحاب «السنن» إلا ابن ماجه، فإطلاق ابن رجب ومتابعة المصنف في العزو لها جميعاً قصور لا يخفى، ونفيه عنها جميعاً كما قال المعلقان على «جامع العلوم والحكم» خطأ، ونص عبارتيهما: «قول المصنف» وفي «السنن» يوهم أنه في «السنن الأربعة» أو أحدها، وليس هو في شيء منها»!

ويغني عنه، ما أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠، ٤١٠٥)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، وفي «الزهد» (ص٣٣)، والدارمي (٢٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٤)، وفي «الزهد» (١٦٣)، والطحاوي في «المشكل» (١٦٠٠)، وابن حبان (٦٧، ٦٨)، والطبراني (٤٨٩٠، ٤٨٩١)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٣٦، ١٧٣٧) من حديث زيد بن ثابت، **وإسناده صحيح**.

(٥) أخرجه البخاريُّ كتاب الإيمان، باب أيُّ الإسلام أفضل؟ (١١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأيُّ أموره أفضل؟ (٤٢) من حديث أبي موسى الأشعري.

عن النبي ﷺ أنه سئل: أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، وفي «صحيح مسلم»(١): عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم فلا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**».

وأما ما ورد في دخوله في اسم الإيمان فمثل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [الحديد: ١٦]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وفي «صحيح مسلم»(٢): عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ قال: «**ذاق طعمَ الإيمان: من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»، والرضا بربوبية الله يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، والرضا(٣) بتدبيره للعبد واختياره له، والرضا بالإسلام ديناً يتضمن اختياره على سائر الأديان، والرضا بمحمد رسولاً؛ يتضمن(٤) الرضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم والانشراح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [النساء: ٦٥]، وفي «الصحيحين»(٥): عن أنس عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظُلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر (٣٤) من حديث العباس بن عبد المطلب.

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وبالرضا».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «يقتضي».

(٥) أخرجه البخاريُّ كتاب الإيمان، باب حَلاوة الإيمان (١٦)، وباب مَن كره أن يعودَ في الكفر كما يكره أن يلقى في النَّار من الإيمان (٢١)، وكتاب الأدب، باب الحبُّ في الله (٦٠٤١)، وكتاب الإكراه، باب من اختار الضَّرب والقتلَ والهوانَ على الكُفر (٦٩٤١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان خِصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان (٤٣) من حديث أنس.

وانظر لسائر الروايات الآتية عند المصنف: «مسند أحمد» (٣/ ١٠٣، ١١٣، ١٧٢)، و«جامع الترمذي» (٢٦٢٤)، و«المجتبى» للنسائي (٨/ ٩٤، ٩٦، ٩٧)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٣٣).

قال: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»**. وفي رواية: **«وجد بهن حلاوة**(١) **الإيمان»**، وفي بعض الروايات: **«طعم الإيمان وحلاوته»**. وفي «الصحيحين»(٢): عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**، وفي رواية: **«من أهله وماله والناس أجمعين»**.

وفي «مسند» (حم)(٣) عن أبي رَزين العُقيلي قال: قلت: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: **«أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحترق في النار أحَبُّ إليك من أن تشرك بالله شيئاً، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حُبُّ الإيمان في قلبك، كما دخل حبُّ الماءِ للظمآن في اليوم القائظ»** قلت: يا رسول الله، كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال: **«ما من أمتي** ـ أو قال: **هذه الأمة ـ عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله**(٤) **جازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أنه لا يغفرها**(٥) **إلا الله إلا وهو مؤمن»**.

وفي «المسند»(٦) وغيره عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: **«من سرته حسناته، وساءته سيئاته؛ فهو مؤمن»**.

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «طعم».
(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد رقم (٤٤) من حديث أنس.
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١ ـ ١٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٤): «فيه سليمان بن موسى، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون».
قلت: سليمان بن موسى هو الأشدق، لم يدرك أحداً من الصحابة، نقله الترمذي في «العلل» (١/ ٣١٣) عن البخاري، ففات الهيثمي إعلاله بالأعلى وهو **الانقطاع**.
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ﷻ».
(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «لا يغفر إلا هو».
(٦) أخرجه أحمد (١/ ١٨ و٢٦)، والترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٥)، وابن المبارك في «مسنده» (٢٤١) ـ ومن طريقه الطحاوي (٤/ ١٥٠)، وابن حبان (٧٢٥٤)، والحاكم (١/ ١١٣)، والبيهقي (٧/ ٩١) ـ، وأبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (١٣٣)، =

وفي «مسند بقي بن مخلد»(١) عن رجل سمع رسول الله ﷺ قال: «**صريح الإيمان إذا أسأت أو ظلمت عبدك أو أمتك أو واحداً من الناس صمت أو تصدَّقت، وإذا أحسنت استبشرت**»، وفي «المسند»(٢) للإمام أحمد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في(٣) سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله ﷻ**».

وفيه أيضاً عن عمرو بن عَبَسة(٤) قال: قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**طيب الكلام، وإطعام الطعام**» فقلت: ما الإيمان؟ قال: «**الصبر والسماحة**»، قلت: أيّ الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، قلت: أيُّ الإيمان أفضل؟ قال: «**خلق حسن**»(٥).

وقد فسر الحسن البصري الصبر والسماحة، فقال: هو الصبر عن محارم الله والسماحة بأداء فرائض الله(٦).

وفي (ت)(٧) وغيره عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**أكملُ المؤمنين إيماناً**

= وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٨، ٨٩٧)، والبزار (٦٦٦)، **وإسناده صحيح**.

(١) هذا المسند على جلالته يُعَدُّ في جملة ما فُقِد من تراثنا العظيم، وانظر لزاماً كلامي عليه في كتابنا: «معجم المصنفات الواردة في «فتح الباري»» رقم (١١٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨) **وإسناده ضعيف**، فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، ودرّاج أبو السَّمح ضعيفٌ في روايته عن أبي الهيثم، وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢، ٦٣).

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «في سبيل الله».

(٤) في الأصل: «عنبسة»! والمثبت من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٥)، وعبد بن حميد (٣٠٠)، وابن ماجه (٢٧٩٤)، وفيه شهر بن حوشب ضعيف، وهو لم يسمع عمرو بن عبسة، **فإسناده ضعيف ومنقطع**.

(٦) أخرجه عن الحسن: الدينوري في «المجالسة» (١١٥٥، ٣٤٢٤ ـ بتحقيقي)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٦/ ١٢١)، وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ﷻ».

(٧) برقم (٢٦١٢) من طريق أبي قِلابة عن عائشة، وقال الترمذي: «ولا نعرفُ لأبي قِلابة سماعاً عن عائشة»، ورواه أيضاً أحمد (٦/ ٤٧ و٩٩)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥١٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٥٤)، والحاكم (١/ ٥٣)، وصححه، وردّه الذهبي بقوله: «فيه انقطاع».
والحديث **صحيح بشواهده**، فقد ورد من حديث أبي هريرة، كما قال المصنف، وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥١٥ و١١/ ٢٧)، وأبو داود (٢٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢)، وابن حبان (٤١٧٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٩١، =

أحسنهم خلقاً»، وخرجه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة، وخرج البزار في «مسنده» من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري[١] عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ مَنْ فعلهُنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وحدهَ بأنه لا إله إلا هو**[٢]**، وأعطى زكاةَ ماله طيبةً بها نفسُه في كل عام...**» فذكر[٣] الحديث، وفي آخره: فقال رجل: فما[٤] تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: «**أن يعلم أنَّ الله معه حيث ما كان**»[٥].

وخرج أبو داود أول الحديث دون آخره.

وخرج الطبراني[٦] من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثُ ما**[٧] **كنت**»[٨].

وفي (ق)[٩] عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «**الحياء شعبة**[١٠] **من**

= ١٢٤٤)، والحاكم (١/ ٣)، والبغوي (٢٣٤١، ٣٤٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧، ٧٩٨١، ٧٩٨٢)، وأبو نعيم (٩/ ٢٤٨)، **وإسناده حسن.**

وفي الباب عن أبي سعيد وعمرو بن عبسة ـ وتقدم حديثه ـ وأنس.

(١) في الأصل: «العامري»! والصواب المثبت، كما في مصادر التخريج وكتب الرجال.

(٢) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إلا الله».

(٣) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وذكر».

(٤) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وما».
وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: بدون «ما».

(٥) أخرجه البخاريُّ في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣١ ـ ٣٢)، وابن سعد (٧/ ٤٢١)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٤٠٨)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٨/ ٣١٥٠) رقم (٩٧٣) أيضاً، والطبراني في «الصغير» (٥٥٥)، وروى أوله أبو داود (١٥٨٢) ورجاله ثقات، والحديث **حسن لغيره.**

(٦) في الأصل: «الخطابي» والمثبت من «جامع العلوم والحكم» ومصادر التخريج، وهو الصحيح.

(٧) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «ما».

(٨) في «الكبير»، و«الأوسط» رقم (٨٧٩٦)، وقال: «وقد تفرد به عثمان بن كثير» وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٠): «ولم أرَ مَن ذكره بثقةٍ ولا جَرح».

(٩) أخرجه البخاريُّ كتاب الإيمان، باب الحياءُ مِنَ الإيمان (٢٤)، وكتاب الأدب، باب الحياء (٦١١٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٦ و٣٧) من حديث عبد الله بن عمر.

(١٠) سقطت من مطبوع «جامع العلوم والحكم».

الإيمان» وخرج (حم، ج) من حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «**[إنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد]**[١] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]»[٢].

وفي (ق) عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «**مثلُ المؤمنينَ في توادِّهم**[٣] **وتراحمهم كمثل**[٤] **الجسد الواحد**[٥] **إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٦].

وفي رواية لـ (م)[٧]: «**المؤمنون كرجل واحد**»، وفي رواية[٨] أيضاً: «**المسلمون كرجل واحد، إذا**[٩] **اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله**»[١٠].

وفي (ق) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[١١]، وشبك بين أصابعه.

---

(١) سقطت من الأصل، وأثبتها من «جامع العلوم والحكم» والمصنف ينقل منه.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) ـ ومن طريقه الحاكم (٩٦/١) ـ، وابن ماجه (٤٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص٤٨٢)، **وقد أنكر طائفةٌ من الحفاظ هذه الزيادة**، أي: «**إنما المؤمن كالجملِ الأنِف، حيثما قِيدَ، انقاد**» في آخر الحديث، وقالوا: هي مدرجة فيه وليست منه.

قاله أحمد بن صالح المصري وغيره وقد خَرَّجه الحاكم، وقال في حديثه: «وكان أسد بن وداعة يزيد في هذا الحديث: «**فإن المؤمن كالجمل الأنِف، حيثما قِيدَ انقاد**».

ووردت من مرسل مكحول عند البيهقي في «الشعب» (٨١٢٨) وعن ابن عمر **بإسناد ضعيف**، عند العقيلي (٨٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٨١٢٩)، قال البيهقي: «**الأول مع إرساله أصح**».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وتعاطفهم».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «مثلُ».

(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «الواحد».

(٦) أخرجه البخاري كتاب الأدب، بابُ رحمةِ النَّاسِ والبهائم (٦٠١١)، ومسلم كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

(٧) برقم (٢٥٨٦) بإسنادٍ آخر.

(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «له».

(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إن».

(١٠) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) بإسناد آخر.

(١١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق رقم (٤٨١)، ومسلم كتاب =

وفي «مسند (حم)» عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»**[(١)]، وفي «سنن أبي داود»[(٢)] عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته، ويحوطه من ورائه»**[(٣)].

وفي «الصحيحين» عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[(٤)].

وفي «صحيح (خ)» عن أبي شريحٍ الكعبيِّ عن النبي ﷺ قال: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»** قالوا: مَن ذلك يا رسول الله؟ قال: **«من لا يأمن جاره بوائقه»**[(٥)].

وخرج الحاكم من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«ليس المؤمنُ الذين يشبَعُ وجارُه جائعٌ»**[(٦)].

وخَرَّج الإمام أحمد والترمذيُّ من حديث سهل بن معاذ الجهني[(٧)] عن النبي ﷺ قال: **«من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فذلك[(٨)] المؤمن»**[(٩)].

= البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، وابن المبارك في «الزهد» (٦٩٣)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٥٣)، والطبرانيُّ في «الكبير» (٥٧٤٣)، و«الأوسط» (٤٦٩٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٦)، والحديث **صحيح لغيره**.

(٢) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم» زيادة: «عن أبي هريرة».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٨، ٢٣٩)، والقضاعي (١٢٥)، **وحسنه** العراقي في «تخريج أحاديث الأحياء» (٢/ ١٨٢).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه (١٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خِصال الإيمان أن يُحبَّ لأخيه المسلم ما يُحبُّ لنفسه من الخير (٤٥) من حديث أنس بزيادة: (أو قال: لجاره...).

(٥) أخرجه البخاريُّ كتاب الأدب، بابُ إثمِ مَن لا يأمنُ جارهُ بوائقَهُ (٦٠١٦) من حديث أبي شُريح رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٧)، **وصححه** ووافقه الذهبيُّ.

(٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» زيادة: «عن أبيه»، والصحيح إثباتها.

(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «فذلك المؤمن».

(٩) رواه أحمد (٣/ ٤٤٠)، والترمذي، (٢٥٢١)، وأبو يعلى (١٤٨٥، ١٥٠٠)، والحاكم =

وروى[١] (حم): «**وأنكح لله فقد استكمل إيمانه**»[٢]، وفي رواية للإمام (حم) أنه سئل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان؟ فقال: «**أن تُحبَّ لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله**» فقال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «**وأن[٣] تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك**»، وفي رواية له: «**وأن تقول خيراً أو تصمت**»[٤]، وفي هذا الحديث: أن كثرة ذكر الله من أفضل الإيمان.

وخرج أيضاً من حديث عمرو بن الجموح أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يستحق العبد صريح الإيمان[٥] حتى يُحِبَّ لله ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية[٦] من الله تعالى**»[٧]. وخرج أيضاً من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «**إن أوثقَ عُرى الإيمانِ أن تحب في الله وتبغض في الله**»[٨]. وقال ابن عباس: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإنْ كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة

= (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٥)، **وإسناده حسن**.

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «زاد».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠)، وسبق تخريجه قريباً.

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «و».

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧) **بإسناد ضعيف**، لضعف رشدين بن سعد وزبان بن فائد، وهو من مسند (معاذ بن جبل)! وهذا خطأ، وصوابه أنه من حديث (معاذ بن أنس الجهني)، وهو بالسند نفسه من (مسنده) عند الطبراني (٢٠/ رقم ٤٢٦)، وسبق تخريجه، **والحديث صحيح لغيره**.

(٥) كذا في الأصل تبعاً لـ«جامع العلوم والحكم»! وفي مطبوع «المسند»: «لا يحقُّ العبدُ حقّ صريح الإيمان».

(٦) كذا في الأصل تبعاً لـ«جامع العلوم والحكم»! وفي مطبوع «المسند»: «الولاء».

(٧) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٩): «وفيه رشدين بن سعد، وهو منقطع، **ضعيف**».
قلت: نعم أبو منصور مولى الأنصار لم يلق عمرو بن الجموح، نقله ابن حجر في «التعجيل» عن البخاري.
وفي إسناده علة ثالثة أهملها الهيثمي، وهي ضعف عبد الله بن الوليد وهو التُّجيبي.

(٨) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤١ و١٣/ ٢٢٩)، وفي «الإيمان» (١١٠)، والطيالسي (٧٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٤٣١) ومداره على ليث بن أبي سُليم وهو ضعيف، والحديث **حسن بشواهده**.

الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً»[١]. خرجه (ع) ومحمد بن نصر المروزي.

فصل

وأما الإحسان؛ فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع، تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى أو بالعمل الصالح[٢].

فالمقرون بالإيمان كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]، والمقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ الآية [لقمان: ٢٢].

والمقرون بالتقوى كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد ثبت في «صحيح (م)»[٣] تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى[٤] في الجنة، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأنَّ الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الله الكفار في الآخرة ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم؛ حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجِبوا عن رؤيته في الآخرة.

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٦)، والطبراني (١١٥٣٧)، والبغوي (٣٤٦٨)، والحديث حسن.

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «الصالح».

(٣) برقم (١٨١) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: بعدها «عن النبي ﷺ».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ﷻ».

وقوله[١] ﷺ في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى[٢] على هذه الصفة، وهو استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: «أن تخشى الله كأنك تراه» ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها، وقد وصَّى النبي ﷺ جماعة من الصحابة[٣] بهذه الوصية، كما روى إبراهيم الهَجَري[٤] عن أبي الأحوص عن أبي ذر قال: وصاني[٥] خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه؛ فإن لم أكن أراه فإنه يراني[٦].

ورُوي عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «اعبد الله كأنك تراه» وخرجه النسائي[٧] ويروى من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً وموقوفاً: «كن كأنك ترى الله فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٨].

وخرج الطبراني[٩] من حديث أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله حدثني بحديث واجعله موجزاً، فقال: «صل صلاة مودع فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك»، وفي حديث حارثة المشهور - وقد روي من وجوه مرسلة، وروي متصلاً والمرسل أصح - أن النبي ﷺ قال[١٠]: «يا حارثة كيف أصبحت؟» قال: أصبحت

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فقوله».

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «أصحابه».

(٤) في الأصل: «الآجري»! والمثبت من مطبوع «جامع العلوم والحكم» وكتب الرجال.

(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «أوصاني».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «أربعي الصوفية» رقم (١٢) من طريق عمرو بن مُجمع عن أبي الأحوص به، وإسناده ضعيف جداً، فيه إبراهيم الهجري، والأسوأ منه حالاً عمرو بن مجمع، قال عنه ابن عدي (٥/ ١٧٨٢): «عامة ما يرويه لا يتابع عليه إما إسناداً وإما متناً».

(٧) في الرقاق من «الكبرى» كما في «التحفة» (٥/ ٤٨١)، وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ١١٥) وإسناده صحيح.

(٨) أخرجه أبو نعيم في «أربعي الصوفية» رقم (١٤)، وفي «الحلية» (٨/ ٢٠٢)، وانظر: «أسد الغابة» (٢/ ٤٠١) لاحتمال التحريف فيه.

(٩) في «الأوسط» (٤٤٢٧)، وهو من حديث ابن عمر لا من حديث أنس، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٩): «وفيه من لم أعرفهم»، فإسناده مظلم، ولكن الحديث حسن بشواهده. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤٠١، ١٩١٤).

(١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» زيادة: «له».

مؤمناً حقاً، قال: «**انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة**»، قال: يا رسول الله! عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر أهل الجنة في الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعاوون فيها، قال: «**أبصرتَ فالزم، عبدٌ نَوَّرَ الله الإيمان في قلبه**»(١). اهـ.

وروي(٢) من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ وصَّى رجلاً فقال له: «**استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك**»(٣).

ويروى من وجه آخر مرسلاً: «**استحي من ربك**»(٤).

ويروى عن معاذ أن النبي ﷺ وصّاه لما بعثه إلى اليمن فقال: «**استحي من الله كما تستحي من رجل ذي هيبة(٥) من أهلك**»(٦).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (١١٥)، والبزار (٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦٧)، والسلمي في «أربعينه» رقم (١٠)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (١٠٥٩١)، و«الزهد» (٩٧١)، وأبو نعيم في «أربعي الصوفية» رقم (٤٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٥٧)، وقال: «فيه ابن لهيعة، وفيه مَن يحتاج إلى الكشف عنه»، وقال السخاوي في «تخريج الأربعين السلمية» (ص٦٩): «**هذا الحديث لا يثبت موصولاً**»، وانظر في تقرير ضعفه: «الإصابة» (١/ ٥٩٨).

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ويروى».

(٣) أخرجه ابن عدي (٢/ ٥٦٠) و(٤/ ١٤١٠) من حديث أبي أمامة، **وإسناده ضعيف**، وانظر: «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤٨).

ويغني عنه: ما أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٦)، وأبو عروبة في «الطبقات» (ص٥٩ ـ المنتخب)، والسلمي في «آداب الصحبة» رقم (٢٥)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» رقم (٩١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» رقم (٢٧٨/ ٢١٦)، والطبراني (٥٥٣٩) من طريق أبي الخير مرثد أنه سمع سعيد بن يزيد الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني. قال: «**أوصيك أن تستحي من الله ﷻ كما تستحي رجلاً من صالحي قومك**» **وجوّد** شيخنا الألباني سنده في «الصحيحة» (٧٤١)، وعزاه ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ١٠٣) للحسن بن سفيان وأبي خيثمة، وزاد ابن الأثير في «أسد لغابة» (٢/ ٤٠١) عزوه لابن منده وأبي نعيم ـ وهو في «معرفة الصحابة» له (٣/ ١٣٠٠) رقم (٣٢٦١) ـ، وحقق ابن الأثير عدم صحة صحبة سعيد بن يزيد.

(٤) مضى في الذي قبله، ولا وجود في مطبوع «جامع العلوم والحكم» لقوله: «**استحي من ربك**».

(٥) في الأصل: «هبة»!

(٦) أخرجه البزار (١٩٧٢ ـ زوائده)، ومحمد بن نصر المروزي في «الصلاة» (٨٢٥)، **وإسناده ضعيف**، فيه ابن لهيعة. انظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٣).

ووصى أبو الدرداء رجلاً فقال: «اعبد الله كأنك تراه»[١]، وخطب عروة بن الزبير إلى ابن عمر ابنته وهما في الطَّوافِ فلم يجبه، ثم لقيه بعد ذلك فاعتذر إليه وقال: «كنا في الطواف نتخايلُ الله بين أعيننا» خرجه أبو نعيم[٢] وغيره.

قوله ﷺ: **«فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، قيل: إنه تعليل للأول، فإن العبد إذا أُمِرَ بمراقبة الله تعالى[٣] في العبادة واستحضار قربه من عبده حتى كأن العبد يراه، فإنه قد يشق ذلك عليه فليستعن[٤] على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا تحقق[٥] هذا المقام؛ سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني، وهو: دوام التحقيق[٦] بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه يراه. وقيل: بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله تعالى[٧]، كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحي من نظره إليه، كما قال بعض العارفين: «اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك»، وقال بعضهم: «خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي من الله[٨] على قدر قربه منك»، وقال[٩] بعض العارفين من السلف: «من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص»، فالإشارة[١٠] إلى المقامين اللذين تقدم ذكرهما:

أحدهما: مقام الإخلاص، وهو: أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله[١١] تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

---

(١) أخرجه أبو نعيم (١/ ٢١٢). (٢) في «الحلية» (١/ ٣٠٩).

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فيستعينُ».

(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «حقَّق».

(٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «التحديق»، وهو الصحيح.

(٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «منه».

(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وقالت بعض العارفات».

(١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فأشارت».

(١١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

والثاني: مقام المشاهدة، وهو: أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى[(١)] بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام ويتفاوت أهل هذه المقامات[(٢)] فيه بحسب قوة نفوذ البصائر، وقد فسر طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى[(٣)]: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهذا المعنى، ومثله[(٤)] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، والمراد: مثل نوره في قلب المؤمن، كذا قاله أُبي بن كعب وغيره من السلف[(٥)].

وقد سبق حديث: «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت**»[(٦)].

وحديث: ما تزكية المرء نفسه؟ قال: «**أن يعلم أن الله معه حيث كان**»[(٧)].

وخرج الطبراني[(٨)] من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة في ظل الله تعالى يوم القيامة[(٩)] يوم لا ظل إلّا ظلُّه: رجل حيث توجه علم أن الله معه**» وذكر الحديث[(١٠)].

وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع متعددة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «المقام».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عز وجل».

(٤) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «ومثل».

(٥) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٩٧).

(٦) مضى تخريجه.

(٧) مضى تخريجه.

(٨) أخرجه الطبراني (٧٩٣٥)، والديلمي (٢٥٢٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٩): «وفيه بشر بن نمير وهو متروك»، وكذا قال عنه الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» رقم (١٢٥) وقال أحمد والبخاري: «منكر الحديث». انظر: «علل أحمد» (١/ ٢٠٥)، و«التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ٨٤)، **فإسناده ضعيف جداً**، وقال السيوطي في «تمهيد الفرش» (ص٨٩ ـ بتحقيقي): «هذا حديث غريب» قال: «وبشر متروك»، قال: «والخصلة الأولى منه ـ وهي موطن الشاهد ـ وقعت مقترنة بغالب خصال الظلال السبعة في الأثر».

(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «يوم القيامة».

(١٠) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١١٦ ـ ١٣٢).

١٨٦]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ الآية [المجادلة: ٧]؛ وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالندب[(١)] إلى استحضار هذا القرب في حال العبادات، كقوله ﷺ: **«إن أحدكم إذا قام يصلي فإنما يُناجي ربَّه، أو: ربه بينه وبين القبلة»**[(٢)]. وقوله: **«إن الله قِبَلَ وجهه إذا صلى»**[(٣)]، وقوله: **«إن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت»**[(٤)]، وقوله للذين رفعوا أصواتهم بالذكر: **«إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً»**[(٥)].

وفي رواية: **«وهو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»**[(٦)]، وفي رواية: **«هو أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد»**[(٧)]، وقوله: **«يقول الله ﷻ: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه»**[(٨)].

وقوله: **«يقول الله ﷻ: أنا مع ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني»**[(٩)]، فإن

---

(١) في الأصل: «التدب» والتصويب من مطبوع «جامع العلوم والحكم».

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب حكّ البزاق باليد من المسجد (٤٠٥)، ومسلم كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد (٥٥١) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب حكّ البزاق باليد من المسجد (٤٠٦)، ومسلم كتاب المسجد، باب النهي عن البصاق في المسجد (٥٤٧) من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٢٨٦٣) من حديث الحارث الأشعري.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ البخاري كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢)، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥)، وكتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة (٦٣٨٤)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري، وخرجته بتفصيل في تعليقي على «المجالسة» (٢٣٦٨).

(٦) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٤/ ٤٠٢)، ومسلم (٢٧٠٤) (٤٦).

(٧) في رواية لأحمد (٤/ ٤١٩): «إن الذي تنادون دون رؤوس رواحلكم»، وهي رواية البيهقي في «الشعب» (٦٦٢)، و«الأسماء والصفات» (٩٢٨).

(٨) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٣٦)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٨١٥)، والحاكم (١/ ٤٩٦) من حديث أبي هريرة، وهو **صحيح**.

(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ذكرني».

ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[(١)].

ومن فهم شيئاً[(٢)] من هذه النصوص تشبيهاً أو حلولاً أو اتحاداً؛ فإنما أُتي من جهله وسوء فهمه عن الله ﷻ وعن رسوله[(٣)]، والله رسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

قال محمد تقي الدين: ثم تكلم الحافظ ابن رجب فيما يجده أهل المشاهدة والمراقبة الذين بوأهم الله درجة الإحسان في عبادة ربهم ومناجاته وحبه والتبتل إليه من لذة الأنس به ما لا يستطيع اللسان ولا القلم أن يبينه حق التبيين ولو أطال القول فيه، وإنما يدرك بالذوق لا حرمنا الله من ذلك؛ وحاصله أن من استأنس بالله استوحش من غيره، ومن لم يستأنس بالله، لم يزل في وحشة دائمة ولو سيقت له الدنيا بحذافيرها.

والأَمارات ـ بفتح الهمزة ـ العلامات، ووقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله ولكن له علامات تسمى: العلامات الصغرى وعلامات أخرى تسمى العلامات الكبرى، والمراد بالأمارات هنا العلامات الصغرى، ومعنى: «**أن تلد الأمة ربتها**». وفي رواية أبي هريرة[(٤)]: «**ربها**» مختلف فيه فقال أكثر الشراح: معناه أن يكثر السبي والتسري بالسبايا، فتلد المرأة لسيدها أولاداً يكونون سادتها تبعاً لأبيهم، وهذا الشرح لا يعجبني وليس بصحيح لأنه كان واقعاً في زمان النبي ﷺ وفي زمان الصحابة والمفهوم من الحديث أنه يكون في آخر الزمان، ويرده أيضاً أن الأم كيفما كانت فهي في الإسلام سيدة لأولادها، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فيجب على كل ولد أن يتخذ أمه سيدة له، وإن كانت قبل ذلك أمة مملوكة ولا يمكن أن تكون له عليها سيادة أبداً، والذي

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ (٧٤٠٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «من شيء».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عن الله ورسوله».

(٤) يريد حديث جبريل الطويل، فقد رواه جمع من الصحابة، منهم: أبو هريرة، أخرج روايته البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩) وغيرهما، وهو المعني في كل ما يأتي من قول المصنف: «في حديث أبي هريرة»، فليكن ذلك على بالك.

أختاره: أن معنى ذلك: أن يكثر العقوق في آخر الزمان، حين يضعف تمسك الناس بالإسلام، ويعم الجهل والفسق ويكثر عقوق الأولاد لآبائهم وأمهاتهم، حتى أن الأم تضطر أن تعامل أولادها حين يكبرون ويستغنون عنها وتفتقر هي لهم معاملة الأمة لسادتها، وذلك مشاهد في هذا الزمان، فإن المحافظين على التمسك بالدين يكرمون آباءهم وأمهاتهم ويعظمونهم، وضعفاء الدين والمعرضون يحتقرون آباءهم وأمهاتهم، خصوصاً إذا كانوا شيوعيين لا يرون لوالديهم عليهم فضلاً، **هذا هو الذي تحقق عندي**، وبحثت في «فتح الباري شرح البخاري» للحافظ ابن حجر، فوجدت رأيه يطابق رأيي تماماً، فإنه قال بعدما ذكر ثلاثة آراء في شرح اللفظين المذكورين وطعن فيها ما نصه:

«الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه. ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور، بحيث يصير المربى مربياً والسافل عالياً، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى: «**أن تصير الحفاة ملوك الأرض**»[(١)] .اهـ.

ثم قال ابن رجب: «والعلامة الثانية: «**أن ترى الحفاة العراة العالة**» والمراد بالعالة الفقراء كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٨]، وقوله: «**رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» هكذا في حديث عمر، والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم وتكثر أموالهم حتى يتباهون[(٢)] بطول البنيان وزخرفته وإتقانه.

وفي حديث أبي هريرة ذكر ثلاث علامات، منها: أن تكون الحفاة العراة رؤساء[(٣)] الناس، ومنها: أن يتطاول رعاة[(٤)] البهم في البنيان، وروى هذا الحديث عبد الله بن عطاء عن عبد الله بن بريدة فقال فيه: «وأن ترى الصم البكم

---

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١/ ١٦٣).
(٢) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «يتباهوا»!
(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «رؤوس».
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «رعاءُ».

العُمي الحفاة رعاء الشاة[(١)] يتطاولون في البنيان ملوك الناس، قال: فقام[(٢)] رجل فانطلق فقلنا: يا رسول الله من هؤلاء الذين نعت؟ قال: «**هم العُريب**»[(٣)]، وكذا روى هذا[(٤)] الحديث هذه اللفظة الأخيرة علي بن زيد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر[(٥)]، وأما اللفظ الأول فهو في «الصحيحين»[(٦)] من حديث أبي هريرة بمعناه[(٧)] وقوله: «**الصم**[(٨)] **العمي**» إشارة إلى جهلهم وعدم علمهم وفهمهم، وفي هذا المعنى أحاديث متعددة.

فخرج (**حم**) و(**ت**) من حديث حذيفة عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع**»[(٩)]، «المراد باللكع اللئيم»[(١٠)]. وخرج (**حم**) والطبراني من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «**بين يدي الساعة سنون خدّاعة**[(١١)]، **يتهم فيها الأمين، ويؤتمن فيها المتهم، وينطق فيها الرويبضة**» قالوا: وما الرويبضة؟ قال: «**السفيه ينطق في أمر العامة**» وفي رواية: «**الفاسق يتكلم في أمر العامة**»[(١٢)].

---

(١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الشاء».
(٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الرجُلُ».
(٣) أخرجه من طريق عبد الله بن عطاء عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر به: المروزي في «الصلاة» (٣٦٧) ـ وعنده: «العرب» بدل «العُرَيْب» ـ، والطرسوسي في «مسند عبد الله بن عمر» (ص٢٢ ـ ٢٣).
(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: بدون «هٰذا الحديث».
(٥) أخرجه من طريق علي بن زيد ـ وهو ابن جدعان، ضعيف ـ به: أحمد (٢/ ١٠٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٧١)، والآجري في «الشريعة» (١٠٩).
(٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الصحيح»، وسبق تخريج حديث أبي هريرة.
(٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «بمعناها».
(٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الصم البكم العمي».
(٩) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩)، والترمذي (٢٢٠٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٩٢)، والبغوي (٤١٥٤) من حديث حذيفة، وهو حديث **حسن بشواهده**.
(١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، سقطت الزيادة التي تفسر اللكع في الحديث وهي: «المراد باللكع اللئيم».
(١١) في الأصل: «ستون خدعة»، وهو تحريف، وصوابه المثبت!
(١٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٨٢)، وأبو يعلى (٣٧١٥)، والبزار (٣٣٧٣ ـ زوائده)، والطحاوي في «المشكل» (٤٦٥، ٤٦٦) وهو **حسن**، وحسنه ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٨٤).

مباحث في الإيمان

المبحث الأول: ما هو الإيمان؟

قال شارح «الطحاوية»(١): «اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكر(٢) الطحاوي(٣): أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصل(٤)، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي(٥) ويروى عن أبي حنيفة(٦)». اهـ.

---

(١) (ص٣٧٣).

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «ذكره».

(٣) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «رحمه الله».

(٤) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «بأصلي».

(٥) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «رحمه الله».

(٦) قال الكشميري في «فيض الباري» (١/ ٥٣ ـ ٥٤):

«الإيمان عند السَّلف عبارة عن ثلاثة أشياء: اعتقاد وقول وعمل. وقد مر الكلامُ ـ يعني في كتابه ـ على الأوَّلين، أي: التصديق والإقرار، بقي العمل: هل هو جزء للإيمان أم لا؟.

فالمذاهبُ فيه أربعة، قال الخوارج والمعتزلة: إنَّ الأعمال أجزاء للإيمان، فالتارك للعمل خارج عن الإيمان عندهما، ثم اختلفوا: فالخوارج أخرجوه عن الإيمان، وأدخلوه في الكفر، والمعتزلة لم يُدخلوه في الكفر، بل قالوا: بالمنزلة بين المنزلتين.

والثالث: مذهب المرجئة، فقالوا: لا حاجة إلى العمل، ومدار النجاة هو التصديق فقط، فصار الأولون والمرجئة على طرفي نقيض.

والرابع: مذهبُ أهل السنَّة والجماعة، وهم بينَ بينَ، فقالوا: إنَّ الأعمال أيضاً لا بُدّ منها، لكن تاركها مُفسَّقٌ، لا مُكفَّر، فلم يُشَدِّدوا فيها كالخوارج والمعتزلة، ولم يُهَوِّنوا أمرها كالمرجئة.

المبحث الثاني: في زيادة الإيمان ونقصانه

قال شارح «الطحاوية» (ص٣٨٤): «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً، ومنها: قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية [٢]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها: إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين؛ زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم من الحديبية ليزدادوا طمأنينة ويقيناً.

ويؤيد ذلك قوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران:

= ثم هؤلاء ـ أي أهل السنّة والجماعة ـ افترقوا فرقتين، فأكثر المحدثين إلى أن الإيمان مركب من الأعمال، وإمامنا الأعظم ـ رحمه الله تعالى ـ وأكثرُ الفقهاء والمتكلمين إلى أن الأعمال غيرُ داخلة في الإيمان، مع اتفاقهم جميعاً على أن فاقد التصديق كافر، وفاقد العمل فاسق، فلم يبق الخلاف إلّا في التعبير، فإنّ السلف وإن جعلوا الأعمال أجزاء، لكن لا بحيث ينعدِمُ الكلُّ بانعدامها، بل يبقى الإيمان معَ انتفائها.

وإمامنا أبو حنيفة وإن لم يجعل الأعمال جزءاً، لكنه اهتم بها، وحرَّض عليها، وجعلها أسباباً ساريةً في نماء الإيمان، فلم يهدرها هدرَ المرجئة، إلّا أنّ تعبير المحدثين القائلين بجزئية الأعمال، لمّا كان أبعد من المرجئة المنكرين جزئية الأعمال، بخلاف تعبير إمامنا الأعظم ـ رحمه الله تعالى ـ فإنه كان أقرب إليهم من حيث نفي جزئية الأعمال: رُمي الحنفية بالإرجاء، وهذا كما ترى جورٌ علينا، فالله المستعان.

ولو كان الاشتراك مع المرجئة بوجهٍ من الوجوه التعبيرية كافياً لنسبة الإرجاء إلينا، لزم نسبةُ الاعتزال إليهم، أي: إلى المحدثين، فإنهم، أي المعتزلة، قائلون بجزئية الأعمال أيضاً كالمحدثين، ولكن حاشاهم من الاعتزال، **وعفا الله عمّن تعصّب ونسب إلينا الإرجاء، فإنَّ الدين كلَّه نصح، لا مراماةٌ ومنابزة بالألقاب!** ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم» انتهى. قال أبو عبيدة: لذا لا بد في مسألة (الأعمال هل هي شرط صحة أم كمال؟) من التفصيل، ورحم الله ابن تيمية القائل في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٦٤) في غير هذا المقام: «فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل». وفي مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنه».

١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» عند هذه الآية بسنده عن أبي هريرة قال: «جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «**لا، الإيمان مكمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك**»[(١)].

فقد سئل شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير[(٢)] عن هذا الحديث؟ فأجاب: بأن الإسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يعرفون في شيء من كتب التاريخ المشهور، وأما أبو مطيع، فهو: الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي[(٣)]، ضعفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعمرو[(٤)] بن علي الفلّاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم، وأما أبو المهزم ـ الراوي عن أبي هريرة، وقد تصحَّف على الكتّاب ـ واسمه: يزيد بن سفيان[(٥)]، فقد ضعفه أيضاً غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثاً.

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين[(٦)]، وقال ﷺ: «**لا يؤمن**

---

(١) أخرجه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٨٣، ط. دار الكتب العلمية)، وخرجته مفصلاً مبيّناً **وضعه رفعاً** في تعليقي على «التعقبات على الموضوعات» رقم (٣٦)، وانظر: «حديث السراج» رقم (٨٢٠).

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

(٣) انظر لضعفه: «الميزان» (٢/ ٣٣٩)، «الجرح والتعديل» (٣/ ١٢١)، «المجروحين» (١/ ٢٥٠)، «الضعفاء والمتروكين» (١/ ٢٢٧)، «المغني» (١/ ١٨٣).

(٤) في الأصل: «عمر»! والصواب المثبت.

(٥) انظر ترجمته وبيان ضعفه في: «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٣٩)، «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٦٩)، «التهذيب» (٢/ ٣٦٥)، «الميزان» (٤/ ٢٤٤).

(٦) يشير إلى قوله ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن**» أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢، ١٩٥١، ٢٦٥٨)، ومسلم (٧٩، ٨٠) من حديث أبي سعيد.

أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[١]، والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان[٢]، وحديث الشفاعة[٣]، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى ذرة من إيمان، فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السموات والأرض سواء؟ وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان.

وكلام الصحابة[٤] في هذا المعنى كثير أيضاً، منه: قول أبي الدرداء[٥]: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟»[٦].

وكان عمر[٧] يقول لأصحابه: «هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله تعالى ﷻ»[٨]، وكان ابن مسعود[٩] يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً»[١٠].

وكان معاذ بن جبل[١١] يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[١٢].

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) مضى تخريجه، وهو في «الصحيحين».

(٣) مضى تخريجه وهو في «الصحيحين»، وللذهبي جزء مفرد مطبوع في أحاديث الشفاعة.

(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنهم».

(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(٦) أخرجه أحمد في «الإيمان»، (ق١٠٨/أ) وابن بطة في «الإبانة» (١١٢٦)، وابن ماجه (٧٥)، واللالكائي في «السنة» (١٧٠٩) مختصراً، واللفظ المذكور عند أحمد (ق١٠٨)، ومن طريقه اللالكائي في «السنة» (١٧١١) وابن بطة في «الإبانة الكبرى (رقم ١١٤٠) وفي **إسناده مبهم**.

(٧) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(٨) أخرجه أحمد في «الإيمان» (ق١٠٨/أ) وابن أبي شيبة في «الإيمان» (ص٣٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١١٣٤)، والبيهقي في «الشعب»، (٣٧) واللالكائي في «السنة» (١٧٠٠)، **وإسناده منقطع**، ذر بن عبد الله المرحبي لم يسمع عمر.

(٩) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(١٠) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٩٧)، وأبوه الإمام أحمد في «الإيمان (ق١٠٨/ أ)، وابن بطة في «الإبانة» (١١٣٢)، والآجري في «الشريعة» (رقم ٢١٨)، **وصححه** ابن حجر في «فتح الباري» (١/٤٨).

(١١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(١٢) علقه البخاري في «صحيحه»: كتاب الإيمان: الباب الأول، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٦٤ و٧/ ١٢٦)، وأحمد في «الإيمان» (ق١٠٨/أ)، وابنه عبد الله في =

ومثله عن عبد الله بن رواحة[(١)].

وصح عن عمار بن ياسر[(٢)] أنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصافٌ من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم». ذكره (خ) في «صحيحه»[(٣)] وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق»[(٤)]. اهـ.

المبحث الثالث: في بيان أن الإيمان لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق

قال شارح «الطحاوية»: صفحة (٤٠٨) «والكتاب والسنة مملوآن بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بيّن معناه الكتاب والسنة.

فمن الكتاب، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾

= «السنة» (٧٩٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١١٣٥)، واللالكائي في «السنة» (١٧٠٦، ١٧٠٧)، **وصححه** ابن حجر في «الفتح»: (١/ ٦٠)، وشيخنا الألباني في تعليقه على «الإيمان» لابن أبي شيبة (١٧٢)، و«الإيمان» لأبي عبيد (رقم٢٠)، وعزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٥١)، لابن الجوزي في «صفوة الصفوة».

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (رقم١١٦)، وأحمد في «الإيمان» (ق١١٨/ أ)، واللالكائي في «السنة» (١٧٠٨)، **وحسن** إسنادهُ العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٥١)، وبعده في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

(٣) أورده البخاريُّ في كتاب الإيمان معلقاً مجزوماً موقوفاً على عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، باب إفشاء السَّلَام من الإسلام، ووصله موقوفاً **بإسناد صحيح**: أحمد في «الإيمان» (ق١٠٩)، ووكيع في «الزهد» (٢٤١)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٨)، وفي «الإيمان» (٣١)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (١٩٤ ـ ١٩٦ ـ عمر)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٢٨)، واللالكائي في «السنة» (١٧١٣)، وابن حجر في «التغليق» (٢/ ٣٦) ـ وصححه ـ، و«مجالس الأذكار» رقم (٦٣٦).

وروي مرفوعاً، ولم يثبت. انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ٣٨٦)، و«معجم ابن الأعرابي» (١٤٢)، و«مسند البزار» (١/ ٢٥ ـ زوائده)، و«السنة» للالكائي (١٦٩٨)، و«علل ابن أبي حاتم» (٢/ ١٤٥)، و«فتح الباري» (١/ ٨٣)، ولابن ناصر الدين «جزء» من «أماليه» مفرد في هذا الأثر، وهو مطبوع بعنوان «الإتحاف بحديث فضل الإنصاف».

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٣٨٤ ـ ٣٨٧) بتصرف.

[الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فنفيُ الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب، الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب»[١]. اهـ.

فصل

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «كتاب الإيمان» (ص١٧٠) ما نصه:

«فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر، وبلفظ التقوى، وبلفظ الدين كما تقدم، فإن النبي ﷺ بيَّن أن «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٢]. فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك لفظ التقوى، وكذلك الدين أو دين الإسلام، وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل[٣] الله هذه الآية: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقد فسر[٤] بالإيمان، وفسر بالتقوى، وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله، والجميع حق.

وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه فسر البر بالإيمان:

قال محمد بن نصر بسنده عن القاسم قال: جاء رجل إلى أبي ذر، فسأله عن الإيمان، فقرأ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ . . .﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى آخر الآية، فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأتُ عليك، فقال له الذي قلتَ لي؟! فلما أبى أن يرضى، قال له: «**إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها**»[٥].

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٠٨ ـ ٤٠٩). (٢) مضى تخريجه.

(٣) ثبت ذلك في «صحيح البخاري» (١٨٠٣، ٤٥١٢) وغيره عن البراء، وانظر: «الموافقات» (١/ ٤٤ ـ ٤٥) وتعليقي عليه.

(٤) في مطبوع «كتاب الإيمان» زيادة: «البرُّ».

(٥) أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٤٠٨)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٣٠١).

=

ثم قال شيخ الإسلام (ص١٧٨): «والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محباً لله ورسوله، مريداً لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله، فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته، دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه.

ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، ويكرم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين غاية الإهانة، قالوا: وهذه كلها معاصٍ لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن، قالوا: وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار؛ لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر، ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود، وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به، وبخلاف ما شهد به الشهود.

فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذَّب في الآخرة، قالوا: فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه، فالكفر عندهم شيء واحد، وهو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو؟

وهذا قول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان، فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة، وقد كفّر السلفُ ـ كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم ـ من يقول بهذا القول، وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن، وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم، لا لكونه كذب خبراً، وكذلك فرعون وقومه.

= **وإسناده ضعيف**، القاسم لم يسمع من أبي ذر، والراوي عنه المسعودي واختلط قبل موته.

وعزاه في «الدر المنثور» (١/ ٤١١) لإسحاق بن راهويه في «مسنده» ـ و(مسند أبي ذر) مفقود من القطعة المتبقية منه، ونشر جلها ـ، وابن مردويه ولبعضه شاهد. انظر (ص٧٢ هامش ٦)، وانظر: «كتاب الإيمان» (١٤٣ ـ ١٤٤) بتصرف.

قال تعالى فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ الآية [النمل: ١٤].

وقال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢].

فموسى وهو الصادق المصدوق يقول: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾.

فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات، وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً؛ لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وكذلك من المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فهؤلاء غلطوا في أصلين:

أحدهما: [ظنهم](١) أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، فليس(٢) معه عمل، وحال وحركة وإرادة ومحبة، وخشية في القلب، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً، فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالاً ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله، فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه، فهو من الإيمان المستحب، فالأول لا بدّ لكل مؤمن منه؛ ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين السابقين، وذلك مثل حب الله ورسوله، بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بل أن

---

(١) من مطبوع «كتاب الإيمان»، وسقط من الأصل.

(٢) في مطبوع «كتاب الإيمان»: «ليس».

يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله، ومثله[1]: خشية الله وحده دون خشية المخلوقين، ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين، والتوكل على الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٢، ٣٣]. ومثله الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعادات لله.

والثاني: ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار، فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق.

وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك؛ لحسده إياه، أو لطلب علوّه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه.

وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرئاسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض، كأموال ورئاسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق.

ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح[2] في صدق الرسل، وإنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم، كقولهم لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه، لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي ﷺ إبعاد الضعفاء، كسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وبلال... ونحوهم.

وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل صفة، فأنزل الله تبارك

(١) في مطبوع «كتاب الإيمان»: «مثل».
(٢) في الأصل: «تقدم» والتصويب من كتاب «الإيمان».

وتعالى[١]: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣].

ومثل قول فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] وقول فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [الشعراء: ١٨، ١٩].

ومثل قول مشركي العرب: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ﴾ [القصص: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ ومثل قول قوم شعيب له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ﴾ [هود: ٨٧]. ومثل قول عامة المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح في صدق الرسل، بل تبيّن أنها تخالف إرادتهم وأهواءهم وعاداتهم[٢]، فلذلك لم يتبعوهم، وهؤلاء كلهم كفار، بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ﷺ ويحبون علو كلمته، وليس عندهم حسد له، وكانوا يعلمون صدقه، ولكن كانوا يعلمون أن في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس، فكيف يقال: إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله؟»[٣]. اهـ.

قال شارح «الطحاوية» في تلخيص أقوال الناس في الإيمان ما نصه (ص٣١٢):

«وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم[٤]، كما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٣) (٤٥، ٤٦) وغيره، كما بيّنته مفصلاً في تحقيقي لـ«رجحان الكفة» (ص٢٠٩) للسخاوي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) كذا في مطبوع «كتاب الإيمان»، وفي الأصل: «وعادتهم».

(٣) انظر: «كتاب الإيمان» (١٥٠ ـ ١٥٤).

(٤) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «رحمهم الله».

تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه[١] أو باللسان وحده، كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي[٢]، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري[٣]، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان،

---

(١) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «رحمه الله».

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «رحمهم الله».

(٣) كذا قال شارح «الطحاوية»! وتعقبه شيخنا الألباني في تعليقه على «الطحاوية» (ص٦٢ ـ ٦٣ ـ فقرة ٦٢)، فقال: «ليس الخلاف بين المذهبين اختلافاً صورياً كما ذهب إليه الشارح ـ رحمه الله تعالى ـ، بحجة أنهم جميعاً اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان، وأنه في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. فإن هذا الاتفاق وإن كان صحيحاً، فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقة في إنكارهم أن العمل من الإيمان، لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة، ونقصه بالمعصية، مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك، وقد ذكر الشارح طائفة طيبة منها (ص٣٨٤ ـ ٣٨٧) [٣٤٢ ـ ٣٤٤]، ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان، وتكلفوا في تأويلها تكلفاً ظاهراً، بل باطلاً، ذكر الشارح (ص٣٨٥) [٣٤٢] نموذجاً منها، بل حكى عن أبي المعين النسفي أنه طعن في صحة حديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة..**» مع احتجاج كل أئمة الحديث به، ومنهم البخاري ومسلم في «صحيحيهما»! وهو مخرج في «الصحيحة» (١٧٦٩)، وما ذلك إلا لأنه صريح في مخالفة مذهبهم!

ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صورياً، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق! بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام! كيف وهو بناءً على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم ـ مهما كان فاسقاً فاجراً ـ أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، بل يقول: أنا مؤمن حقاً! والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، وبناءً على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم، فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر! وفرعوا عليه أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالمرأة الشافعية! وتسامح بعضهم ـ زعموا ـ فأجاز ذلك دون العكس، وعلل ذلك بقوله: تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب! وأعرف شخصاً من شيوخ الحنفية خطب ابنته رجل من شيوخ الشافعية، فأبى قائلاً: . . . لولا أنك شافعي! فهل بعد هذا مجال للشك في أن الخلاف حقيقي؟ ومن شاء التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب شيخ =

مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ـ نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى»[١].اهـ.

وقال قبل ذلك في تفصيل قول الكرامية:

«وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد»[٢].اهـ.

قال محمد تقي الدين: وكذلك قول أبي منصور الماتريدي: إن الإيمان هو التصديق وحده، وهو رواية عن أبي حنيفة كما في «شرح الطحاوية»، فيكون لأبي حنيفة قولان:

أولهما: أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب[٣].

والثاني: مثل قول الماتريدي.

والثالث: ما رجع إليه، وهو موافق لسائر أئمة أهل السنة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

قال شارح «الطحاوية» ـ وهو حنفي[٤] غير متعصب ـ (ص٣٣٣):

«وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: «**أي الإسلام أفضل...**» إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان[٥]، فسكت أبو حنيفة، قال[٦] بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا

= الإسلام ابن تيمية: «الإيمان» فإنه خير ما ألف في هذا الموضوع» انتهى كلامه.

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٧٤). (٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٧٣).

(٣) هذا هو المشهور عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، وهو المذكور في «الفقه الأكبر» (ص٣٠٤)، وكتابه «الوصية» (ص٢ ـ مع «شرحها»)، و«رسالته إلى عثمان البتي» (ص٣٥) ونقله عنه جمع، انظر ـ مثلاً ـ: «الفصل» (٢/ ١١١)، «التمهيد» (٩/ ٢٣٨)، وانظر المسألة مفصلة مدللة في كتاب صديقنا الدكتور محمد الخميِّس: «أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة» (ص٣٥٤ ـ ٣٨٨).

(٤) وهو ابن أبي العز الحنفي، ونشر حديثاً كتاب «منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية» عن دار ابن الجوزي.

(٥) سبق في هذا المعنى أحاديث كثيرة. انظر (ص٨٦)، وهناك تخريجها.

(٦) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «فقال».

حنيفة؟ قال: بم أجيبه وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ».

ثم قال شارح: «الطحاوية»: «مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول - أي الرجل -: أنا مؤمن إن شاء الله، والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا أصح الأقوال.

الأول: أما من يوجبه فلهم مأخذان: **أحدهما: أن** الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو **كافراً** باعتبار الوفاة[1] وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به.

قالوا: والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم.

وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد، وليس هذا قول السلف ولا كان يقول بهذا من يستثني من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فأخبر أنهم يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط لا يتأخر[2] عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول.

ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله! هذا حبل إن شاء الله، فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه. يقولون: نعم، لكن إذا شاء الله أن يغيّره غيّره.

المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه

---

(١) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «الموافاة».

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «والمشروط يتأخر»!

أنه من الأبرار المتقين القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين، وهذا مع تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «**وأنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[١]. وقال أيضا: «**إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله**»[٢]. ونظائر هذا.

• وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم (الشَّكَّاكة)، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه، وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم؛ لأنه علم أن بعضكم يموت، وفي كلا الجوابين نظر، فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلا شك فيه أيضاً.

فكان قول: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين لأنه يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل، وفي كون هذا المعنى مراداً من النص نظر، فإنه ما سيق الكلام إلا أن يكون مراداً من إشارة النص»[٣].اهـ.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤) من حديث عائشة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٩٥ ـ ٣٩٧).

بقية أركان الإيمان

قال شارح «الطحاوية»: «قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فجعل الله ﷻ الإيمانَ هو الإيمان بهذه الجملة[(١)]، بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٢)].

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم[(٣)] عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ.

---

(١) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «وسمى مَن آمن بهذه الجملة مؤمنين كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة» وقد سقطت من مطبوع «سبيل الرشاد».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) كذا في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»، وفي الأصل: «العلم».

وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته!

فهذا إيمانهم بالله، وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام فلا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم ما[(١)] يناله غيره، وقوة النفس؛ ليؤثر بها في هيولي العالم، يقلب صورة إلى صورة! وقوة التخييل[(٢)]؛ ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان، وأما اليوم الآخر فهم أشد الناس تكذيباً وإنكاراً له في الأعيان.

وعندهم أن هذا العالم لا يخرب[(٣)]، ولا تنشق السموات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار، كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهمها[(٤)] أتباع الرسل، فهذا إيمان هذه الطائفة الذليلة الحقيرة ﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ١٣٦] وهذه هي أصول الدين الخمسة.

ثم قال شارح «الطحاوية»: «وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول، وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة ـ لما تضمنتا هذا الأصل ـ: لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي «الصحيحين»[(٥)] عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: **«من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**.

---

(١) كذا في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»، وفي الأصل: «مما».
(٢) كذا في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»، وفي الأصل: «التخيل».
(٣) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «لا يحرب»، والصحيح المثبت.
(٤) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «يفهمُ».
(٥) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب منه (٤٠٠٨)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين مِن آخر البقرة (٨٠٧) من حديث أبي مسعود البدري.

وفي «صحيح (م)»(١) عن ابن عباس قال: «بينما جبرائيل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك:

فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته».

وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة - يعني هذه الخمسة - والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار، وهذا حق، والأدلة عليه ثابتة محكمة قطعية، وقد تقدمت الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

وأما الملائكة، فهم الموكَّلون بالسمٰوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ الآية [٥] من سورة النازعات، ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ الآية [٤] من سورة الذاريات، وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل. وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكَّل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله.

ومنهم: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ [المرسلات: ١ - ٥]، ومنهم: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤﴾ [النازعات: ١ - ٤]، ومنهم: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ من سورة [الصافات: ١ - ٣]، ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفِرقَ والطوائف والجماعات، التي مفردها، «فرقة» و«طائفة» و«جماعة» ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

---

(١) أخرجه مسلم كتابُ صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحثُّ على قراءة الآيتين مِن آخر البقرة (٨٠٦) من حديث ابن عباس.

وملائكة قد وكِّلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السمٰوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله، ولفظ «الملك» يشعر بأنه رسول منفِّذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الآية [٢٧] من سورة الأنبياء، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الآية [٢٥٥] من سورة البقرة، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ الآية [٢٨] من سورة الأنبياء، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ الآية [٥٠] من سورة النحل.

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر[١] من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطَّت السمٰوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه[٢]، والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص.

قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية [٢٨٥] من سورة

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الأمر».

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «آخر ما عليهم».

البقرة، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية [١٨] من سورة آل عمران، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الآية [٤٣] من سورة الأحزاب، ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [٧] من سورة [غافر]، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية [٧٥] من سورة الزمر، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الآية [٢٦] من سورة الأنبياء، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ الآية [٢٠٦] من سورة الأعراف، ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ الآية [٣٨] من سورة فصلت، ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ الآية [١١] من سورة الإنفطار، ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ الآية [١٦] من سورة عبس، ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ الآية [٢١] من سورة المطففين، ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الآية [٨] من سورة الصافات، وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم.

فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان»(١).

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٣٣٢ ـ ٣٣٧).

الإيمان بالكرام الكاتبين

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٣٨):

«وقوله[١]: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين».

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ الانفطار الآيات [١٠ إلى ١٢]

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ الآية [١٧ ـ ١٨] من سورة «ق»، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [١١] من سورة الرعد، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الآية [٨٠] من سورة الزخرف، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ الآية [٢١] من سورة يونس، وفي «الصحيحين»[٢] عن النبي ﷺ أنه قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم ـ والله أعلم بهم ـ: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلُّون، وفارقناهم وهم يصلون**»[٣]، وفي الحديث الآخر: «**إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم، وأكرموهم**»[٤]. جاء في

---

(١) المراد: قول صاحب العقيدة «الطحاوية»، وهكذا ما سيأتي لاحقاً.

(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الصحيح».

(٣) أخرجه البخاريُّ كتاب مواقيت الصلاة، بابُ فضل صلاةِ العصر (٥٥٥)، ومسلم كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» (٣١٧ ـ زوائده)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٨٢) ـ، والسراج في «حديثه» رقم (٨٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ١٤٦) من حديث ابن عباس، ومداره على حفص بن سليمان المكتب، وهو متروك، **فإسناده ضعيف جداً**.

انظر تفصيل ذلك: «السلسلة الضعيفة» (٢٢٤٣)، و«الإرواء» (١/ ١٠٢) (٦٤).

التفسير: «اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد[1] من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، حافظان وكاتبان»، وقال عكرمة عن ابن عباس[2]، ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [١١] من سورة الرعد قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلَّوا عنه»[3].

الإيمان بملك الموت

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٤٠): «قوله: «[ونؤمن] بملك الموت، الموكَّل بقبض أرواح العالمين».

(ش) قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ الآية [١١] من سورة السجدة، ولا تعارض بين[4] هذه الآية، وقوله[5]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [٦١] من سورة الأنعام، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية [٤٢] من سورة الزمر؛ لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، فصحَّتْ إضافة التوفِّي إلى كلٍّ بحسبه»[6]. اهـ.

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٤٧): قوله: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بدون: «من».
(٢) أخرج أثر ابن عباس: عبد الرزاق (١/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/رقم ١٢١٩٦)، وابن جرير (١٣/ ٤٥٨) في «تفاسيرهم» من طريق إسرائيل عن سماك عن عكرمة به. ورواية سماك عن عكرمة مضطربة، وعزاه في «الدر المنثور» (٤/ ٤٧) إلى الفريابي وابن المنذر.
(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٣٨ ـ ٤٣٩).
(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» بدون: «بين».
(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» بدون: «و».
(٦) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٤٠ ـ ٤٤١).

رسول الله ﷺ وعن الصحابة[١]، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».

(ش) قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ الآيتان [٤٥ ـ ٤٦] من سورة غافر، وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الآيات [٤٥ ـ ٤٧] من سورة الطور[٢]، وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يُرادَ به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذَّب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

وعن البراء بن عازب[٣] قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**». ثلاث مرات، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه**[٤] **الملائكة كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**». قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السِّقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني: على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فيفتح له؛ فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض،**

---

(١) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنهم».
(٢) في الأصل: (٤٥ ـ ٤٦ ـ الذاريات)!
(٣) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنه».
(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «إليه».

فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى ـ فقال قتادة: فتعاد روحه في جسده ـ فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولون له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي؛ فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر[1]، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده فينتزعها كما يُنزع السَّفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له»[2]، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ الآية [٤٠] من سورة الأعراف.

«فيقول الله ﷻ: «اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الآية [٣١] من سورة الحج، «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء:

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «بصره».

(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» بزيادة: «فلا يُفتح له».

أن كذب، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر الذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[١]. رواه الإمام أحمد وأبو داود، وروى النسائي وابن ماجه أوله، ورواه الحاكم وأبو عوانة الإسفرايني في «صحيحيهما» وابن حبان.اهـ.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**».اهـ. رواه (**ق**)[٢].

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا. فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلُّق، متغايرة الأحكام: **أحدها**: تعلقها به في بطن الأم جنيناً. **الثاني**: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. **الثالث**: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه. **الرابع**: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة. **الخامس**: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل [أنواع][٣] تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً»[٤].

---

(١) سبق تخريجه مطولاً.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر (١٣٦١)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢) من حديث ابن عباس.

(٣) من مطبوع «شرح الطحاوية»، وسقط من الأصل.

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٤٧ ـ ٤٥١) بتصرف.

الإيمان بالكتب المنزلة

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٦ ـ ١٣٨]

قال (ك): «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرّقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١] ـ وقال (خ) بسنده عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية[(١)]، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**»، «﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية»[(٢)] وقد روى (م، د، ن)[(٣)]، بسندهم عن ابن عباس قال: كان

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «لأهل الإسلام».

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير سورة البقرة، باب ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما وبيان ما يُستحب أن يُقرأ فيهما (٧٢٧)، وأبو داود في الصلاة، باب تخفيفها ـ يعني ركعتي الفجر ـ (١٢٥٩)، والنسائي في الافتتاح (٢/ ١٥٥) من حديث ابن عباس.

رسول الله ﷺ: أكثر ما يصلى الركعتين اللتين قبل الفجر بـ ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية والأخرى: بـ ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وقال أبو العالية والربيع وقتادة: الأسباط، بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط، وقال: وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل، وقال الزمخشري في «الكشاف»[1]: «الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثنى عشر»، وقد نقله الرازي[2] عنه وقرره ولم يعارضه، وقال (خ)[3]: «الأسباط قبائل بني[4] إسرائيل». وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط هٰهنا شعوب بني إسرائيل، وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال موسى لهم: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ الآية [المائدة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] قال القرطبي[5]: وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة، وقيل: أصله من السَّبَط ـ بالتحريك ـ وهو: الشجر، أي: في الكثرة بمنزلة الشجرة الواحدة سَبَطَة، قال[6] الزجاج: ويبين لك هذا وذكر سنده عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: إدريس[7] ونوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قال القرطبي: والسبط: الجماعة والقبيلة والراجعون[8] إلى أصل واحد، وقال قتادة: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا[9] ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله، وقال سليمان بن حبيب: إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل ولا نعمل بما فيهما، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن معقل[10] بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: **«آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل**

---

(١) انظره (١/ ١٩٥).
(٢) انظر: «تفسيره» (٤/ ٧٥).
(٣) انظر «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب سورة الأعراف.
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في بني».
(٥) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ١٤١).
(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال».
(٧) لا ذكر له في مطبوع «تفسير ابن كثير» و«تفسير القرطبي»، وفيهما بدل منه «ولوط»، وأورد القرطبي إسناد الأثر، وهو من طريق سماك عن عكرمة، وروايته مضطربة.
(٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير» و«تفسير القرطبي» بدون: «و».
(٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يؤمنوا به».
(١٠) في الأصل: «معقد»!

وليسعكم القرآن»[(١)].

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(٢)] قال: ابن أبي حاتم عن نافع بن أبي نعيم قال: أرسل إليَّ بعض الخلفاء مصحف عثمان ليصلحه قال زياد: قلت[(٣)] له: إن الناس ليقولون أن مصحفه كان في حجره[(٤)] حين قتل فوقع الدم على: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فقال نافع: بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قَدُم[(٥)]. وقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: دين الله، وكذا روي عن مجاهد وأبي العالية وعكرمة وإبراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي[(٦)]، وانتصاب ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ إما على الإغراء كقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] أي: الزموا ذلك عليكموه، وقال بعضهم: بدلاً من قوله: ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ كقوله: وعد الله، وقد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه[(٧)] من رواية أشعث بن إسحاق عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٤٠٠) رقم (١٣١٢)، **وإسناده ضعيف، فيه** عبيد الله بن أبي حميد متفقٌ على ضعفه وَيروي عن أبي المليح عجائب. انظر: «الميزان» (٣/ ٥)، و«التهذيب» (٧/ ٩).

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فقلت».

(٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» و«تفسير ابن أبي حاتم»، وفي الأصل: «حجرته»!

(٥) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) رقم (١٣١٢)، والمثبت من «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وقد تقدم»!!

(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والسدي نحو ذلك»، وانظر تخريج هذه الآثار في: «تفسير ابن جرير» (١/ ٥٧٠، ٥٧١)، و«المجالسة» للدينوري (١٤٦٤، ١٤٦٥) عن قتادة وابن كثير ـ بتحقيقي)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٨٣)، و«الدر المنثور» (١/ ٣٤٠)، ولعلي القاري رسالة مفردة فرغت من تحقيقها قديماً بعنوان «صنعة الله في صبغة الله».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم «تفسيره» (١٣٢٣) (١/ ٤٠٣) ومن طريقه أبو الشيخ في «العظمة» برقم (١٣٨) (٢/ ٤٥٢).

وعزاه ابن حجر في «العجاب» (١/ ٣٨٤) لابن مردويه، وهو عند الضياء في «المختارة» =

سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبي الله موسى ﷺ قال: إن بني إسرائيل قالوا: يا رسول الله هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله، فناداه ربه: يا موسى سألوك: هل يصبغ ربك؟ فقل: نعم. أنا أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها من صبغي، وأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعاً، وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف. وهو أشبه إن صح إسناده والله أعلم»[1].اهـ.

قال صاحب «الكواشف» (ص٣٧):

«الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق وصدق، ولا يعلم عددها إلا الله، وأنه يجب الإيمان بها جملة إلا ما سمى منها، وهي: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى.

قال الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وقال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

فيجب الإيمان بها على التفصيل والبقية إجمالاً، ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به حقيقة كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله، وأنه المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

ومنزلة القرآن من الكتب المتقدمة كما ذكر الله فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] وقال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

= (١٠/ ١١٠ ـ ١١١) رقم (١٠٧)، **وإسناده حسن**، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص٣٨).

(ملاحظة) في مصادر التخريج بين (أشعث) و(ابن جبير): «جعفر بن أبي المغيرة» وسقط من «تفسير ابن كثير» ولذا لم يرد له ذكر عندنا.

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٠٣ ـ ١٠٥).

ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧] وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قال المفسرون: مهيمناً مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ومصدقاً لها، يعني: يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل، فما شهد له بالصدق فهو المقبول وما شهد له بالرد فهو المردود، وله يخضع كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥١ ـ ٥٣]، ويجب على كل أحد اتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه، قال الله تعالى[١]: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى[٢]: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، وأوصى النبي ﷺ بكتاب الله فقال: «**خذوا بكتاب الله وتمسكوا به**»[٣] وفي حديث علي مرفوعاً: «**إنها ستكون فتن**» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله**»[٤] وذكر الحديث، ومعنى التمسك به والقيام بحقه: حفظه، وتلاوته، والقيام به آناء الليل والنهار، وتدبر آياته، وإحلال حلاله[٥]، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، والوقوف عند حدوده، والذب عنه؛ لتحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها، والدعوة إليه على بصيرة.

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «تعالى».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «تعالى».

(٣) أخرجه الدارمي (٣٣٥٩)، وأحمد (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم.

(٤) أخرجه الدارميّ (٣٣٧٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٢) برقم (١٠٠٥٦)، والترمذي في «ثواب القرآن» (٢٩٠٨)، باب ما جاء في فضل القرآن، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٣٥، ١٩٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٨١)، وهو **صحيح عنه موقوفاً**. انظر تعليقي على: «الموافقات» (٤/ ١٨٥ ـ ١٨٦) للشاطبي.

(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «حلاله».

وفي «جواب أهل العلم والإيمان»[(١)]:

«السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، وهو أعلى منها درجة، فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبيّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبيّن ما حُرّف منها وبُدِّل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبيَّن أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت[(٢)] به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما قبله من الكتب من وجوه متعددة[(٣)]، فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرّف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات، وكذلك معنى الشهادة والحكم يتضمن إثبات ما أثبته الله من صدق ومحكم، وإبطال ما أبطله من كذب ومنسوخ[(٤)]، ثم إنه معجز في نفسه لا يقدر الخلائق أن يأتوا بمثله.

ففيه دعوة الرسول وهداية[(٥)] الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته، وفيه ما جاء به الرسول، وفيه أيضاً من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفضيل ما جاء به الرسول، ما لو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن.

ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون من أصناف العلماء في أصناف العلوم والفنون لم يجد عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم[(٦)] تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر ولا كتاب آخر، فضلاً عن أن تحتاج شيئاً لا يستقل بنفسه عن[(٧)] غيره سواء كان من علوم النقل أو علوم العقل، ولله الحمد».

---

(١) انظر: «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن» (ص٦٥ ـ ٦٦) بتصرف واختصار.

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «جاء». (٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «متعدد».

(٤) بعدها في «جواب أهل العلم والإيمان»: «وليس الإنجيل مع التوراة ولا الزبور بهذه المثابة، بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيراً نسخه الله بالإنجيل، بخلاف القرآن...».

(٥) تحرفت في مطبوع «جواب العلم»: «وهو آية»!

(٦) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «لم».

(٧) في مطبوع «الكواشف الجلية» و«جواب أهل العلم» بدون: «عن».

وقال: «ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل أو الحس إلا وفي القرآن بيان معناه، فإن القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور وبياناً للناس، فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك لكن، قد تخفى آثار الرسالة في بعض الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفوا ما جاء به الرسول، أما أن لا يعرفوا اللفظ(١) ولا يعرفوا معناه فحينئذٍ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة، ومن هنا(٢) يقع الشرك وتفريق الدين شيعاً كالفتن التي تحدث بالسيف، فالفتن القولية والفعلية من الجاهلية؛ بسبب خفاء النور عنهم، فإذا انقطع عنهم(٣) نور النبوة وقعوا في ظلمة البدع وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم»(٤).

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية» زيادة وهي: «وإما أن يعرفوا اللفظ»، وقد سقطت من المطبوع.
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «هٰهنا».
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن الناس».
(٤) انظر: «الكواشف الجلية» (٢٧ ـ ٢٩).

الإيمان بالأنبياء والرسل

قال تعالى في سورة الحج الآية [٥٢]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

قال القاسمي: «﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: بما يصد عنها، ويصرف المدعوين عن إجابتها ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يبطله ويمحقه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يثبتها ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم الإلقاآت الشيطانية، وطريق نسخها من وجه وجيه ﴿حَكِيمٌ﴾ يحكم آياته بحكمته»[١]. اهـ.

قال شارح «الطحاوية» (ص١٠٥) ما نصه:

«وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، أن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، ومن[٢] لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي[٣]، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً»[٤]. اهـ.

وقال صاحب «الكواشف» (ص٤٠) ما نصه:

«الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق

---

(١) انظر: «تفسير القاسمي» (١٢/٣٧). (٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وإن».

(٣) هذا التفريق غير مرضيّ، والمحققون من العلماء على خلافه، وثبت في «صحيح مسلم» (١٨٤٤) بسنده إلى عبد الله بن عمرو رفعه إلى النبي ﷺ قال: «**إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمُه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم...**».
فدل هذا الحديث بمنطوقه أن الواجب على النبي الدلالة والتبليغ، وأحسن الفروق ـ عند المحققين ـ أن النبي بعث للدعوة إلى شريعة رسول قبله؛ ولذا كان علماء هذه الأمة بمثابة أنبياء بني إسرائيل.

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (١٦٧).

في معاشهم ومعادهم، اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقه، بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل، والإيمان جملة بأن لله رسلاً غيرهم وأنبياء لا يحصي عددهم إلا الله، ولا يعلم أسماءهم إلا هو جلّ وعلا.

قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] وعدد المذكورين في القرآن خمسة وعشرون، وهم:

آدم - ونوح - وإدريس - وصالح - وإبراهيم - وهود - ولوط - ويونس - وإسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - ويوسف - وأيوب - وشعيب - وموسى - وهارون - واليسع - وذو الكفل - وداود - وزكريا - وسليمان - وإلياس - ويحيى - وعيسى - ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

وموضوع الرسالة التبشير والإنذار[١] قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

والحكمة في ذلك دعوة أممهم إلى عبادة الله وحده قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]

وأفضل المرسلين أولو العزم وهم المذكورون في سورة الشورى، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ الآية [الشورى: ١٣] وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] وأفضل أولياء الله أنبياؤه[٢]، وأفضل أنبيائه المرسلون، وأفضل المرسلين أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا[٣] وصاحب لواء الحمد، والحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خَلْقاً وأولهم بعثاً، ومن حين

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «والتنذير».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «هم أنبياؤه».

(٣) بعده في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وخطيبهم إذا وفدوا، صاحبُ المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون».

بعثه الله جعله الفاروق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون ولياً[1] إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه ظاهراً وباطناً، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو[2] لا يتبعه فليس من أوليائه، بل من خالفه كان من أعدائه وأولياء الشيطان.

الواجب علينا للرسل[3]، والأشياء التي تجوز عليهم، والأدلة على صدقهم، وما أيديهم الله به: يجب علينا تصديقهم وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمروا به، وبيّنوه بياناً واضحاً شافياً كافياً، لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

قال تعالى[4]: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ويجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر، وأما الصغائر فقد تقع منهم، والكتاب والسنة يدلان على ذلك، ولكن لا يقرون عليها بل يوفَّقون للتوبة منها»[5].

فصل

قال محمد تقي الدين الهلالي: عندي عشرة من التفاسير، وقد اختلفت أقوال المفسرين فبعضهم برأ الأنبياء من الذنوب وتأول ما ورد فيهم من نسبة الذنب إليهم من القرآن، وبعضهم يفهم منه نسبة الذنب إليهم من القرآن، وبعضهم يفهم منه نسبة الذنب إليهم وقد أعجبني كلام (ك) وها أنذا أنقله هنا.

قال (ك) في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ في قصة داود وأوريا المنقولة من التوراة ما نصه:

«قد ذكر المفسرون هٰهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «ولياً لله».
(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لم».
(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «نحو الرسل».
(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «قال الله تعالى».
(٥) انظر: «الكواشف الجلية» (٢٩ ـ ٣٠).

عن المعصوم حديث يجب اتباعه[١]، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا

---

(١) أشار المصنف رحمه الله لقِصّةِ داود عليه السلام، وهي قِصّة مشهورةٌ جدّاً في كتب التفسير وغيرها، وحاصلها: أنَّ داود عليه السلام عشق امرأةً لرجلٍ اسمه أوريا بن حنين، فاحتال بالوجوه الكثيرةِ للحصول عليها، حتى بلغ به الحال أن قَتل زوجها، فأرسل الله إليه ملكَين في صورة المتخاصمين في واقعةٍ شبيهةٍ بواقعته، فعرف مرادهما، فاعترف بذنبه، ثمّ اشتغل بعد ذلك بالتوبة.

ويروى هذا التفسير مرفوعاً للنبيِّ ﷺ، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في «مصنّفه» (٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ رقم ٣١٨٨٥ ـ علميّة) من حديث علي بن زيد، عن الحسن، عن الأحنف بن قيسٍ مرفوعاً، وهذا لا يصحُّ من جهة علي بن زيدٍ وهو ابن جدعان، ضعيفٌ، ثمّ هو منكر.

وأخرجه ابن قدامة في «التوابين» (ص٣١) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة مرفوعاً، وهو منقطعٌ، فيحيى لم يسمع من أبي هريرة، ولذلك ضعّفه ابن الجوزي في «زاد المسير»، وابن كثير، وغيرهما.

وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٨)، وابن جرير (٢٣/ ١٥٠ ـ ١٥١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ـ كما في «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٦٧)، و«الدر المنثور» (٥/ ٣٠٠) ـ من حديث أنسٍ رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه يزيد الرقاشي وابن لهيعة، وقد ضعّفه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤)، والسيوطي في «الإكليل» (ص٢٢١)، وشيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣١٣).

ويروى الخبر عن ابن عباس رضي الله عنه، وغيره من السّلف موقوفاً؛ أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، وابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٧/ ٩٠ ـ ٩١) رقم (٣٤٢٣٧) ـ ومن طريقه الجصّاص في «أحكام القرآن» (٥/ ٢٥٤) ـ، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧)، والطبريُّ في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٠ ـ ٥٧٥) رقم (٢٩٨٥٢، ٢٩٨٥٣، ٢٩٨٥٥، ٢٩٨٥٧)، والتاريخ (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٨ ـ ١٩) رقم (١٩، ٢٠، ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٨ ـ ٣٢٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٢٨ «مختصره») ـ وهو في «الجزء المفقود من ترجمة داود عليه السلام، انظر منه (١٧/ ١٠٩، ط. الفكر) ـ وابن المنذر، وعبد بن حميد، وهنّاد بن السّرِّي كما في «الدرّ المنثور» (٥/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧).

وهو خبرٌ مشهورٌ جدّاً ذكره جمعٌ كثيرٌ من المفسرين مثل: الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٨)، والسمرقندي في «بحر العلوم» (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، والبغويُّ (٤/ ٥٤ ـ ٥٥)، وابن الجوزي (٧/ ١١٥ ـ ١١٦)، والجصّاص (٥/ ٢٥٥)، وأبو حيّان (٧/ ٣٩٣)، والقرطبي (١١/ ٢٠٣)، والرّازي (١٣/ ١٩٠ ـ ١٩١)، والزمخشري (٤/ ٨٣ ـ ٨٤)، وابن حبيب العامري في «أحكام النظر» (ص٣٠ ـ ٣١ ـ بتحقيقي)، وغيرهم كثير كثير.

وذكر هذه القصّة: ابن قدامة في «التوابين» (ص٣٢ ـ ٣٣)، وابن الملقن في «قصص الأنبياء» (ص٢١٩ ـ ٢٢٠)، وابن النّحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٩٧ ـ ٩٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٨٥ ـ ٨٦)، وغيرهم، وبعضهم يزيدُ بأنّه نكحها وأنجب منها =

....

= سليمان ﷺ، كما في «أنوار التنزيل» (٢/ ٣١٠) للبيضاوي، و«محاضرة الأبرار» (١/ ١٣٤) لابن عربي، و«حاشية الصاوي على الجلالين» (٥/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
وقد تلقّى أهل العلم هذا الخبر بالردِّ والتّكذيب، **لعدم صحّته** أولاً، ولمنافاته لعصمة الرُّسل وجناب النبوّة، ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أنّ الأنبياء ﷺ معصومون عن مثل هذه الذنوب المقترنةِ بفساد الخلق المنطوي على الخِسَّة وأنواع الدناءة من الحسد، وغيره من الآفات الذميمة، ولو جوّزناه على الأنبياء، لبطلت الشرائع، ولفسدت الأديان، ولهذا أحسن الحافظ ابن كثير لما أعرض عن ذكرها في «تاريخه» (٢/ ١١)، و«تفسيره» (٤/ ٣٤) بل قال ـ ونقله عنه المصنف ـ: «ذكر المفسرون هٰهنا قصّةً أكثرها من الإسرائيليّات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتباعه».
وقال السيوطيُّ في «الإكليل» (ص٢٢٠ ـ ٢٢١): «قال تقي الدين السُّبكي في كتابه «القول المحمود في تنْزيه داود» ـ ومن خطِّه نقلتُ ـ: تكلّم النّاس في قصّةِ داود وأكثروا وذلك مشهورٌ جدّاً، وذكروا أموراً منها ما هو منكرٌ عند العلماء، ومنها ما ارتضاه بعضهم وهو عندي منكر». قلت: وكتاب السبكي مطبوع.
وقال ابن حزم ﷺ في «الفِصل» (٤/ ٣٩، ط. دار الجيل): «ومن قال: إنّهم كانوا ملائكةً معرِّضين بأمر النِّساء فقد كذب على الله ﷻ، وقوّلهُ ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب على الله ﷻ، وأقرَّ على نفسه الخبيثة أنّه كذّب الملائكة... ثمّ كلّ ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجرّدة، وتالله إنّ كلّ امرئٍ مِنّا ليصون نفسه، وجاره المستور أن يَتَعشَّق امرأة جاره، ثمّ يُعرِّض زوجها للقتلِ عمداً ليتزوَّجها، وعن أن يترك صلاته لطائرٍ يراه، هذه أفعال السُّفهاء، المتهوكين، الفُسَّاق، المتمردين، لا فعل أهل البرِّ والتّقوى، فكيف برسولِ الله داود ﷺ».
وقال البيضاويّ في «أنوار التنْزيل» (٢/ ٣١٠): «وما قيل: إنّه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يقدّم حتى قُتل، فتزوّجها، هزءٌ وافتراءٌ، ولذلك قال عليٌّ ؓ: «من حدّث بحديث داود ﷺ على ما يرويه القُصاص، جلدته مِئةً وستينَ جَلْدَةً».
وفي «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٩) لابن عطيّة: «في كتب بني إسرائيل في هذه القِصّة صورٌ لا تليق، وقد حدّث بها قُصّاصٌ في صدر هذه الأُمّة، فقال علي ؓ: من حدّث بما قاله هؤلاء القصّاص جلدته حَدَّين؛ لما ارتكبه من حرمةٍ في حقِّ من رفعه الله ﷻ».
وكذلك انتصر لردّها الرّازيُّ في كتاب «مفاتيح الغيب» (١٣/ ١٩٠ ـ ١٩٣) وسرد جملةً من البراهين القاطعة، فانظره ـ غير مأمور ـ فهو غايةٌ في النّفاسة، ولولا الإطالة لأوردناه كاملاً، وممّن أحسن في ردِّ هذه الفرية: أبو حيان في «البحر» (٧/ ٣٩٤)، والزمخشري في «الكشّاف» (٤/ ٨٢ ـ ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ١١٦ ـ ١١٧) ومن قوله ﷺ: «فأمّا ما روي أنّه نظر إلى المرأة فهَويَها وقَدَّم زوْجها للقتل، فإنّه وجْهٌ لا يجوزُ على الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها».
وفي «الشِّفا» (٢/ ١٠٢ ـ علميّة) للقاضي عياض: «وأما قصّة داود ﷺ، فلا يجب =

....

= أن يُلْتَفت إلى ما سطّره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدّلوا، وغيّروا، ونقله بعض المفسّرين، ولم ينصّ الله على شيءٍ من ذلك، ولا وَرَدَ في حديث صحيح»، وقارن كلامه بما في «السيرة النبويّة في مفهوم القاضي عياض» (ص٥٣٥ ـ ٥٤٣) لأحمد جمال العمري.

ثمّ نقل عن الدّاودي رحمه الله أنّه قال: «ليس في قصّة داود وأوريا خبرٌ يثبُتُ».

وانظر: «اللُّباب» (٣/ ٢٣) للخازن، و«محاسن التأويل» (٦/ ٩١ ـ ٩٤) للقاسمي، و«التحرير والتنوير» (٢٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧) لابن عاشور، و«الجواب الكافي» (ص٣٦٠) لابن القيّم، و«مدارك التنْزيل» (٤/ ٥٨ ـ ٥٩) للنسفي، و«نظم الدرر» (١٦/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) للبقاعي، و«إرشاد العقل السليم» (٧/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) لأبي السعود، ومن كلامه رحمه الله: «وأمّا ما يذكر عن داود عليه السلام . . . فإفْكٌ مبتَدَع، ومكروهٌ ومكرٌ مخترع، بئسما مكروه تمجُّه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، ويلٌ لمن ابتدعه، وأشاعه، وتبّاً لمن اخترعه، وأذاعه».

وفي «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٩) لابن قدامة رحمه الله: «ومن تشاغل في وعظه بذكر قَصَصِ الأولين، فليعلم أنّ أكثر ما يُحكى في ذلك لا يثبت، كما ينقلون أنّ يوسف عليه السلام حلّ تِكّته، وأنّه رأى يعقوبَ عاضّاً على يديه، وأنّ داود جهّز أوريا حتى قُتِل، فمثل هذا يَضُرُّ سماعه».

وقال شيخنا الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣١٣): «وقصة افتتان داود عليه السلام بنظره إلى امرأة الجندي (أوريا) مشهورة مبثوثة في كتب قصص الأنبياء، وبعض كتب التفسير، ولا يشك مسلم عاقل في بطلانها؛ لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ مثل: محاولته تعريض زوجها للقتل، ليتزوَّجها من بعده! وقد رُوِيَتْ هذه القصة مختصرةً عن النبي ﷺ فوجب ذكرها والتحذير منها». وقال أيضاً:

«قلت: والظاهر أنها من الإسرائيليات التي نقلها أهل الكتاب الذين لا يعتقدون العصمة في الأنبياء أخطأ يزيد ـ بعض رواة حديث أنس ـ فرفعها إلى النبي ﷺ».

وفي هذا الحشد من كلام الأئمة من الحفّاظ، والمفسرين، وغيرهم ما يكفي لردّ هذه الفريّة والحمد لله، وللأخ أبي أنس السيّد بن عبد المقصود رسالةٌ مفردة مطبوعةٌ بعنوان: «سوط الملك المعبود، على من اتّهم نبيّ الله داود» كما أشار لها في تعليقه على «مدارك التنْزيل» (٤/ ٥٩)، وطبع في مصر سنة ١٩٩٣م كتاب «تحرير المقال في براءة داود عليه السلام» لعبد الحميد شحاته، ومن محفوظات الظاهرية: «الظل الممدود في الذبّ عن نبي الله داود» للبعلي، وانظر في ردّها والتنبيه على وضعها ـ غير ما تقدّم ـ: «فيض الباري على صحيح البخاري» (٤/ ٣٨ ـ ٣٩)، و«الإسرائيليات والموضوعات» (٣٦٩) للشيخ محمد أبو شهبة، و«الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (٢١٤) لرمزي نعناعة، و«دراسات تاريخية من القرآن الكريم» (٣/ ٤٣ ـ وما بعدها) لمحمد بيومي مهران، ومقدّمة «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤)، وكتابي «من قصص الماضين» (ص٤٢٥ ـ ٤٢٩).

يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأَوْلى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يردَّ علمها إلى الله ﷻ، فإن القرآن حق وما تضمنه(١) حق أيضاً»(٢).

قال محمد تقي الدين: وأنا أرجح مذهب القائلين بالتأويل وأعتقد عصمة الأنبياء كلهم من الذنوب الصغائر والكبائر، وتسمية بعض أعمالهم ذنوباً هي من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) والأدلة على ذلك كثيرة نذكر قليلاً منها، فمن ذلك: حكم النبي ﷺ لبني أبيرق بالبراءة(٣) اجتهاداً منه لما لم يقم دليل على أنهم سرقوا، فعاتبه الله على ذلك وأمره بالاستغفار. انظر بسط هذه القصة في (القسم الثاني) من «سبيل الرشاد» في (الباب الرابع) من (سورة النساء).

وكذلك قصة أسارى بدر، وقد ذكرها الله تعالى في آخر سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] فقد عاتب الله نبيه ﷺ على أخذ الفدية من أسارى بدر وقال له: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨] مع أن النبي ﷺ استشار أصحابه كما أمره الله تعالى بقوله في سورة آل عمران ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وذلك فيما لم يأمره فيه بشيء، فأشار أكثرهم بأخذ الفدية من الأسارى وإطلاق سراحهم وهذا ليس فيه أي ذنب، وكذلك قوله تعالى في سورة التوبة الآية ٤٣: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فقد أمره الله تعالى بالعفو في غير ما آية، قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٠٩: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية ١٣: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وآية التوبة نزلت في المنافقين، لما عزم النبي ﷺ على الخروج لغزوة تبوك دعا الناس كلهم لذلك، فاعتذر له المنافقون بأعذار كاذبة، فقبل ظواهرهم

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تضمن فهو».
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٨١ ـ ٨٢).
(٣) مضى تخريجه.

واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وهذا ليس بذنب، ويقاس على هذا ما أشبهه، وعندي دليل نظري هو حجة قاطعة، وذلك أن الرسول لو جاز عليه ارتكاب الذنوب وقد أمرنا الله باتباعه اتباعاً مطلقاً، فإذا عمل ذنباً كنا مأمورين باتباعه فيه، ومنهيين عنه، فيقع التناقض، وهو الأمر بالشيء والنهي عنه في وقت واحد، فكأن الله يقول: اتبعوه ولا تتبعوه، فطريق السلامة هو تبرئة الأنبياء من الذنوب صغيرها وكبيرها، والله أعلم.اهـ.

وقال صاحب «الكواشف»: «ويجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم، ويجب الاهتداء بهديهم والائتمار بأمرهم، والكف عما نهوا عنه، ويجب الاعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد وبرَّأهم من كل خلق رذيل، ويجب محبتهم وتعظيمهم، ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم، ويجوز في حقهم شرعاً وعقلاً النوم والنكاح والأكل والشرب والجلوس والمشي والضحك وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي[1] إلى نقص في مراتبهم العلية، فهم بشر يعتريهم ما يعتري سائر أفراده فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الأذى[2]، وقد يقتل الأنبياء كما أخبر الله بذلك في كتابه بقوله سبحانه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢] ومن الأدلة على ما ذكرنا أولاً من أنه يجوز في حقهم أشياء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال عز من قائل: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] وقال ﷺ: **«لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء»**[3]. وكان ﷺ يمرض ويتألم ويشتكي، وكان يصيبه الحر والبرد، والجوع والعطش، والغضب والضجر والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه.

وأما الأدلة على صدق الرسل فكثيرة[4]، أعظمها شهادة الله لهم بأنهم

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يؤدي».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الاضطهاد».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١) من حديث أنس.

(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فكثير».

صادقون، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

وقال عز شأنه: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] وقال عز من قائل في[1] إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] وقال في[2] إبراهيم: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] إلى غير ذلك من الأدلة»[3]. اهـ.

البحث في المعجزات

قال شارح «الطحاوية»:

«ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قاله[4] حسان[5]:

لو لم تَكُن فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ كانت بديهتُهُ تأتيك بالخَبَرِ

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بدّ أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بدّ أن يفعل أموراً؛ يبيّن بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه، وما يفعله ما يتبين[6] به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب ـ لا بدّ أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، كما في «الصحيحين»[7] عن النبي ﷺ أنه

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن». (٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن».

(٣) انظر: «الكواشف الجلية» (٣٠).

(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ما قال حسان رضي الله عنه».

(٥) البيت في «عيون الأخبار» (١/ ٣٢٦)، و«محاضرة الأبرار» (٢/ ٢٤٠)، و«ربيع الأبرار» (٤/ ١٥٦)، و«المجالسة» (٧٥٨/ م، ٣٢٣٤)، وفي بعضها: «تنبئك» بدل «تأتيك».

(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «يبين».

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] (٢٠٩٤) ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب =

قال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً**». ولهذا قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٦] من سورة الشعراء فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من المغيبات، ويكون صدقاً فمعهم من الكذب والفجور ما يبيِّن أن الذي يخبرون به ليس عن ملك وليسوا بأنبياء، ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صَيَّاد: «**قد خبأت لك خبأ**»، فقال: هو الدخ. قال له النبي ﷺ: «**اخسأ فلن تَعْدُوَ قَدْرَك**»[١]. يعني: إنما أنت كاهن، وقد قال للنبي ﷺ: «يأتيني صادق وكاذب» وقال: «أرى عرشاً على الماء»[٢]. وذلك هو عرش الشيطان.

وبيَّن أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصِدْقَه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن»[٣]. اهـ.

ثم قال صاحب «الكواشف» (ص٤٢):

«فهم أصدق الخلق على الإطلاق، عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة، فمن أعلام نبوته ﷺ القرآن العظيم الذي أعجز الورى كلهم، ومثل انشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وكفاية الله أعداءه وعصمته من الناس، وإجابة دعائه، وإعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة، وتأثيره في تكثير الطعام والشراب».

قال الشيخ: ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة الأنبياء به، ومثل أخبار

= قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر.
(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد (٢٩٢٥) من حديث أبي سعيد.
(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (١٥٨ ـ ١٦٠).

الكهان والهواتف به، ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية في عام مولده من العجائب الدالة على نبوته، ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله من غير أن يعلمه إياها بشرٌ(١). اهـ.

وكما أيد الله موسى بالآيات البينات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وكما أيد الله سائر رسله، مع انضمام ذلك إلى أحوالهم الجليلة، وأخلاقهم الفاضلة الجميلة، من سلامة الفطرة والعفاف، والكرم(٢) والشجاعة، والعدل والنصح(٣).

الواسطة بين الله وبين خلقه

قال محمد تقي الدين: رأيت كلام العلماء المتقدمين كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه صعوبة على فهم عامة القراء، فأردت أن أبينه لهم بعبارة سهلة:

اتخاذ الوسائط بين الله وبين عباده على نوعين: الأول حق، والثاني باطل، **فالأول** الذي هو حق: يجب على كل مسلم أن يعتقد أن كل ما يأمر الله به عباده أو ينهاهم عنه أو يخبرهم به لا يمكن أن يُعرَف إلا من طريق الرسل، وذلك كالأحكام الخمسة: الواجبات، والمستحبات، والحلال، والحرام، والمباح، وأخبار الأمم السابقة، وأمور الآخرة كسؤال القبر والحساب والميزان والحوض والصراط ودخول الجنة ونعيمها ودخول النار وعذابها، والملائكة، فكل من أخبر بشيء من ذلك من غير طريق الكتاب والسنة يجب علينا أن نكذبه كالمتصوفة الذين يقولون: قال الله كذا وكذا، وقلت له كذا وكذا، ورأيت النبي ﷺ يقظة وأخبرني بكذا وكذا أو غيره من الأنبياء أو يقول: إذا قال لك المحدث: حدثني أبي عن جدي فقل له: حدثني قلبي عن ربي، فهذا كذب وضلال، مَنْ صدّقه فقد كذّب الله ورسوله، وإذا عرفت أيها القارئ هذه القاعدة فإنك تسلم من الوقوع في شباك الدجاجلة الذين يسلبون الدين والعقل والعرض والمال بمثل هذه الحيل.

---

(١) الظاهر أن من قوله: «قال الشيخ...» إلى هنا، من إملاءات العلامة الهلالي ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الكرام»، والمثبت هو الصحيح.

(٣) انظر: «الكواشف الجلية» (٣٠ ـ ٣١).

والنوع الثاني: اتخاذ وسائط بين الناس وبين الله في جلب الخير، كنزول المطر وشفاء المرض وتنوير القلوب وإصلاحها وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ودفع الضرر، فاتخاذ الوسائط بهذا المعنى شرك وكفر بالله، ومن ذلك: الاستغاثة عند الشدائد بالأنبياء والملائكة والصالحين ودعاؤهم والذبح والنذر لهم والحلف بأسمائهم والتوكل عليهم في جلب الخير ودفع الشر والاستمداد من أرواحهم والخوف والرجاء منهم، وأعظم من ذلك اعتقاد أنهم يتصرفون في العالم، وقد تقدم ذلك مبسوطاً في (القسم الأول) من هذا الكتاب، وكل ما أخبر به الأنبياء والرسل عموماً وخصوصاً، أفضلهم وسيدهم محمداً رسول الله ﷺ، إذا ثبت بالكتاب أو بالسنة أو بأحدهما فهو حق يقبله العقل الصحيح ويفهمه ولا يتنافى معه أبداً، ومن شك فيه فهو فاسد العقل أو كذاب جاحد مكابر.

عدد الأنبياء والرسل والكتب المنزلة

ذكر الحافظ (ك)[1] في تفسير الآية ١٦٤ من سورة النساء: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ الآية أحاديث كثيرة متناقضة، فأكثر ما ذكر في عددهم أن الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر. وفي حديث: وخمسة عشر، وفي حديث أن الرسل ثمانية آلاف وفي حديث آخر أنهم ألف. وأطول هذه الأحاديث حديث أبي ذر رواه أحمد[2] وغيره، والمختار التوقف في عددهم لما تقدم، وللآية المذكورة وآية

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وابن سعد (١/ ٣٢)، والنسائي (٨/ ٢٧٥)، والبزار (١٠٦٠ ـ زوائد)، والطبراني (١٦٥١)، وفي «الأوسط» (٤٧١٨)، وابن حبان (٣٦١)، وفي «المجروحين» (٣/ ١٢٩)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٦٢)، وأبو نعيم (١/ ١٦٨)، والبيهقي (٩/ ٤) من **طرق فيها مقال** عن أبي ذر ولفظ أحمد: «قال أبو ذر: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: **«ثلاث مئة وبضعة عشر، جماً غفيراً»** وقال مرة: **«خمسة عشرة»**.

وفي بعض الروايات زيادة: «قال: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: **«مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»**»، وهذا لفظ الآجري.

وإسناد أحمد **ضعيف جداً**، وانظر: «الضعيفة» (٤/ ٣٨٣) وأما قوله: وفي حديث: **«أن الرسل ثمانية آلاف...»**.

فقد أخرج أبو يعلى (٤٠٩٢، ٤١٣٢)، والحاكم (٢/ ٥٩٧، ٥٩٨)، والطبراني في =

سورة غافر الآية ٧٨: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ومن الآيتين نعلم يقيناً أن الله تعالى لم يقص على النبي ﷺ جميع الرسل، فكيف يمكن أن يبين عددهم وهو لا يعلم إلا بعضهم؟ وكذلك الكتب السماوية جاء في أحد تلك الأحاديث أن عددها مائة وأربعة[1] ثم ذكر تفصيلها، ونحن نكل علم عددها وتفصيلها إلى الله تعالى ونؤمن بجميع ما أنزله الله من الكتب إجمالاً وما ذكره الله لنا بالتفصيل أربعة: التوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والزبور لداود، والقرآن لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

= «الأوسط» (٧٧٤)، وأبو نعيم (٣/ ٥٣)، وابن كثير في «التفسير» (٤/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) من حديث أنس رفعه: «**بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس**».
وإسناده ضعيف جداً، فيه يزيد الرقاشي وغيره من الضعفاء، وانظر ـ لضعفه ـ: «المجمع» (٨/ ٢١٣)، «المطالب العالية» (٣/ ٢٧٠) رقم (٣٤٥٥).
وأما قوله وفي حديث آخر: «**إنهم ألف**» فيدل عليه ما أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٤٦)، وابن سعد (١/ ١٥١)، والبزار (٣٣٨٠ ـ زوائده)، وأبو نعيم (٤/ ٣٣٤، ٣٣٥) من طريق مجالد عن الشعبي عن أبي سعيد الخدري رفعه: «**إني لخاتم ألف نبي أو أكثر**»، **وإسناده ضعيف**، فيه مجالد بن سعيد، واستغربه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٨٣).

(١) ورد ذلك في حديث أبي ذر السابق ذكره.

الإيمان بالبعث وما بعده

قال الله تعالى في سورة التغابن الآيات (٧ إلى ١٠): ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٠﴾ [التغابن: ٧ ـ ١٠]

قال (ك): «يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: لتُخْبَرُنَّ بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع المعاد ووجوده.

فالأولى: في سورة يونس: ﴿۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس: ٥٣].

والثانية: في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الآية [سبأ: ٣].

والثالثة: هي هذه الآية ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون

والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله تعالى[(١)]: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ قال ابن عباس: هو[(٢)] من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، وكذا قال قتادة ومجاهد[(٣)]، وقال مقاتل بن حيان[(٤)]: لا غُبنَ أعظمُ من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويُذْهَبُ بأولئك إلى النار، قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن: ٩، ١٠] وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة»[(٥)]. اهـ.

قال شارح «الطحاوية» ص٤٥٦:

«وقوله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان».

قال (ش): الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه[(٦)] في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن.

وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفى؛ بيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».
(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو اسم من».
(٣) أخرجه عن قتادة: عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (١٤/ ٥١٥).
وأما عن مجاهد، فأخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٩)، وابن جرير (٢٣/ ١٠)، والفريابي ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٥٢، ٦٥٣) ـ وعبد بن حميد ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٤٣) ـ.
(٤) انظر: «تفسيره» (٤/ ٣٥٢).
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٩ ـ ٢٠).
(٦) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «به»!

أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بيّن معاد النفس بعد الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل، وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٥] ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٧٩ ـ ٨١] وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢]، إلى آخر القصة، وقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١][1]، وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥، ١٦] بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣] إلى قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩] إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]»[2]. اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: احتجاج شارح «الطحاوية» على الفلاسفة الذين لا يصدقون الرسول ﷺ بآيات القرآن على أن الرسل السابقين جاؤوا بعقيدة البعث

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠]»، وهي ساقطة من مطبوع كتابنا «سبيل الرشاد».

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٥٦ ـ ٤٥٨).

مفصلة كما جاء بها محمد ﷺ فيه نظر، وقد نظرت في الكتب السابقة فلم أجد في التوراة ذكر يوم القيامة والجزاء الأخروي.

أما الأناجيل فالبعث موجود فيها، ولكن علماء النصارى ينكرون بعث الأجساد والتمتع بالأكل والشرب والجماع في الجنة، ويزعمون أن المؤمنين يشتغلون بالغناء والمعازف ويسبحون الله، وكان الأستاذ (باول كالي)[1] مدير القسم الشرقي في جامعة (بن) بالبلاد الجرمانية يهيء لنا رحلة في كل أسبوع أو أسبوعين للترويح على النفس والاستجمام، وكان هو يقوم بنفقات السفر ما عدا الأكل والشرب، وكل واحد ينفق على نفسه، وكانت هذه الرحلة تشتمل على رجال ونساء من أهل العلم والأدب، فهجم عليَّ أحدهم يوماً، وقال مستهزئاً: كيف تدعون أن في الجنة أكلاً وشرباً واستمتاعاً بالنساء فقلت له: هل يحشر الناس يوم القيامة ذكوراً فقط، أو أناثاً فقط، أو خناثى، أم يحشرون ذكوراً وإناثاً، كما كانوا في الدنيا؟؟ فقال: بل يحشرون ذكوراً وإناثاً، فقلت: فما معنى كونهم ذكوراً وإناثاً إن لم يكن استمتاع أحد الجنسين بالآخر؟ وما الحكمة في جعلهم ذكوراً وإناثاً؟ ولماذا لم يجعلهم الله كالملائكة لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة؟ فضحك عليه الحاضرون ولم يستطع جواباً، وقلت له: استمتاعكم أنتم في الجنة هو أن يعطى كل واحد عوداً يلهو به، وهذا أمر ممل فإن الإنسان لا يتنعم بالضرب على العود إلى الأبد بدون انقطاع، فجنتنا أحسن من جنتكم! فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فاستحسنوا كلهم هذا الكلام، وبهت هذا الطاعن وبطل طعنه، وكان ذلك في سنة ١٩٣٧ بتأريخ النصارى في جبال غربي البلاد الجرمانية راين لند؛ أي بلاد راين، وهو نهر مشهور.اهـ.

رجوع إلى البحث في المعاد

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٠١):

«والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب وهم فيه على قولين:

(١) كان صديقاً للهلالي، وترجم معه كتابين عربيين. انظر ما تقدم في ترجمة المصنف، وللهلالي ترجمة له نشرها في أول ترجمته لكتابه «مدنية المسلمين في أسبانيا» (ص١٩ - ٢٥، ط. مكتبة الثقافة، المغرب).

منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد.

ومنهم من يقول: تفرَّق الأجزاء ثم تُجمع.

فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا، وأورد عليهم: إن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد؟ أهو[1] الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض، فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني، والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق فصار ما ذكروه في المعاد مما قوّى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة، يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عَجْبَ الذنب كما ثبت في «الصحيح»[2] عن النبي ﷺ، أنه قال: **«كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب»**. وفي حديث آخر: **«إن السماء تمطر مطراً كمنيِّ الرجال، ينبتون في القبور كما ينبت النبات»**[3].

ومضى إلى أن قال: «ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخاً، علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوانات والنبات فمن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن

---

(١) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «هو».

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ (٤٩٣٥)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب «ما بين النفختين» (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥١١)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/رقم ٩٧٦١)، والحاكم (٤/ ٥٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣١٤ و٤٦٣)، **وضعّفه** شيخنا في تعليقه على الطحاوية» (٤٦٣).

الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم».

ثم قال في النشأة الأخرى: «وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات»(١). اهـ.

جزاء الأعمال

قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، وقال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ الآية [٢٥] وقال تعالى في سورة غافر الآية [١٧]: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ الآية [٢٥].

قال المصنف في كتابه «فتح الرحمن في تفسير أم القرآن»(٢) ما نصه: «﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قرئ في السبع بألف بعد الميم وبدونها(٣).

فالأول: من المِلك بكسر الميم كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [١٩].

والثاني: من المُلك بضم الميم وكلاهما ثابت لله تعالى، قال البيضاوي(٤): «أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع، كقولهم: (يا سارق الليلة أهل الدار) ومعناه: ملك الأمور [يوم] الدين، أو له [الملك] في هذا اليوم على وجه الاستمرار».

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(٢) هو كتابٌ للمصنف ذكره بهذا الاسم في كتابه «ذيل الصراط المستقيم» (٧)، وقال في كتابه «الحسام الماحق» (١٣): «قلت في كتابي «المنح السانحة في تفسير سورة الفاتحة» ما نصه: ...»، وأورد نصاً طويلاً في نحو أربع صفحات وزيادة، ويحتمل أن يكون العنوانان لكتاب واحد ولا أعلم شيئاً عن كتابه هذا، وجلُّ كتب المصنف نشرها على حلقاتٍ في مجلات نُشرت في أوقاتٍ مختلفة وَبلدان شتى، وأنا أجهدُ على جمعها جميعاً وَحصلتُ منها على قسمٍ لا بأسَ به (نحو خمس مئة مقالة) وهو قيد التنضيد الآن، والله الموفق.

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١/ ٢٠)، «النشر» (١/ ٤٧)، «الإبانة» (١٣٧).

(٤) في «تفسيره» (١/ ٨) وما بين المعقوفتين منه، وصوبت بعض ما في الأصل منه أيضاً.

قال محمد تقي الدين: والإضافة هنا بمعنى (في) كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والدين الجزاء، قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [٢٥] قال الحماسي:

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

وفي الحديث «**كما تدين تدان**»[١] أخرجه ابن عدي في «الكامل» عن ابن عمر مرفوعاً.

وفي «فتح البيان»: «واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان، وفي الشرع ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس، والمراد هنا مطلق الوقت»[٢]. اهـ. وإنما أضيف ملكه سبحانه ليوم القيامة، مع أنه يملك الدنيا والآخرة، وهو المتصرف فيهما وحده، لأن في الدنيا مالكين ومملوكاً على سبيل الحدوث والنقصان.

وهم مملوكون لله، أما في ذلك اليوم فلا تملك نفس شيئاً أصلاً؛ لقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ الآية [٣٣].

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/١٦٨)، والديلمي (٢٢٠٣)، وفي إسناده محمد بن عبد الملك المدني، قال ابن عدي: «كل أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه، وهو **ضعيف جداً**».
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٩)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (٢١٠) من **مرسل** أبي قلابة، وأوله: «**البر لا يبلى، والإثم لا ينسى...**».
وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٤٢)، والمروزي في «زوائد زهد ابن المبارك» (١١٥٥) عن أبي الدرداء قوله، **وإسناده منقطع**.
وأخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم والعمل» رقم (١٦٤) بسنده إلى مالك بن دينار قال: «مكتوب في التوراة: كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد».
وإسناده ضعيف، فيه الحكم بن سنان، وسويد بن سعيد، وهما ضعيفان، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١٥٧٦، ٤١٢٤، ٤٥١٠).

(٢) انظر: «فتح البيان في مقاصد القرآن» للقنوجي (١/٣٨، ط. دار الكتب العلمية)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/٤٧٠ ـ ٤٧١) قاعدة مهمة في معنى (اليوم) و(النهار) في كلام الشارع، فانظره فإنه نفيس.

قال المحقق القنوجي في «فتح البيان» في تفسير آية آل عمران [٢٥]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾:

«هو رد عليهم وإبطال لما غرهم من الأكاذيب باستعظام ما سيقع لهم وتهويل لما يحيق بهم من الأهوال؛ أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا يرتاب مرتاب في وقوعه فإنهم يقعون لا محالة فيه ويعجزون عن دفعه بالحيل والأكاذيب»(١).

وقال (ج): «المعنى لما يحدث في يوم ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء ما كسبت من خير وشر على حذف المضاف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة سيئة ولا نقص حسنة من أعمالهم، والمراد: كل الناس المدلول عليهم بكل نفس»(٢).

وقال (ك) في تفسير آية سورة النور [٢٥]: «وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: ﴿دِينَهُمُ﴾؛ أي: حسابهم» وكل ما في القرآن دينهم أي: حسابهم، وكذا قال غير واحد، ثم إن قراءة الجمهور بنصب ﴿الْحَقَّ﴾ على أنه صفة لدينهم، وقرأ مجاهد بالرفع(٣) على أنه نعت لاسم الجلالة، وقرأها بعض السلف في مصحف أُبي بن كعب(٤): «يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ الحقُّ دِينَهُمُ»، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ أي: وعده ووعيده، وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه»(٥). اهـ.

قال (ك) في تفسير آية سورة غافر: «وقوله جلت عظمته: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ

---

(١) انظر: «فتح البيان» (١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

(٢) ليس المذكور كلام ابن جرير الطبري المرموز إليه بـ(ج)! بل هو كلام الشوكاني رحمه الله بتصرف. انظر: «فتح القدير» (١/ ٥٤٦، ط. دار الوفاء).

(٣) وقرأ بها هكذا غير مجاهد: ابن عباس وأبو روق وأبو حيوة وأبو الجوزاء وحميد بن قيس والأعمش. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٤١)، «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ١٢٠)، «الكشاف» (٢/ ٣٨٠)، «معاني القرآن» للزجاج (٨/ ٣٧)، «إعراب النحاس» (٢/ ٤٣٦)، «الدر المصون» (٥/ ٢١٥).

(٤) وهكذا قرأ ابن مسعود، وكذا رآها جرير بن حازم في مصحف أبيّ، وذكر ابن خالويه أنها قراءة النبي ﷺ، وذكرها ابن عطية رواية عنه. انظر: «إعراب النحاس» (٢/ ٤٣٧)، «مختصر ابن خالويه» (١٠١)، «المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٧٤)، «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢١٠).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٢٠٢).

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]؛ يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة»[١]. اهـ.

العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب

قال تعالى في سورة الانشقاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٦ ـ ٩] **إلى قوله:** ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٥]، **وقال تعالى في سورة الكهف:** ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩]

قال (ﷺ): «وقوله تعالى[٢]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: إنك[٣] ساع إلى ربك سعياً وعامل عملاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي[٤] بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال جبريل: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»**. ومن الناس من يعيد الضمير

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٨٠).

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «إنك».

(٤) أخرجه الطيالسي (١٨٦٢، ط. هجر)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤٠)، وأبو الشيخ في «طبقات أصبهان» (٢/ ٢٦٢) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر، **وإسناده ضعيف**، فيه عنعنة أبي الزبير، وضعف الحسن بن أبي جعفر.
وله **شاهد** من حديث سهل بن سعد، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٤/ ٣٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٣٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٠٩، ١١٠)، والحديث في «السلسلة الصحيحة» (٨٣١).

على قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك، ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلا القولين متلازم، قال العوفي عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً، ثم قال تعالى[1]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾﴾ أي: سهلاً بلا تعسير، أي: لا يحقق[2] عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك[3] لا محالة، وروى (**أحم، و، ت، ن، ع**): عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذب**» قالت: فقلت: أفليس[4] قال الله تعالى[5]: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾؟ قال: «**ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب**»[6].

وروى الإمام أحمد[7] بسنده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حساباً يسيراً**» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذٍ هلك**»[8] صحيح على شرط مسلم.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ أي: ويرجع إلى أهله في الجنة، قاله قتادة والضحاك: ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: فرحاً[9] مغتبطاً بما أعطاه الله ﷻ. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ أي: بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ أي: خساراً وهلاكاً ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ أي: فرحاً لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».
(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا تحقق». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يهلكُ».
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أليس».
(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».
(٦) أخرجه أحمد (٦/ ٤٧)، والبخاري (٤٩٣٩، ٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٢٤٢٦، ٣٣٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٥٩) ـ وهو في «التفسير» (٩٧٩) ـ، وابن جرير (٣٠/ ١١٦) وغيرهم.
(٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال الإمامُ أحمد: ...».
(٨) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٢)، وابن خزيمة (٨٤٩)، وابن حبان (٧٣٧٢)، والطبري (٣٠/ ١١٥)، والحاكم (١/ ٥٧، ٢٥٥ و٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٠)، والحديث **صحيح**.
(٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فرحان».

أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. قاله(١) ابن عباس وقتادة وغيرهما، والحور: هو الرجوع، قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾؛ يعني: بل سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان(٢) بصيراً، أي: عليماً خبيراً(٣).

فصل

قال محمد تقي الدين: سؤال النبي ﷺ ربه ﷻ: **«أن يحاسبه حساباً يسيراً»** تعبد وتذلل لله تعالى؛ لأن العبودية أشرف المقامات ولذلك يسمي الله سبحانه نبيه وحبيبه وخليله محمداً ﷺ عندما يذكره في أشرف المقامات «عبداً» كما قال تعالى في سورة البقرة الآية [٢٣]: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ وقال تعالى في أول سورة الإسراء [١]: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، وقال تعالى في سورة النجم [١٠]: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى في سورة الجن [١٩]: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾، وقال النبي ﷺ في دعائه: **«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك...»**(٤)

---

(١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قال».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كان به».

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١ و٤٥٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧) في «مسنديهما»، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢)، وابن حبان (٩٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩) من طريق فضيل بن مرزوق، أخبرنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه عن ابن مسعود به.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إنْ سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه».
قلت: سماعه من أبيه أثبته غير واحد من الأئمة، منهم سفيان الثوري وابن معين والبخاري وأبو حاتم.
وقد وقع خلاف في أبي سلمة هذا، حقق أمره شيخنا محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٩٩) فراجعه فإنه هام.
ورواه البزار (٣١٢٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢) من طريق =

الحديث. وفي ذلك الدعاء أيضاً تعليم لأمته، وإلا فهو مقطوع له بأعلى درجات الجنة، لقوله تعالى في سورة الإسراء الآية [٧٩]: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾، و﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة، روى البخاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(١). فقد ثبت بالآية والحديث أن المقام المحمود أعلى الدرجات، وقد وعد الله خير خلقه محمداً ﷺ ذلك المقام. والله لا يخلف الميعاد، ومع ذلك سأل الله تعالى أن يجعل حسابه يسيراً تعبداً وشرع ذلك لأمته دعاءً، والتجانيون لا يمكنهم أن يسألوا الله تعالى أن يحاسبهم حساباً يسيراً، لأنهم زعموا أن النبي ﷺ ضمن لشيخهم أنهم لا يحاسبون أصلاً لا حساباً يسيراً ولا حساباً عسيراً، بل يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، هم وأولادهم وأزواجهم ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا. انظر كتابي: «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»(٢).

قال (ك): «قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ يحتمل أنهم يقومون بين يدي الله تعالى صفاً أو صفوفاً(٣)، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد، ولهذا قال سبحانه(٤): ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن، وقوله تعالى(٥): ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير(٦) والصغير والكبير ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ أي: يا حسرتنا وويلنا

= عبد الرحمٰن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن ابن مسعود.
وفي عبد الرحمٰن بن إسحاق وهو الواسطي، وهو ضعيف ثم هو منقطع.

(١) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصلاة، باب الدعاء عندَ النِّداء (٦١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) انظر منه (ص٨٣٠ وما بعد).

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يحتمل أن يكون المراد: أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفاً واحداً».

(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «مخاطباً لهم».

(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «والفتيل والقطمير».

على ما فرطنا في أعمارنا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ أي: لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه وضبطه وحفظه[(١)]، وروى الطبراني بإسناده إلى سعد بن جنادة: قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء. فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا: من وجد عوداً فليأتِ به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به**». قال[(٢)]: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً، فقال النبي ﷺ: «**أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فَلْيَتَّقِ اللهَ رجل، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنها محصاة**[(٣)]»[(٤)].

وقوله: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ أي: من خير[(٥)] وشر، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣] وقوله تعالى[(٦)]: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً[(٧)] ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يعفو[(٨)] ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم، وعن شعبة عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة**[(٩)]»[(١٠)].

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولا كبيراً ولا عملاً وإن صَغُرَ إلا أحصاها، أي: ضبطها وحفظها».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «قال». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «محصاةٌ عليه».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٤٨٥)، وهو **ضعيف**.

(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أو». (٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

(٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جميعها». (٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «يعفو».

(٩) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٧٢)، ويحيى بن معين في «التاريخ» (٤/رقم ٤٢٤٦)، والبزار في «مسنده» (٢/رقم ٣٨٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٤٩)، والدارقطني في «العلل» (٣/ ٦٤).

والحديث صحيح، وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشّاة القرناء**».

(**ملاحظة**): قول المصنف: «وعن شعبة عن عثمان»، ليس بدقيق! فالحديث من طريق شعبة عن العَوّام بن مزاحم من بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رفعه، قال ابن عدي بعد إيراده الحديث: «قال لنا ابنُ صاعد: وليس هذا من حديث عثمان عن النبي ﷺ، إنما رواه أبو عثمان عن سلمان من قوله».

(١٠) انظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ١٥٠ ـ ١٥٢) بتصرف.

صفة حوض النبي ﷺ

قال شارح «الطحاوية» ما نصه: «الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير، تغمده الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير، المسمى بـ «البداية والنهاية»[(١)]، فمنها: ما رواه البخاري عن أنس بن مالك[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**[(٣)]. وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: **«ليردن عَليَّ ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»** رواه مسلم[(٤)]، وروى الإمام أحمد[(٥)] عن أنس بن مالك قال: «أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم، وَإما قالوا له: لِمَ ضحكتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنه أنزلت عَليَّ آنفاً سورة»**، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها، ثم قال لهم: **«هل تدرون ما الكوثر؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته**

---

(١) انظر: «نهاية البداية والنهاية» ـ وهو «الفتن والملاحم» (٢/ ٥ ـ ٣، ط. إسماعيل الأنصاري) ـ، وقد نص على تواتر أحاديث الحوض جماعة من العلماء منهم: ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٣٠٩)، والقاضي عياض في «إكمال المعلم» (٧/ ٢٦٠)، والنووي في «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٥٣). وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٩٥): «وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين من الصحابة»، وذكرها السيوطي في «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» (٢٩٧ ـ ٣٠٠)، والكتاني في «نظم المتناثر» (ص١٥٢)، ولبقي بن مخلد جزء مطبوع بعنوان «ما روي في الحوض والكوثر» ولابن بشكوال «الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر» مطبوع مع جزء بقي، ولمحققه مستدرك عليهما، وللبيهقي في «البعث والنشور» عناية قوية لأحاديث الحوض، وانظر: «السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٣٦٠).

(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنه».

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٣٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٣٠٤) من حديث أنس بن مالك.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٢)، وهو في «صحيح مسلم» كما سيأتي.

عدد الكواكب، يُختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، ورواه مسلم[١] ولفظه: «**هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة**»، والباقي مثله، ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض في العرصات[٢] قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، يمنع[٣] منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»[٤]، والفَرَط: الذي يسبق إلى الماء. وروى البخاري[٥] عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر عَليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عَلَيَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**» قال أبو حازم: «فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، سمعته وهو يزيد: «**فأقول: إنهم من أمتي، فيقال**[٦]: **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي**» سُحقاً: أي بُعداً[٧]، والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: إنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك[٨]، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر[٩]،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب حجةُ من قال: البسملة آية مِن أول كل سورة، سوى براءة، برقم (٤٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «والحوضُ في العرصات».

(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ويمنع».

(٤) أخرجه البخاريّ في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٢٨٩) من حديث جُندب بن جُنادة.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٣) من حديث سهل بن سعد.

(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فقال».

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٨) ورد ذلك في حديث ثوبان، وخرجته مطولاً في «المجالسة» (٢٠٣٣) وتعليقي على «الأقوال القويمة» للبقاعي.

(٩) ثبت ذلك في حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وفي بعض الأحاديث: «إنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وإنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر»[(١)]، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، وقد ورد في أحاديث[(٢)] أن لكل نبي حوضاً، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً»»[(٣)].

المرور على الصراط

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

قال صاحب «تيسير العلي القدير في اختصار ابن كثير» ما نَصُّه: «روى الإمام أحمد[(٤)] عن أبي سُمَيَّة قال: «اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً»، وقال سليمان مرة[(٥)]: «يدخلونها جميعاً ـ وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه ـ وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن**

---

(١) ورد في حديث أسامة بن زيد في الحوض: «وعرصته ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ»، أخرجه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (رقم ٢٥٢ ـ بمراجعتي)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ١٦٦)، وبقي بن مخلد في «جزء ما روي في الحوض والكوثر» رقم (٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤)، والطبراني (٦٨٨١)، وفي «مسند الشاميين» (٢٦٤٧)، وأبو القاسم التيمي في «الحجة» (٢٩٣) عن سعيد بن بشير عن قتادة الحسن عن سمرة رفعه، والحديث **صحيح بشواهده**. انظر: «الصحيحة» (١٥٨٩) وقال ابن كثير في «النهاية» بعد كلام: «وقد أنهى شيخنا الحافظ المزي بصحة هذا الحديث بهذه الطرق».

(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٢٥٠ ـ ٢٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ـ بواسطة «تهذيب الكمال» (٣٣/ ٣٨٥) وسقط من مطبوع «التاريخ» ـ، والحاكم (٤/ ٥٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٧٠)، **وإسناده ضعيف**، لجهالة أبي سمية، وسقط من إسناد الحاكم (جابر)، وهو مثبت فيه كما في «إتحاف المهرة» (٣/ ٢٢٦)، والحديث عنده من طريق آخر فيه (مُسَّة) ـ وتحرف في مطبوع «المستدرك» إلى «منية» ـ وهي مجهولة، لم يرو عنها غير كثير بن زياد.

(٥) في الأصل: «سليمان بن مرة»! وهو خطأ، والصواب حذف (ابن)، وسليمان هذا هو شيخ الإمام أحمد في الحديث، وهو سليمان بن حرب.

برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً».

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال رسول الله ﷺ: «**يرد الناس كلهم [ثم]**(١) **يصدرون عنها بأعمالهم**»(٢)، ورواه الترمذي. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم**»(٤)، وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، قال: قسماً واجباً، وقال مجاهد: حتماً، قال: قضاء، وكذا قال ابن جريج(٥).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢] أي: إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي [بحسبهم](٦)، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار، إلا دارة(٧) وجوههم وهو مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه

---

(١) من «مسند أحمد»، و«تيسير العلي القدير»، وسقطت من الأصل.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥)، والترمذيُّ في كتاب التفسير، باب من سورة مريم حديث (٣١٦٠)، والطبري (١٦/ ١١٠، ١١١) موقوفاً ومرفوعاً، وقال الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٧٣): «يحتمل أن يكون مرفوعاً»، وإسناد المرفوع **حسن**.

(٣) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «رضي الله عنه».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ حديث (٦٦٥٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل مَن يموت له ولد فيحتسبه حديث (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٥) انظر: «الدر المنثور» (١٠/ ١٢٣)، و«تالي تلخيص المتشابه» (١٤٤)، و«التخويف من النار» لابن رجب وتعليقي عليهما.

(٦) من مطبوع «تيسير العلي القدير»، وسقط من الأصل.

(٧) كذا في مطبوع «تيسير العلي القدير»، وفي الأصل: «دارات».

حتى أنهم يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان[١]، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة[٢] عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢]»[٣].

قال شارح «الطحاوية»: «وقوله: والصراط، أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة[٤]: إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناسُ يوم تبدَّل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسموات؟ فقال: **«هم في الظلمة دون الجسر»**[٥]، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم. وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله قال: **«يجمع الله الناس يوم القيامة»** إلى أن قال: **«فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه وإذا طفئ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دَحْضٌ، مَزلة فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على**

---

(١) في مطبوع «تيسير العلي القدير» بعدها: «ثم يخرج الله من النار مَن قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله، ولم يعمل خيراً قط».

(٢) انظرها في كتاب «إثبات الشفاعة» للإمام الذهبي (ص٢٢ وما بعدها)، وللشيخ مقبل الوداعي رحمه الله «الشفاعة»، وللدكتور ناصر الجديع «الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها»، وللشيخ سعود الشريم «المراجعات حول إنكار مصطفى محمود لأحاديث الشفاعات»، وللشيخ أبي الوفاء محمد درويش «قل لله الشفاعة جميعاً» وجميعها مطبوعة، وفي الباب كثير غيرها.

(٣) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ١١٨ ـ ١١٩).

(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنها».

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة منيّ الرجل والمرأة وأن الولد مخلوقٌ من مائهما (٣١٥) من حديث ثوبان مولى النبي ﷺ، ولم يرد فيه ذكر لعائشة.

قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخرُّ يدٌ، وتعلقُ يدٌ، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، ثم يخلصون[١] فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نَجَّانا منكِ بعد أن أرناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد»[٢]، الحديث واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية من سورة مريم: ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط[٣]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ الآية [٧٢] من سورة مريم، وفي «الصحيح»[٤] أنه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**» قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ الآية [٧١] من سورة مريم، فقال: «**ألم تسمعيه قال:** ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾» الآية [٧٢] من سورة مريم.

أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تسلتزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة؛ لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بيّن ﷺ في حديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط. وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**عَلِّم الناس سُنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل**

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فيخلصون».

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ و٤/ ٥٩٠، ٥٩٢)، والطبراني (٩٧٦٣)، والبيهقي في «البعث والنشور»، والحديث **صحيح**، وله شواهد في «الصحيحين» وغيرهما. انظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣)، «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢).

(٣) انظر: «أضواء البيان» (٤/ ٣٤٩).

(٤) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر.

الجنة؛ فلا تُحْدِثَنَّ في دين الله حدثاً برأيك»[١][٢].

فصل

قال محمد تقي الدين: لو كان أهل الرأي يعقلون لكان لهم في هذا الحديث ردع وزجر عن اتباع الرأي ومخالفة السنة في الفروع والأصول. فأي عاقل يقبل على عقيدة أو عمل أو ترك سنة يكون له سبباً في أن يوقف على الصراط، ولو لم يسقط في النار؟! فسبحان من طبع على قلوبهم، وأعمى أبصارهم، لكن ابن الجوزي قال في هذا الحديث: «إنه موضوع»[٣]، لكن معناه صحيح.

الإيمان بالميزان

قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]

قال صاحب «تيسير» العلي القدير في اختصار ابن كثير» ما نصُّه: «وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾: أي: نضع الموازين العدل ليوم القيامة، والميزان واحد إنما جمع لتعدد الأعمال الموزونة فيه، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ[٤] وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) عزاه القرطبي في «التذكرة» (ص٣٣٦ ـ ٣٣٧) إلى أبي وائل في «الإبانة»، وأورد إسناده وفيه أبو همام محمد بن مجيب القرشي، قال ابن معين: كذاب، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث.
وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٦٤) وفي إسناده محمد بن عبد الرحيم بن شبيب مجهول، **فالحديث واهٍ بمرة**، ومن أراد تفصيل ذلك فليراجع «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» لشيخنا الألباني برقم (٢٦٥)، و«زوائد تاريخ بغداد» (٤/ ٦٢٧).

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٦٩ ـ ٤٧٢).

(٣) انظر: «الموضوعات» (١/ ٢٦٤).

(٤) في الأصل: «ولا يظلم مثقال...»!

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[(١)]. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أفلك عذر أو حسنة قال: فَبُهِتَ الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقته[(٢)] فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾»[(٣)]، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد، وقال الترمذي: حسن غريب»[(٤)].

قال محمد تقي الدين: وقد ذكر الله تعالى وزن أعمال العباد في مواضع كثيرة من كتابه العزيز كما في سورة الأعراف وسورة المؤمنين وسورة القارعة، وثبتت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في وزن الأعمال، ومن استبعد وزن الأعمال من سفهاء المتفلسفة، وقال: إنها معانٍ، والمعاني لا توصف بالخفة والثقل ولا توضع في الميزان، فهو من الجهال الواقعين في أسر العادات والمألوفات الذين يقيسون عالم الغيب على عالم الشهادة، وأمور الآخرة على أمور الدنيا، وهؤلاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «بطاقة».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٢١٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٧١)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (١/٩، ٥٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٣)، **وإسناده جيد**.

وقول المصنف الآتي: «ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد» يفهم أنه غير طريق أحمد، وليس كذلك، فقد أخرجه المذكورون جميعاً وغيرهم من طريق الليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي ـ وسقطت كلمة (أبي) من «الزهد»! ـ قال: سمعت عبد الله بن عمرو به.

(٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/١٧٠ ـ ١٧١).

سفهاء لا يعقلون، فإن استحالة المأكولات والمشروبات المختلفة الأنواع في معدة الإنسان إلى لحم ودم وعصب وعظام وتعويضها ما فقده الجسم من ذلك لهو أعجب بكثير من وزن الأعمال. انظر: «شرح الطحاوية»»(١).

الإيمان بالجنة والنار وفيه مباحث

*** المبحث الأول: في إثبات أنهما موجودتان الآن، والرد على من خالف في ذلك.**

قال الحافظ ابن القيم في «حادي الأرواح» ما نصه: (الباب الأول: في بيان وجود الجنة الآن):

«لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف(٢) وبما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن (تكونا الآن مخلوقتين)(٣)، وقالت: بل الله ينشئهما يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم(٤) فهم مشبِّهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات. وقالوا: خَلْقُ الجنة قبل الجزاء عبث؛ فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا(٥): ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٧٣ ـ ٤٧٥)، وقد أفرد جمع (الميزان) بالتصنيف، جمعوا فيها الآيات والأحاديث والآثار، منهم: ابن ناصر الدين (ت٨٤٢هـ) في «منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة»، والسخاوي (ت٩٠٢) في «تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان»، وابن كمال باشا (ت٩٤٠) في «الميزان في الحشر»، ومرعي الكرمي (ت١٠٣٣هـ) في «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» وكلها مطبوعة، وحققت الأخير منها، والحمد لله.

(٢) في مطبوع «حادي الأرواح» زيادة: «والزهد على اعتقاد ذلك، وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما».

(٣) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أن تكون مخلوقة الآن».

(٤) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، وفي الأصل: «أفعال الله».

(٥) في مطبوع «حادي الأرواح»: «وقالوا».

داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعَطّلها من النَّاسِ، ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاءُ سبيلاً إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا لها[١] لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صَنَّف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها»[٢].

ثم نقل ابن القيم رحمه الله عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله من كتابه: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» ـ وقد طبع[٣] هذا الكتاب أكثر من مرة، نقل كلاماً كثيراً في الصفات مطابقاً لعقيدة الصحابة والتابعين ومبطلاً لعقيدة الأشعرية المتأخرين، نفاة الصفات المعطلين ولم أنقل كلامه اكتفاء بما نقلته فيما مضى من هذا الكتاب بواسطة الحافظ ابن القيم من كتاب «الإبانة» لأبي الحسن الأشعري رحمه الله، واقتصرت من ذلك على ما يأتي «ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان».

ثم عقد ابن القيم رحمه الله (سبعة أبواب) في (الخصومات بين الطوائف في جنة الخلد هل هي التي كان فيها آدم وحواء؟ أم هي جنة أخرى؟) وهذا الكتاب كتاب وعظ لا تناسبه الخصومات، لأنه يقرأ على العامة وطلبة العلم جميعاً، والخصومات تفسد الوعظ وتشوش الأفكار.

* **المبحث الثاني: في رد شبهة من احتج بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾** [القصص: ٨٨].

قال الذين قلّ نصيبهم من فهم الكتاب والسنة واتباع السلف الصالح: لو كانت الجنة والنار موجودتين الآن؛ لفنيتا عندما يفنى كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٨٨] آخر سورة القصص ـ وقد أجاب الإمام ابن

---

(١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «فيها».

(٢) انظر: «حادي الأرواح» (٣٨ و٣٩، ط. دار ابن كثير).

(٣) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وقبلها بتصحيح هلموت ريتر، وانظر منه (١/ ٢٢٩، ط. محمد محيي الدين عبد الحميد) فيما يخص أن الجنة والنار مخلوقتان.

القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك بما نصه: «وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فإنما أوتيتم من عدم فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما، فلا أنتم وفّقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفّق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية: قال البخاري في «صحيحه»: «يقال: كل شيء هالك إلا وجهه: إلا ملكه، ويقال: إلا ما أُريد به وجهه»[(١)]، وقال الإمام أحمد[(٢)] في رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا؛ لأن أهلهما صاروا إلى الجنة أو إلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة والله ﷻ عليه فلا يهلك ولا يبيد، وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فذلك أن الله ﷻ أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦] فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأخبر الله تعالى[(٣)] عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ[(٤)] هَالِكٌ﴾ يعني: ميت ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت»[(٥)].

ثم قال عن الإمام أحمد ـ وهو قول أهل السنة جميعاً ـ: «وقد خُلِقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله ﷻ وخلق الخلق لهما ولا تفنيان[(٦)] ولا يفنى ما فيهما أبداً. فإن احتج مبتدع أو زنديق بقولِ الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل

---

(١) في «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب سورة القصص قبل رقم (٤٧٧٢) وفيه: «وجه الله».

(٢) المذكور بحروفه في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٣٢٧ ـ ٣٢٨، ط. غراس).

(٣) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «فأنزل الله مخبراً».

(٤) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «يعني من الحيوان».

(٥) انتهى كلام الإمام أحمد، وما سبق من كلام ابن القيم في كتاب «حادي الأرواح» (٧٨ ـ ٧٩)، وللإمام أحمد في «رسالة الإصطخري» كلام بنحوه، أورده ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨، ط. القديمة و١/ ٦٠، ط. العثيمين) وبنحوه في «السنة» (ص٤٧ ـ ضمن «شذرات البلاتين»)، وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٢/ ٢٢٥).

(٦) في مطبوع «حادي الأرواح»: «ولا يفنيان».

شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يَمُتْنَ عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا يمتن[١] أبداً؛ لأن الله ﷻ خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل»[٢].

* **المبحث الثالث: في ذكر شيء من الأدلة التي تثبت عقيدة أهل السنة.**

«**البرهان الأول**: حديث البراء بن عازب الطويل المتقدم، وفيه «**فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوهُ من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها**» وذكر الحديث[٣].

الثاني: قال ابن القيم: «وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥] وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة[٤] المأوى كما في «الصحيحين» من حديث أنس[٥] في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبريلُ، حتى انتهى[٦] إلى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قاله: ثم دخلتُ الجنة، فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[٧]»[٨].

قال ابن الأثير في «النهاية» ما نصه: «في صفة الجنة «**فيها جنابذ من لؤلؤ**» الجنابذ جمع جنبذة وهي القبة»»[٩].

الثالث: ثم قال ابن القيم: وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي،**

---

(١) في مطبوع «حادي الأرواح» بدون: «يمتن».
(٢) انظر: «حادي الأرواح» (٧٩ ـ ٨٠). (٣) سبق تخريجه.
(٤) في مطبوع «حادي الأرواح»: «الجنة».
(٥) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أنس بن مالك».
(٦) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أتى».
(٧) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس ﵇ برقم (٣٣٤٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات برقم (١٦٣) من حديث أنس ﵁.
(٨) انظر: «حادي الأرواح» (٤٣ ـ ٤٤).
(٩) «النهاية» لابن الأثير (١/ ٣٠٥) حرف الجيم: (باب الجيم مع النون).

إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى[(١)] يوم القيامة»[(٢)].

الرابع: وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: خَسَفَتِ الشمسُ في حياة رسول الله ﷺ...، فذكر الحديث إلى أن قالت: ثم قام فخطب الناس، فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة**» وقال رسول الله ﷺ: «**رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به[(٣)]، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة، حين رأيتموني تقدمت[(٤)]، ولقد رأيت جهنم يَحْطِمُ بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت**»[(٥)].

الخامس: وفي «صحيح البخاري» عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف[(٦)] قال: «**قد دَنَتْ مني الجنة؛ حتى ولو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم؟ فإذا امرأة** ـ حَسِبتُ أنه قال: **تخدشها هرَّةٌ ـ قلتُ: ما شأن هذا؟ قالوا: حَبَسَتْها حتى ماتت جُوعاً لا أطْعَمْتها ولا أرسلتها تأكل[(٧)] من خشاش الأرض»[(٨)]»[(٩)]**.

الاختلاف في فناء النار بين أهل السنة:

ذكر شارح «الطحاوية» رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة ثمانية أقوال: ستة منها خارجة عن عقيدة أهل السنة، فلم أشأ أن أطيل بذكرها، والسابع والثامن كل واحد منهما أخذ به جماعة من أهل السنة، وهذا نص كلامه:

---

(١) في مطبوع «حادي الأرواح» بدون: «تعالى».

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب الميت يُعرضُ عليه مقعده بالغداةِ والعَشي (١٣٧٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه برقم (٢٨٦٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) في مطبوع «حادي الأرواح» بدون: «به».

(٤) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أُقَدِّمُ».

(٥) أخرجه مسلم (٩٠١) في الكسوف، باب صلاة الكسوف إذا خسفت الشمس.

(٦) في مطبوع «حادي الأرواح»: «الكسوف».

(٧) في مطبوع «حادي الأرواح»: «تأكل» بدون الزيادة الباقية.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير (٧٤٥).

(٩) انظر: «حادي الأرواح» (٤٤ ـ ٤٧).

«السابع: إن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه. الثامن: إن الله تعالى يخرج منها من شاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ (يعني الطحاوي) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

هذان[(١)] القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما ـ فمن أدلة القول الأول منهما، قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الآية [١٢٨] من سورة الأنعام. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ الآية [١٠٦، ١٠٧] من سورة هود. ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ الآية [١٠٨] من سورة هود. وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ الآية [٢٣] من سورة النبأ. وهذا القول ـ أعني القول بفناء النار دون الجنة ـ منقول عن عمر، وابن مسعود وأبي هريرة، أبي سعيد، وغيرهم. وقد روى عبد بن حميد في «تفسيره» المشهور، بسنده إلى عمر[(٢)]، أنه قال: «ولو[(٣)] لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[(٤)]، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه»[(٥)] ذكر ذلك في تفسير قوله

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وهذان». (٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «و».

(٤) هو رمل كثير جداً مسيرة أربع ليال، بين قيد والقريات.

(٥) **أثر عمر لا يصح**، لأن إسناد عبد بن حميد: «عن الحسن عن عمر»، وهذا منقطع، قال العلامة الصنعاني في رسالته: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» (ص٦٥) عقب أثر عمر: «وأقول فيه شيئان: **الأول**: من حيث الرواية، فإنه منقطع...» وطول في ذلك، ثم قال: «**والثاني**: من حيث الدراية؛ فإنه لو ثبت صحته عن عمر لم يدل على المدّعى، فإن أصل المدّعى هو: فناء النار، وأن لها مدة تنتهي إليها، وليس في أثر عمر هذا إلا أنه يخرج أهل النار من النار، والخروج لا يكون إلا وهي باقية» وحكم شيخنا الألباني بانقطاعه، وبضعف جميع الآثار المومئ إليها عند المصنف (عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد)، انظر تخريجها مع بيان ضعفها في: «الاستنفار لمحق القول بفناء النار وتبرئة الصحابة الأبرار والسلف الأطهار من افتراء صاحب الإنكار» لسليمان البهيجي (ص٤٥ ـ ٥٠، ١٠٧ ـ ١١٩)، وما سبق عند المصنف من «حادي الأرواح» (٤٩١).

وانظر في نصرة عدم القول بالفناء وتبرئة ابن تيمية وابن القيم منه: «حادي الأرواح» =

تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣﴾ الآية [٢٣] من سورة النبأ. قالوا: والنار موجَب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: **«لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي»**[(١)]، وفي رواية: **«تغلب غضبي»**[(٢)]. رواه البخاريُّ في «صحيحه» من حديث أبي هريرة، قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه كان ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ الآية [١٥] من سورة الأنعام. و﴿أَلِيمٖ﴾ الآية [٢٦] من سورة هود. و﴿عَقِيمٍ﴾ الآية [٥٥] من سورة الحج، ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم. وقد قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ الآية [٧] من سورة غافر. فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد ثبت في «الصحيح» تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب، بحسب جرائمهم وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً، فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام ـ كله حق مُسلَّم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس، وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

= (ص٢٦٠، ط. الثانية)، «النونية» (١/ ٨٢ و٢/ ٣٣٨ ـ مع «شرح ابن عيسى»)، «الوابل الصيب» (ص٢٤ ـ الأرناؤوط)، «جلاء العينين» (ص٤٢٠ ـ ٤٢٤)، «محاسن التأويل» (٦/ ٢٥٠٣ ـ ٢٥٠٤) للقاسمي، «شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين» (ص٦٢) ومقدمة المحقق، فهي (مهمة)، و«تنبيه الأخيار على عدم فناء النار» لسليمان العلوان.

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ رقم (٣١٩٤)، ومسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم (٢٧٥١) (١٥) من حديث أبي هريرة.
وهو في «صحيح البخاري» (٧٤٠٤، ٧٤٢٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤).

(٢) هي في «صحيح البخاري» رقم (٧٤٠٤)، و «صحيح مسلم» (٢٧٥١) (١٤).

ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها: قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ الآية [٤٠] من سورة المائدة ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ الآية [٤٣] من سورة الزخرف، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ الآية [٣٠] من سورة النبأ. ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[١] الآية [٨] من سورة البينة، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الآية [٤٨] من سورة الحجر. ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ الآية [١٦٧] من سورة البقرة. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ الآية [٣٦] من سورة فاطر. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الآية [٦٥] من سورة الفرقان. أي: مقيماً لازماً، وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار من قال: لا إله إلا الله. وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكمٌ مختصٌّ بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما»[٢].

قال محمد تقي الدين: لم يصرح شارح «الطحاوية» بترجيح لأحد القولين على الآخر، لكني أفهم من كلامه أنه يميل إلى ترجيح جانب الرحمة على جانب الغضب، وهذا هو الذي يفهم من الحديث الصحيح والظن بالله جميل أنه لا يعاقب على ذنب محدود عقاباً غير محدود، على أن الأدلة التي ذكرها للقائلين بالقول السابع قوية[٣]، ومنها ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

---

(١) كذا في الأصل، والآية رقم (٨) من (البينة) في ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والآية رقم (٦) منها في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولا يوجد فيها (أبداً)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾.

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٨٣ ـ ٤٨٦).

(٣) القول الحق في المسألة (الثامن) وهو القول بأن النار لا تفنى أبداً، وحكى غير واحد من العلماء المعتبرين الإجماع عليه، وهذا ما حكاه ابن تيمية في أكثر من كتاب من كتبه، مثل: «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٥٨)، و«مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٨٠)، وإليك ـ أخي القارئ ـ طائفة من كلام العلماء في حكاية الإجماع:

قال ابن حزم في «الملل والنحل» (٤/ ٨٣): «اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان».

وقال ـ أيضاً ـ في «مراتب الإجماع» (ص٧٣) ـ وأقره عليه ابن تيمية ـ: «والنار حق، وأنها دار عذاب، لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية. =

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره كل ذلك من الله تعالى

قال الإمام محمد صديق حسن القنوجي في «فتح البيان» عند قوله تعالى في سورة القمر [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ ما نصه:

«أي: كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه متلبساً بقدر قَدَّره وقضاءٍ قَضَاهُ سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، والقدر التقدير، والعامة على نصب كل بالاشتغال، وقرئ بالرفع، وقد رجح الناس النصب، بل أوجبه

= **وقال عبد القاهر البغدادي** في «الفرق بين الفرق» (ص٣٤٨): «الفصل الثالث في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة، ثم ذكر أموراً، وقال: الركن الثاني عشر، وفيه: «وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين، وقالوا: إن الخلود في النار لا يكون إلا للكفرة».

قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (ص١٤٩): «وقال المسلمون كلهم إلا جهماً: إن الله يخلِّد أهل الجنة، ويخلِّد الكفار في النار».

قال ابن أبي زيد القيرواني في «الجامع» (ص١١٠): «فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، ثم ذكر جملة من العقائد، وقال: وإن الجنة والنار قد خلقتا، أعدت الجنة للمتقين، والنار للكافرين، لا تفنيان ولا تبيدان».

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٤٦): «والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار».

وقال ابن قاسم في «حاشية الدرة المضية» (ص٩٧): «وأجمع أهل السنة والجماعة على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم الجنة لا ينقطع؛ لما دل على ذلك من الكتاب والسنة».

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٢٩): «مَنْ زعم أنهم يخرجون منها، وأنها تبقى خالية أو تفنى، فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ﷺ وأجمع عليه أهل السنة».

وقال القرطبي في «التذكرة» (٢/ ٢٠٥): «وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها...».

وقال الآلوسي في «جلاء العينين» (ص٤٢٤): «وأنت تعلم أن خلود الكفار مما أجمع عليه المسلمون، ولا عبرة بالمخالف، والقواطع أكثر من أن تحصى، ولا يقاوم واحدٌ منها كثيراً من هذه الأخبار».

وقال السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٣٤) بعدما ساق الآيات والأحاديث الدالة على بقائها: «فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً، كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة».

بعضهم» قال: «لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة، قال[(١)] أبو البقاء: وإنما كان النصب أولى لدلالته على عموم الخلق، والرفع لا يدل على عمومه، بل يفيد أن كل شيء مخلوق فهو بقدر[(٢)] ﴿فَخَلَقْنَا﴾[(٣)] تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء، فهذا اللفظ[(٤)] عام يعم جميع المخلوقات، وللسمين هنا كلام مبسوط[(٥)] لا نطيل بذكره. وأخرج[(٦)] مسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»[(٧)] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**» أخرجه مسلم[(٨)]. وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر**»[(٩)]. أخرجه الترمذي واستغربه. وفي الباب أحاديث بين صحيح منها وضعيف. قال الخطابي[(١٠)]: «وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها، والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قَدَرتُ الشي وقدَّرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه

---

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «وقال».

(٢) بعده في مطبوع «فتح البيان»: «وإنما دل نصب كل على العموم؛ لأن التقدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾».

(٣) في مطبوع «فتح البيان»: «فخلقناه». (٤) في مطبوع «فتح البيان»: «لفظ».

(٥) في تفسيره «الدر المصون» (١٠/١٤٦ ـ ١٤٩).

(٦) في مطبوع «فتح البيان» من غير: «و».

(٧) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كل شيءٍ بقدر (٢٦٥٥).

(٨) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣).

(٩) تتمته: «**خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه**». أخرجه الترمذي (٢١٤٤)، وابن عدي (٤/١٥٠٤) **بإسناد ضعيف جداً**، فيه عبد الله بن ميمون، وهو متروك الحديث، ولكن للحديث شواهد يصح بها، وانظر: «القدر» للفريابي رقم (٢٠٢ ـ ٢٠٤)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٤٣٩).

(١٠) في «معالم السنن» (٤/٣٢٢ ـ ٣٢٣) بتصرف يسير، وانظر في تقرير هذا المعنى: «الرياض الناضرة» للسعدي (١٢٥ ـ ١٢٦)، «الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة» (ص١١٨ ـ ١٢٤) للدوسري.

الخلق، كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أي: خلقهن»، قال النووي[١]: «إن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: إن الله تعالى قدر الأشياء في القِدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه على[٢] صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله. وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم ـ أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها ـ وكذبوا على الله ﷻ [وجلّ][٣] عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً» انتهى. وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله ﷻ، وقد قرر ذلك أئمة السنة أحسن تقرير بدلائله القطعيّة السمعية والعقلية، ليس هذا موضع بسطه، والله أعلم»[٤].

قال القاسمي في تفسير آيتي النساء: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٨، ٧٩] ما نصُّه: «ولما حكى تعالى عن المنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد خائفين من الموت، غير راغبين في سعادة الآخرة، أتبع ذلك بخلة لهم أشنع[٥]، بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ كخصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحوها ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: من قبله لما علم فينا الخير ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كقحط وجدب، وغلاء السعر، ونقص في الزروع والثمار، وموت أولاد ونتاج، ونحو ذلك: ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ يعنون: من شؤمك، كما قال تعالى في قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] وفي قوم صالح ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ [النمل: ٤٧].

قال أبو السعود[٦]: «فأمر النبي ﷺ بأن يرد زعمهم الباطل ويرشدهم إلى

---

(١) في «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢١٧). (٢) في «شرح النووي»: «وعلى».
(٣) سقطت من الأصل، وأثبتها من «شرح صحيح مسلم».
(٤) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).
(٥) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «شفع».
(٦) في تفسيره المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» (٢/ ٢٠٥).

الحق ويلقمهم الحجر[١] ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال. إذ لا يجترئون على معارضة أمر الله ﷻ حيث قيل: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى، خلقاً وإيجاداً، من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما[٢] بوجه من الوجوه كما تزعمون، بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلاً. ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة، كما سيأتي بيانه، فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل، رداً على أسلافهم من قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي: إنما سبب خيرهم وشرهم، أو سبب إصابة السيئة التي هي ذنوبهم، عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به»[٣]، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ يعني: المنافقين ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً، والجملة اعتراضية مسوقة لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم، والتعجب من كمال غباوتهم، إذ لو فقهوا شيئاً لعلموا مما يوعظون به، أن الله هو القابض الباسط، وأن النعمة منه تعالى بطريق التفضل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أي: نعمة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: فمن نعمته وتفضله ابتداء ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أي: بلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: من شؤمها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها، وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى، نازلة من عنده عقوبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] روى ابن عساكر عن البراء[٤] عن النبي ﷺ قال: «**ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود، إلا بما قدمت أيديكم، وما يغفر الله أكثر**»[٥].

---

(١) كذا في «تفسير أبي السعود»، و«تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «الحجة»!

(٢) في الأصل: «منها»، والتصويب من «تفسير أبي السعود».

(٣) هنا انتهى نقل القاسمي من «تفسير أبي السعود».

(٤) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «رضي الله عنه».

(٥) أخرجه ابن عساكر (٢٤/ ١٩٠) من طريق محمد بن الفضل عن الصلت بن بهرام عن شقيق عن (وفي الأصل: بن!! فليصحح) البراء، وهذا إسناد واهٍ بمرة، آفته محمد بن الفضل وهو ابن عطية، وهو كذاب.

وله شاهد لا يفرح به، أخرجه هناد (٤٣١) من مرسل الحسن، وفيه الراوي عنه إسماعيل بن مسلم المكي ضعيف. انظر: «السلسلة الضعيفة» (١٧٩٦).

وروى الترمذي[١] عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**لا يصيب عبداً نكبة[٢] فما فوقها أو دونها، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر**»، قال: وقرأ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

لطيفة: الخطاب في (أصابك) عام لكل من يقف عليه لا للنبي ﷺ كقوله[٣]:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ويدخل فيه المذكورون دخولاً أولياً. وجوّز أن يكون الخطاب له ﷺ كما قبله وما بعده، لكن لا لبيان حاله ﷺ بل لبيان حال الكفر بطريق التصوير، ولعل ذلك لإظهار كمال السخط والغضب عليهم، والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب، لا سيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة، قرره أبو السعود[٤]، قال بعض المفسرين: وثمرة الآية رَدُّ التطير والتشاؤم.

﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ بيان لجلالة منصبه ﷺ ومكانته عند الله ﷻ بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه الصلاة والسلام، بناءاً على جهلهم بشأنه الجليل، وتعريف (الناس) للاستغراق، أفاده أبو السعود[٤]. أي: فمن أين يتصور لك الشؤم وقد أرسلت داعياً العمومَ إلى الخيرات، فأنت منشأ كل خير ورحمة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: على رسالتك وصدقك، بإظهار المعجزات على يديك، أي: وإذ[٥] ثبتت رسالتك، فاليمن في طاعتك، والشؤم في مخالفتك»[٦].

فصل

قال محمد تقي الدين: قال العلماء: لما كان الجزاء من جنس العمل؛ كان لكل حسنة جزاءان، ولكل سيئة جزاءان، فمن تصدق بصدقة وقبلها الله منه جزاه الله عليها حسنتين:

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٢٥٢)، وعبد بن حميد ـ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٥) ـ وهو **ضعيف**، فيه مجهول، وانظر: «تحفة الأشراف» (٦/ ٤٤٧).

(٢) في الأصل: «نكثة»! والمثبت من «جامع الترمذي».

(٣) القائل المتنبي. انظر: «شرح ديوان المتنبي» لعبد الرحمٰن البرقوقي (٢/ ٢١، ط. دار الكتاب العربي).

(٤) في «تفسيره» (٢/ ١٤٦١).

(٥) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وإذا».

(٦) انظر: «تفسير القاسمي» (٥/ ٣١٦ ـ ٣١٨).

الأولى: أنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، كما جاء في الحديث: «**ويكتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة**»(١). **والحسنة الثانية**: وهي الجزاء الثاني أن الله يوفقه بسببها إلى عمل حسنة أخرى، وهكذا دواليك. وكذلك السيئة يجزي عليها سيئتين: **الأولى**: إن الله يكتبها عليه سيئة. **والثانية**: إنها تجرُّه إلى سيئة أخرى، وهكذا دواليك؛ لخصت هذا من «شرح الطحاوية».

تنزيه الله تعالى عن الظلم

نزّه الله تعالى نفسه عن الظلم في آيات كثيرة، قال تعالى في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ وقال تعالى في سورة غافر: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ الآية [١٧]. وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ الآية [٤٩]. وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ الآية [٢٨١].

قال صاحب «التيسير»: «يخبر تعالى أنه لا يظلم أحداً يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة، بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل وفيه: «**فيقول الله ﷻ: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار**» وفي لفظ، «**أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً**» ثم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو بسيئة (٦٤٩١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة (١٣١) من حديث ابن عباس، وهو قطعة من حديث إلهي.

يقول أبو سعيد: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾»(١) [النساء: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: قلت: «يا أبا هريرة سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة**» فقال أبو هريرة: والله بل سمعت نبي الله ﷺ يقول: «**إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٢)»(٣).

«﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ أي: إذ أهلكناهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ﴾ أي: أوثانهم التي يعبدونها ويدعونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ ما نفعوهم ولا أنقذوهم من إهلاكهم(٤) ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ أي: غير تخسير، وذلك أنها سبب هلاكهم ودمارهم وخسران الدنيا والآخرة. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ [هود: ١٠٢] «يقول تعالى: كما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا، وكذلك نفعل بأشباههم ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري(٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ الآية»»(٦).

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ

---

(١) أخرجه البخاريّ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ (٧٤٣٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٦، ٥٢١ ـ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٠٠٣٠)، والطبري (٥/ ٩١) في «تفسيريهما»، **وإسناده ضعيف**، فيه علي بن زيد بن جدعان، وقال ابن كثير في «تفسيره» عقبه: «هذا حديث غريب، وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير».

(٣) انظر: «تيسير العلي القدير» (١/ ٣٨٩).

(٤) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «بإهلاكهم».

(٥) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «رضي الله عنه».

(٦) أخرجه البخاريّ كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ (٤٦٨٦)، ومسلم كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وما سبق من «تيسير العلي القدير» (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧] يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ كما ثبت في «الصحيح» عن أبي ذر[(١)] عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** ـ إلى أن قال: ـ **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة، كما قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال جلّ وعلا: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]»[(٣)].

«وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: ٤٩] أي: كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والصغير والكبير ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ أي: يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ أي: لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه وضبطه، وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال: «لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء»، فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به**» قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً، فقال النبي ﷺ: «**أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنها محصاة عليه**»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ أي: من خير أو شر كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يعفو

---

(١) في مطبوع «تيسير العلي القدير» زيادة: «رضي الله عنه».
(٢) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٣) انظر: «تيسير العلي القدير» (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).
(٤) سبق تخريجه.

ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم.

عن[(١)] شعبة عن عثمان بن عفان[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة**»[(٣)]»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ الآية.

«ثم قال تعالى يعظ عباده، ويذكرهم زوال الدنيا، وإتيان الآخرة والرجوع إليه ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين، لليلتين خلتا من ربيع الأول، رواه ابن أبي حاتم، وقد رواه ابن مردويه عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[(٥)] قال ابن جريج يقولون: إن النبي ﷺ عاش بعدها تسع ليال وبدئ يوم السبت ومات يوم الاثنين ـ رواه ابن جرير»[(٦)]»[(٧)].

---

(١) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «وعن».

(٢) في مطبوع «تيسير العلي القدير» زيادة: «رضي الله عنه».

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٧٢) و(٢/ ٢٣٥ و٣٢٣) وسبق تخريج الحديث في التعليق على (ص١٥٦)، وبيان أن هنالك وسائط بين شعبة وعثمان، وأن الحديث **صحيح** بلفظ آخر نحوه.

(٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ٧٨ ـ ٧٩).

(٥) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩١) ـ وهو في «التفسير» (٧٧، ٧٨) ـ، والطبري في (٥/ ٦٧)، والطبراني (١٢٠٤٠)، وابن النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٣١٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٣٧)، **وإسناده صحيح**.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري (٥/ ٦٨)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٣٩٩)، و«أسباب النزول» (ص١٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٣٧)، **وإسناده ضعيف**.

وورد عند البيهقي: «نزلت وبينها وبين موت رسول الله ﷺ واحد وثمانون يوماً».

وثبت في «صحيح البخاري» (٤٥٤٤) عن ابن عباس: «آخر آية نزلت آية الربا»، والمراد ختام الآيات المنزلة في الربا، وانظر لمزيد بسط في التوفيق: «فتح الباري» (٨/ ٢٠٥)، و«البرهان» للزركشي (١/ ٢١٠).

(٧) انظر: «تيسير العلي القدير» (١/ ٢٤٠).

قال شارح «الطحاوية» رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضي قولاً وسطاً بين قول[1] القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقول القدرية والمعتزلة ونحوهم، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم، وهو[2] الرب الغني القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون؟ وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم، بل كان ما كان ممكناً فهو منه ـ لو فعله ـ عدل، إذ الظلم [لا يكون][3] إلا من مأمور من غيره منهي، والله ليس كذلك ـ فإن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]. وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ الآية [٢٩] من سورة «ق»، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الآية [٧٦] من سورة الزخرف؟ يدل على نقيض هذا القول.

وأيضاً فإن قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ الآية [١١٢] من سورة طه. قد فسره السلف، بأن الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم: أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الآية [١٥] من سورة الإسراء.

وأيضاً: فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك، وإنما يأمن مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ علم أنه ممكن مقدور عليه. وكذا قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ﴾ الآية [٢٨] سورة ق، إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لم يعن بها نفي ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه، وإنما نفى ما هو مقدور عليه ممكن، وهو أن يجزوا بغير أعمالهم. فعلى قول هؤلاء ليس الله منزّهاً عن شيء من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يفعله، بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله، بل فعله حسن، ولا حقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له، والقرآن يدل على نقيض هذا القول، في مواضع نزَّه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له، فعلم أنه منزَّه

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قولي».
(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «و».
(٣) من مطبوع «شرح الطحاوية»، وسقط من الأصل.

مقدّس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم. وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ الآية [١١٥] من سورة المؤمنون ـ فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً، وأنكر على من حسب ذلك، وهذا فعل ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ الآية [٣٥] من سورة القلم. وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ الآية [٢٨] من سورة ص، إنكار منه على من جوّز أن يسوي الله بين هذا وهذا. وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ الآية [٢١] من سورة الجاثية. إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيئ قبيح، وهو مما ينزه الرب عنه»[١].

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٠٧ ـ ٥٠٩).

انتفاع الميت بعمل الحي

قال محمد تقي الدين: عفا الله عنه ووفقه للصواب:

رب وفِّقني فلا أعدل عن سَنَنِ الماضين في خير سَنَنِ

ترددت في إثبات هذه المسألة في هذا الكتاب؛ لأنها ليست من الأسماء والصفات، وقد أثبتها الإمام الطحاوي في «عقيدته» وأهل هذا الزمان في أشد الحاجة إلى معرفة الحق في هذه المسألة. قال الله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] وقال تعالى في آخر سورة نوح: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح: ٢٨]، وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ الآية [٢٤]. وقال تعالى في سورة القتال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ الآية [١٩].

تفسير آية الحشر [١٠]: قال صاحب «التيسير»: «قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] هؤلاء القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء. وهم المهاجرون ثم الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ أي: بغضاً وحسداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ وما أحسن ما استنبط

الإمام مالك[1] رَحِمَهُ اللهُ من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

قال ابن جرير عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ - حتى بلغ - ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الآية، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

---

(١) احتج مرة بقوله تعالى عن الصحابة: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال: «فمن عابهم فهو كافر، ولا حق لكافر في الفيء».

ذكره القاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٢٦٨)، و«ترتيب المدارك» (٢/ ٤٦ - ٤٧)، وعنه الشاطبي في «الاعتصام» (٣/ ٤٥٦ - ٤٥٧)، وأخرجه بسنده إلى مالك: أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٧)، والضياء المقدسي في «النهي عن سبّ الأصحاب» رقم (٣٣)، والخلال في «السنة» رقم (٧٦٠)، والجوهري في «مسند الموطأ» رقم (٨٤)، ورشيد العطار في «مجرد أسماء الرواة عن مالك» رقم (١١١٥).

وذكر نحوهما عن مالك القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٦)، وقال: «قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله».

وانظر: «شرح السنة» (١/ ٢٢٩)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٥)، و«روح المعاني» (٩/ ١٢٨)، و«لباب التأويل» (٦/ ٢١٥)، و«الأمر بالاتباع» (ص٧٦ - بتحقيقي)، واحتج مرة أخرى بما أورده المصنف.

ذكر ذلك عن مالك: الحميدي في «أصول السنة» (ص٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٢٩)، والقاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٢٦٨)، والقرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٦ - ٢٩٧ و١٨/ ٣٢)، وابن تيمية في «منهاج السنة» (٢/ ١٩)، و«الصارم المسلول» (ص٥٧٤)، والشاطبي في «الموافقات» (٤/ ١٩٤)، و«الاعتصام» (٣/ ٤٥٧)، والسيوطي في «الأمر بالاتباع» (ص٧٦ - بتحقيقي)، وابن حجر الهيتمي في «الصواعق المحرقة» (٢٥٢).

وأخرجه عنه مسنداً: ابن أبي زمنين في «أصول السنة» رقم (١٩٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧/رقم ٢٤٠٠)، والجوهري في «مسند الموطأ» (ص١١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٧)، وابن عبد البر في «الانتقاء» (٣٥)، والضياء المقدسي في «النَّهي عن سبِّ الأصحاب» (رقم ٣٢)، والخطيب كما قال القرطبي في «التفسير» (١٦/ ٢٩٦ - ٢٩٧)، وهو **صحيح** عنه.

يُحِبُّونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة، وليس أحد إلا وله فيها حق، ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرد[١] حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه»[٢]..

قال محمد تقي الدين: «إن المراد هنا دعاء الأحياء للأموات مشروع وينفعهم الله به إذا ماتوا موحدين، وقد أجمع على ذلك أهل السنة.

تفسير آية نوح: «ثم قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ أي: لكل من دخل بيته مؤمناً. روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»**[٣]، ورواه أبو داود والترمذي، وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ هذا دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، أما الظالمون فلا تزدهم إلا خساراً في الدنيا والآخرة»[٤].

تفسير آية الإسراء: «﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ أي: ارحمهما في كبرهما وعند وفاتهما. قال ابن عباس: ثم أنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾»[٥].

قال محمد تقي الدين: وفيه أيضاً دليل على مشروعية الدعاء ونفعه للوالدين في حال حياتهما وبعد مماتهما.

قال الإمام محمد صديق حسن القنوجي في تفسير آية القتال ما نصه:

---

(١) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «بسرو».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٦٦)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٨٣)، وابن جرير (٢٢/ ٥١٦) في «تفسيريهما»، وأبو عبيد (٤١)، وابن زنجويه (٨٤، ٧٦٢) كلاهما في «الأموال» (٦/ ٣٥٢)، وعزاه في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٣) إلى عبد بن حميد وأبي داود في «ناسخه»، وابن المنذر وابن مردويه، **وله طرق تؤكد أن له أصلاً**، وانظر: «مسند الفاروق» (٢/ ٦١٣) لابن كثير. وما سبق من «تيسير العلي القدير» (٤/ ٣٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والطيالسي (٢٢١٣)، والدارمي (٢/ ١٠٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٦٤)، وأبو يعلى (١٣١٥)، وابن حبان (٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٠)، والحاكم (٤/ ١٢٨)، والخطابي في «العزلة» (ص١٤٢)، والبغوي (٣٤٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٣٨٣)، **وإسناد أحد الطريقين حسن.**

(٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٤/ ٤٣١). (٥) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ٢١).

«﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: إذا علمت أن مدار الخير هو[١] التوحيد والطاعة، ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله، فاعلم أنه لا إله غيره ولا رب سواه، والمعنى: اثبت على ذلك، واستمر عليه، ودمُ على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية؛ فإنه النافع يوم القيامة؛ لأنه ﷺ قد كان عالماً بأنه لا إله إلا الله قبل هذا. ويدل عليه قوله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**» رواه مسلم[٢].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ أي: استغفر الله أن يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك أو استغفره مما ربما يصدر[٣] من ترك الأولى. قال القاضي عياض: إن المراد به الفترات والغفلات عن[٤] الذكر الذي كان شأنه ﷺ الدوام عليه، فإذا فتر وغفل عدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه»[٥].

﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ «فإن المراد به استغفاره لذنوب أمته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم، وهذا إكرام من الله ﷻ لهذه الأمة، حيث أمر نبيه ﷺ أن يستغفر لذنوبهم، وهو الشفيع المجاب فيهم، إن شاء الله تعالى. عن ابن عمرو[٦] عن النبي ﷺ قال: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار**» ثم قرأ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية»[٧] رواه الطبراني.

---

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «هم».

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٢٦) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) في مطبوع «فتح البيان» بزيادة: «منك». (٤) في مطبوع «فتح البيان»: «من».

(٥) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٣٢٨).

(٦) في الأصل: «ابن عمر» وكذا في «المجمع» (١٠/ ٨٤)! والصواب المثبت، كما في مصادر التخريج، و«فتح البيان» (٦/ ٣٢٨).

(٧) أخرجه الطبراني (١٢٩ ـ قطعة من الجزء (١٣)) **بإسناد ضعيف جداً**، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٤): «فيه الإفريقي وغيره من الضعفاء» قلت: فيه داود بن المحبر متروك، وسعيد بن راشد مجهول.

وأوله: «**ما من الذكر أفضل**...»، واللفظ الذي عند المصنف نقله من «فتح البيان» (٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وعزاه ـ تبعاً لـ«فتح القدير»، و«الدر المنثور» ـ لابن مردويه والديلمي أيضاً.

ويغني عنه: ما أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٢٣٢٩)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٣)، والخرائطي =

وعن أبي هريرة في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**»(١) رواه عبد الرزاق والترمذي وصححه، وأصله في البخاري. وفي رواية: «**أكثر من سبعين**»(٢).

وعن عبد الله بن سَرْجَس قال: «**أتيت النبي ﷺ فأكلت معه من طعام، فقلت:** غفر الله لك يا رسول الله! قال: **ولك**، فقيل: أستغفر لك يا رسول الله؟! قال: **نعم وقرأ**: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾»(٣) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي.

وروى مسلم عن الأغَرِّ المزَنيّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(٤) وللعلماء في هذا الغين كلام طويل لا يسعه هذا الموضع، قال ابن الأثير في «النهاية»(٥): «الغين: الغيم. وغينت السماء تغان: إذا أطبق عليها الغيم. وقيل: الغين: شجر ملتف.

أراد: ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر؛ لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عرض له وقتاً ما عارض بشري يشغله من أمور الملة ومصالحها عدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً فيفزع إلى الاستغفار»، انتهى.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدنيا في أعمالكم ومعايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في الدار الآخرة، قاله ابن عباس»(٦).

= في «فضيلة الشكر» (٧)، والحاكم (١/ ٤٩٨)، والبغوي (٥/ ٤٩)، وفي «التفسير» (٤/ ١٥٥)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١١٧)، وابن عبد البر (٩/ ٤٢ ـ ٤٣) من حديث جابر رفعه: «**أفضل الذكر** (وفي رواية: **الكلام**) **لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء** (وفي رواية: **الشكر**) **الحمد لله**»، **وإسناده حسن**، وانظر: «الصحيحة» (١٤٩٧).

(١) هي رواية البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٥٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٣١ ـ ٤٣٨)، وأحمد (٢/ ٢٨٢، ٣٤١)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٢٠ ـ ١٨٣٨)، وابن حبان (٩٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦٣٨ و٦٣٩)، والبغوي (١٢٨٥)، وأبو نعيم (٢/ ١٨٨)، وأصله عند البخاري (٦٣٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٨٢)، ومسلم (٢٣٤٦)، والترمذي في «الشمائل» (٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٩٦)، وهو في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٢) منه وغيرهم.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني رضي الله عنه.

(٥) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٠٣) باب الغين مع الباء، مادة «غين».

(٦) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٣٢٩).

قال محمد تقي الدين: وهذا أيضاً يدل بوضوح على أن **الدعاء للميت مشروع** ونافع له. وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**» رواه مسلم(١) وقد أجمع المسلمون على الصلاة على الجنازة، وفيها الدعاء للميت ولغيره من الأحياء والأموات. وأما **انتفاع الميت بالصدقة** فعن عائشة أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل لها من أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»»(٢) متفق عليه، وكذلك **ينتفع الميت بالحج عنه** إذا وقع من قريب له. فقد روى الجماعة - واللفظ للبخاري - عن ابن عباس: «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج، حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»(٣)، وعن ابن عباس: «إن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: لبيك عن شبرمة قال: «**من شبرمة**»؟ قال: أخ لي أو قريب لي قال: «**حججت عن نفسك**» قال: لا، قال: «**حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**»(٤) وأما **حج البعيد بأجرة** أو بغيرها فلم يرد فيه شيء عن النبي ﷺ فيما نعلم، ولذلك نعتبره غير جائز، ولا يجوز لأحد أن يثبته بالقياس؛ لأن القياس لا يدخل في العبادات؛ لأنها توقيفية محدودة وقد بلغها النبي ﷺ، فلا يجوز لنا أن نزيد فيها شيئاً.

أما **الصوم عن الميت**، فقد وردت فيه أحاديث، أذكر بعضها هنا؛ **الأول**:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم (٩٧٥) من حديث بريدة.

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الوصايا، باب ما يُستحبُّ لمن يُتوفَّى فجأة أن يتصدقوا عنه وقضاءِ النذور عن الميِّت (٢٧٦٠)، ومسلم كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه (١٠٠٤) من حديث عائشة ﵂.

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميتِ والرجُلُ يَحُجُّ عن المرأة (١٨٥٢) من حديث المرأة الجهنية. وبنحوه عند مسلم كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وابن الجارود (٤٩٩)، وابن حبان (٩٦٢)، والدارقطني (٢٧٦)، والبيهقي (٤/ ٣٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة»، والحديث **صحيح**.

قال أبو داود بسنده إلى عائشة أن النبي ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»(١)، قال أبو داود: هذا في النذر وهو قول أحمد بن حنبل. **والثاني**: عن ابن عباس قال: «إذا مرض الرجل في رمضان ثم مات ولم يصح، ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء، وإن نذر نذراً قضى عنه وليه»(٢) رواه أبو داود. **الثالث**: في «الصحيحين» عن ابن عباس: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ فقال: «**أرأيت لو كان على أمك دين قضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟**» قالت: نعم، قال: «**فصومي عن أمك**»(٣) هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري نحوه، وفي «الصحيحين» عنه أيضاً: «أن امرأة جاءت فقالت: يا رسول الله إن أختي ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين»(٤). وذكر الحديث بنحوه.

قال محمد تقي الدين: نفهم من هذه الأحاديث: إن الميت إذا مات وعليه صيام نذر، صامه عنه وليه، وإن كان عليه صيام رمضان، فقد قال ابن عباس: «يطعم عنه»، ولم يرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فلا حجة فيه، وكذلك لو مات الميت وعليه دين، فأسقطه عنه صاحب الدين، أو قضاه عنه شخص آخر، أو كانت لأحد عليه مظلمة، فعفا عنه المظلوم، نفعه ذلك.

الأمور المبتدعة التي لا تنفع الميت

أولها: ما يسمى عند المغاربة بعشاء القبر، عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل، قال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم**»(٥) أخرجه الخمسة إلا النسائي.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٣١١)، وأخرجه مسلم كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٧) من حديث عائشة باللفظ المذكور.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٤٠١)، والبيهقي (٤/ ٢٥٥) **وإسناده صحيح غاية**، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» (٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤) لشيخنا الألباني.

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصيام، باب مَن مات وعليه صوم (١٩٥٣)، ومسلم في كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصيام، باب مَن مات وعليه صَوم (١٩٥٣).

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، والترمذي (٩٩٨)، وأحمد (١/ ٢٠٥)، وعبد الرزاق (٦٦٦٥)، والحميدي (٥٣٧)، والشافعي (١/ ٢١٦)، وأبو يعلى =

قال الشيخ أحمد في «حاشيته على بلوغ المرام»[١] ما نصه: «قوله: «**اصنعوا لآل جعفر طعاماً**...» إلخ الحديث حسنه الترمذي وصححه ابن السكن، وأخرجه أيضاً أحمد وابن ماجه والطبراني من حديث أسماء بنت عُمَيس[٢] وهي والدة عبد الله.

وفي الحديث مشروعية القيام بمؤونة أهل الميت مما يحتاجون إليه من الطعام؛ لاشتغالهم عن أنفسهم بما دهمهم من المصيبة. قال الترمذي: «وقد كان بعض أهل العلم يستحب أن يوجه إلى أهل الميت بشيء لشغلهم بالمصيبة، وهو قول الشافعي» وأما اجتماع الناس عند أهل الميت وأكل الطعام عندهم، فهو من مراسم الجاهلية، ويعد ذلك بعد الإسلام من أنواع النياحة المنهي عنها؛ لما في ذلك من مخالفة للسنة؛ لأنهم مأمورون بأن يضعوا لأهل الميت طعاماً، فخالفوا ذلك وكلّفوهم صنعة الطعام لغيرهم؛ أخرج أحمد وابن ماجه عن جرير بن عبد الله البجلي بسند صحيح قال: «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة؟»[٣].

وجرير بن عبد الله بن جابر البجلي صحابي مشهور، فقوله: «كنا نعد» في حكم الحديث المرفوع، فيا عجباً للعلماء الذي لا ينهون الناس عما شاع في هذا الزمان من الاجتماع عند أهل الميت وأكل الطعام عندهم»!

ثانيها: قراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات بأجرة أو بغير أجرة، قال تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩].

= (٦٨٠١)، والحاكم (١/ ٣٧٢)، والبيهقي (٤/ ٦١)، والبغوي (١٥٥٢)، **وإسناده حسن**.

(١) حاشية على بلوغ المرام، أحمد حسن الدهولي (طبع بيروت سنة ١٣٩٤هـ). انظر: «دليل مؤلفات الحديث الشريف» (٤٠٦) «جامع الشروح والحواشي» لعبد الله محمد الحبشي (١/ ٤٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٠)، وابن ماجه (١٦١١)، والواقدي في «المغازي» (٢/ ٧٦٦)، وعبد الرزاق (٦٦٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/رقم ٣٨٠، ٣٨١)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٧٠)، وفي إسناد أحمد أم عيسى الجزار قال ابن حجر: «لا يعرف حالها» وفيه أيضاً أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، لم يرو عنها سوى ابنها.
والحديث صحيح، بشاهده السابق من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٤)، وابن ماجه (١٦١٢)، **والأثر صحيح**، وفي إسناد أحمد شيخه نصر بن باب ضعيف، إلا أنه متابع.

قال صاحب «التيسير في اختصار ابن كثير» ما نصه: «وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي: كما لا يُحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ـ عليه رحمة الله ومن اتبعه ـ أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة[١]، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فمجمع[٢] على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما، وأما الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به**»[٣] فهذه الثلاثة في الحقيقة، هي من: سعيه وكدّه وعمله، كما جاء في الحديث: «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه**»[٤]، والصدقة[٥] كالوقف ونحوه وهي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ الآية [يس: ١٢]، والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله، وثبت في «الصحيح»: «**ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»[٦]»[٧].

---

(١) في مطبوع «التيسير»: «رضي الله عنهم».
(٢) في مطبوع «التيسير»: «فذاك مجمع».
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسانَ من الثواب بعد وفاته حديث (١٦٣١) من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه أبو داود (٣٥٢٨ و٣٥٢٩)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٧/ ٢٤١)، وفي «الكبرى» (٦٠٤٥، ٦٠٤٦)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، وأحمد (٦/ ٤٢)، وإسحاق بن راهويه (١٥٠٧، ١٥٦١) في «مسنديهما»، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥٧ و١٤/ ١٩٦)، وابن حبان (٤٢٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٤٨٣)، والبغوي (٢٣٩٨)، والبيهقي (٧/ ٤٨٠) من حديث عائشة، وهو حسن، وانظر: «الإرواء» (١٦٢٦).
(٥) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «والصدقة الجارية».
(٦) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سنَّ سنةً حسنةً أو سيئةً (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) انظر: «تيسير العلي القدير» (٤/ ٢٦٤).

قال محمد تقي الدين: لقد صدق الحافظ ابن كثير وصدق الإمام الشافعي وبر في إبطال بدعة إهداء ثواب القرآن إلى الأموات، فإن الإنسان لا يهدي إلا ما يملك، وثوابه القرآن لا يملكه الإنسان؛ لأنه لا يعلم أتقبل منه أم لم يتقبل، هذا إذا قرأه لله، وأما إذا قرأه بأجرة فلا ثواب له قطعاً. قال البخاري: «باب إثم من راءىٰ بقراءة القرآن، أو تأكّل به، أو فَخَر به»، ثم روى بسنده إلى علي بن أبي طالب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**»[1] ثم روى من طريق[2] مالك عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية...**»[3]، الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «معنى «**تأكّل**»: طلب الأكل بقراءة[4] القرآن، قوله: «**سفهاء الأحلام**» أي: العقول، وقوله: «**لا يجاوز حناجرهم**» معناه: أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم؛ لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه لا يصل إلى القلب»، ثم قال: «ومناسبة هذين الحديثين للترجمة أن القراءة إذا كانت لغير الله فهي للرياء أو للتأكّل به ونحو ذلك»[5].

ثم قال الحافظ: «روى[6] أبو عبيد «في فضائل القرآن» من وجه آخر عن أبي سعيد وصحح الحاكم رفعه: «**تعلموا القرآن واسألوا الله به، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله**»[7]».

---

(١) أخرجه البخاريُّ في كتاب المناقب، باب علاماتِ النبوةِ في الإسلام (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «بطريق»!!

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل القرآن، باب مَن راءىٰ بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فَخَرَ به (٥٠٥٨).

(٤) في مطبوع «فتح الباري» من غير: «بقراءة القرآن».

(٥) انظر: «فتح الباري» (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٦). (٦) في مطبوع «فتح الباري»: «وقد أخرج».

(٧) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (٢/ ٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم =

ثم قال: «وأخرج أحمد وأبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن شبل رفعه: «**اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا**[(١)] **عنه ولا تأكلوا به**»[(٢)] الحديث وسنده قوي»[(٣)].

وقال في «الجامع الصغير»: ««**اقرؤوا القرآن وابتغوا به الله، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القِدْح، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه**»[(٤)] رواه أحمد وأبو داود عن جابر»[(٥)]، انتهى.

«ومعنى «**يتعجلونه**»: أي: يطلبون به أجراً دنيوياً، كالمال والجاه، فيكون حجة عليهم، ويكون شاهداً عليهم وسائقاً لهم إلى النار يوم القيامة؛ نسأل الله العافية. ومن الأدلة على أن قراءة القرآن وإهداء ثوابها إلى الأموات بدعة باطلة محدثة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ: أنه مرّ بقبرين يعذَّبان [فقال: «إنهما ليُعَذَّبان][(٦)]، **وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» فدعا بجريدة خضراء، فشقها شقين، وجعل أحدهما على أحد القبرين، وجعل الشق الثاني على القبر الثاني وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[(٧)]. اهـ.

= (٢٣٨٩) (٤/ ١٩٨، ط. مكتبة الرشد)، وفي إسناده ابن لهيعة، وعند أحمد (٣/ ٣٧) ضمن حديث في آخره: «**وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله، ولا يرعوي إلى شيء منه**» وهو من (مسند أبي سعيد)، وفي إسناده أبو الخطاب المصري، مجهول، والحديث **حسن بشواهده** الآتية.

(١) في مطبوع «فتح الباري»: «تحفوا».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٢٨)، وأبو عبيد في «الفضائل»، وأبو يعلى (١٥١٨)، والبزار (٢٣٢٠ ـ زوائده) في «مسانيدهم»، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٩٥)، والطحاوي (٣/ ١٨)، والبيهقي (٢/ ١٧) وفي «الشعب» (٢٦٢٤)، **والإسناد قوي**، كما قال ابن حجر، والحديث **صحيح**.

(٣) انظر: «فتح الباري» (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٨٣٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٧، ٣٩٧)، وأبو يعلى (٢١٩٧) في «مسنديهما»، وعبد الرزاق (٦٠٣٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٠) في «مصنفيهما»، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٤١ ـ ٢٦٤٣)، والبغوي (٦٠٩) من حديث جابر بن عبد الله، وهو **صحيح**.

(٥) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٨٥) برقم (١٣٤١).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من مصادر التخريج.

(٧) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر برقم (١٣٦١)، ومسلم، كتاب =

قال محمد تقي الدين: ولو كانت قراءة القرآن للأموات مشروعة ونافعة؛ لقرأ النبي ﷺ شيئاً من القرآن وجعل ثوابه لهما ولاقتدى به أصحابه، ففعلوا مثل ذلك، وقد كان النبي ﷺ يزور القبور كثيراً ولم يقرأ على أهلها شيئاً من القرآن، مع أن قراءته لا حد لثوابها، بل كان يدعو لهم ويعلم أصحابه إذا رأوا القبور ذلك الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن، وقد تقدم لفظه.

ومن الأدلة على أن قراءة القرآن وجعل ثوابها للأموات غير مشروعة: حديث أبي هريرة المتقدم: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له**»[1] الحديث، ولم يقل: يقرأ عليه القرآن، أو يدعوا المتأكلين بالقرآن، ويعطيهم أجرة ليقرؤوا ختمة من القرآن، ويجعلوا ثوابها لوالده، كما يفعل أهل هذا الزمان الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

بدعة عجيبة أخرى (الفدية)

من عجائب ما يقع في المغرب وينسب إلى الإسلام ـ وهو بريء منه ـ شيء يسمونه (الفدية) ـ وهو شائع عند الجهلة ـ يدعو أولياء الميت جماعة من البطالين المحتالين ليعملوا لهم «فدية» للميت، تنقذه من العذاب، وتجعله من أهل الجنة، فإذا كان قبره حفرة من حفر النار ينقلب في الحين روضة من رياض الجنة، وذلك أن أولئك البطالين يذكرون (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة، يتقاسمون العدد فيما بينهم، كل واحد بضعة آلاف، فيطعمهم ذلك المسكين، ويعطي كل واحد منهم شيئاً من الدراهم يأكلها سحتاً، قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ الآية [البقرة: ٢٥٤].

قال صاحب «التيسير» ما نصه: «يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله، ليدّخروا الثواب عنده ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ أي: لا يشتري نفسه ولو دُفِعَ ملء الأرض ذهباً ولا تنفعه

= الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) سبق تخريجه.

الصحبة ولا القرابة، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: ولا ظالم أظلم ممن لقي الله كافراً»[1].

وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١].

قال صاحب «التيسير» ما نصه: «يأمر الله عباده بطاعته، والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه، بأن يقيموا الصلاة مع عبادة الله وحده لا شريك له[2]، وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب، والمراد بإقامة الصلاة هو المحافظة عليها وقتاً وحدوداً وركوعاً وسجوداً وخشوعاً، والإنفاق خفية وجهراً وذلك لخلاص أنفسهم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ أي: ولا يقبل من أحد فدية بأن (تفدى نفسه بمال)[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ أي: ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة، بل هناك العدل والقسط، والمراد أنه لا ينفع أحداً بيع ولا فدية ولا صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافراً، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾»[4].

وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ الآية [١٥].

قال صاحب «التيسير»: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قُبل منه، وقوله تعالى: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: هي مصيركم، وقوله تعالى: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾، أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾»[5].

قال محمد تقي الدين: والآيات في هذا المعنى كثيرة، فمن ثبته الله بالقول الثابت ورزقه حسن الخاتمة، فإنه يوفّقه عند سؤال القبر إلى الجواب الصحيح،

---

(١) انظر: «تيسير العلي القدير» (١/ ٢١٦).
(٢) في مطبوع «تيسير العلي القدير» من غير: «له»!
(٣) بدلها في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «بأن تباع نفسه».
(٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٢/ ٥٤٤). (٥) انظر: «تيسير العلي القدير» (٤/ ٣٠٩).

ويفسح له في قبره، ويكون قبره روضة من رياض الجنة، وذلك هو السعيد، فلا يرى إلا ما يسرُّه في البرزخ، ثم يبعثه الله ويحاسبه حساباً يسيراً، أو يكون من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما جاء في الحديث الصحيح[١]، وإن أضله الله كما يضل الظالمين، وختم له بسوء جزاء وفاقاً، لم يوفق إلى إجابة سؤال الملكين فحقّت عليه كلمة العذاب، فلو اجتمع جميع أهل الأرض وذكروا لا إله إلا الله سنين عديدة لم يستطيعوا أن يخفّفوا عنه شيئاً من العذاب وإن قل، فهذه الفدية[٢] التي يعملها جهال المغاربة من البدع والضلالات ولا تجلب على فاعلها إلا مقت الله وغضبه، وأما الميت فإن كان موحداً لله متبعاً لسنة رسول الله ﷺ وفعلها أولياؤه لم تضره، وإن كان موافقاً لأهلها موصياً لهم بها؛ زاده الله بها عذاباً.

---

(١) يريد حديث البراء الطويل، المتقدم (ص١٢١).

(٢) ونحوها صلاة يدعو لها الجهال تجبر ـ على ذمة واضعها قاتله الله ـ ذنوب ترك الصلاة مئتي سنة، وكشفتُ عن باطلها في آخر كتابي «القول المبين في أخطاء المصلين» (ص٤٥١ ـ ٤٥٣)، فلتنظر؛ لتحذر، لفعل بعض المشارقة لها، ولا قوة إلا بالله!

ما يعتقده المسلم في الخلفاء الراشدين وسائر أصحاب رسول الله أجمعين

قال شارح «الطحاوية»: «قوله: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق[١] تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة».

اختلف أهل السنة في خلافة الصديق[٢]، هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال: بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار؟

والدليل على إثباتها بالنص أخبار، من ذلك: ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[٣]. والثاني: حديث[٤] حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[٥]. رواه أهل «السنن».

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».
(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».
(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب منه (٣٦٥٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مُطعِم.
(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وحديث».
(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٥٠ ـ الكنى)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، والحميدي (٢٤٩)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١١ و١٤/ ٥٦٩)، وأحمد (٥/ ٢٩٩، ٣٨٢، ٣٨٥، ٤٠٢)، و«فضائل الصحابة» (٤٧٨، ٤٧٩)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣٦٧ ـ ١٣٦٩)، و«الزوائد على الفضائل» (٤٧٨، ٤٧٩)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٨٣ ـ ٨٥)، وابن سعد (٢/ ٣٣٤)، والفسوي (١/ ٤٨٠)، والخلال في «السنة» (٣٣٦)، والبزار (٢٨٢٧ ـ ٢٨٢٩)، وجمع من حديث حذيفة. =

وفي «الصحيحين» عن عائشة وعن أبيها، قالت: دخل عَليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: «**ادعي لي أباك وأخاك**» حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: «**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**»(١). وفي رواية(٢): «**فلا يطمع في هذا الأمر طامع**». وفي رواية قال(٣): «**ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه**»، ثم قال: «**معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر**»»(٤).

قال محمد تقي الدين: وهذا نص صريح يدلنا على أن النبي ﷺ ما ترك الكتابة لأبي بكر الصديق أن يكون الخليفة بعده إلا لأن الله أعلمه أن هذا هو الذي سيكون فلم يحتج إلى كتابة. وكذلك وقع، **فالعجب من الشيعة كيف عموا عن هذه الحقيقة**، ومن يضلل الله فما له من هاد.

ثم قال شارح: «الطحاوية»: «وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»(٥)، وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف،**

= قال الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٣٧٨): «صحيح معلول» أي: بعلَّة غير قادحة.
وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٩٥) بعد كلام: «يروى عن حذيفة عن النبي ﷺ بإسناد جيد ثابت» **وحسنه** الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٥٧).
وتكلمت عليه بتطويل وإسهاب في تعليقي على «المجالسة» (٨/ ٢٥٨ ـ ٢٦٣) رقم (٣٥٢٨)، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) أخرجه البخاري كتاب المرض، باب قول المريض: «إني وجع» (٥٦٦٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة.

(٢) هذه رواية لأحمد (٦/ ١٠٦)، **وإسنادها ضعيف**، فيه نوفل بن إسماعيل، وهو ضعيف.

(٣) هذه رواية لأحمد (٦/ ١٤٤)، وابن سعد (٣/ ١٨٠)، **وإسنادها صحيح**، ونحوها لمسلم (٢٣٨٧).

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٣٣ ـ ٥٣٤).

(٥) أخرجه البخاريُّ في كتاب الأذان، باب حَدِّ المريضِ أن يشهد الجماعة (٦٦٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر برقم (٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والله يغفر له، ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقرياً من الناس يَفري فَرِيَّه، حتى ضرب الناس بعطن»[١]. وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال على منبره: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدَّت، إلا خوخة أبي بكر**»[٢][٣].

فصل في بيان معنى ما تقدم من الأحاديث

الأول: حديث المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ فأكرمها وأعطاها شيئاً من المال، وأمرها أن ترجع إليه ليعطيها مرة أخرى، فقالت له: ماذا أصنع إن جئت فلم أجدك، قال: «**ائتي أبا بكر؛ تجدي عنده مثل ما وجدت عندي**»، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يعلم بإعلام الله له أن أبا بكر هو الخليفة من بعده، وهذا واضح لمن كان له قلب صافٍ خال من سموم البدعة.

الحديث الثاني: أمر النبي ﷺ جميع المسلمين أن يقتدوا باللذين من بعده أبي بكر وعمر، يعني اقتداءً خاصاً، وذلك يدل على خلافتهما وفضلهما على غيرهما، وإلا فالاقتداء العام لا يختص بهما، قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ الآية [١٠٠].

وفي الحديث الرابع[٤] أيضاً: دليل واضح على خلافة أبي بكر الصديق؛ لأن النبي ﷺ قال لعائشة ومن معها: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لا يسمع الناس، وأشارت على النبي ﷺ أن يأمر بذلك عمر، فغضب، وقال: «**إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**». وقد فهم أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الأمر أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وقالوا: جعله النبي ﷺ إماماً لنا في ديننا، فكيف لا نجعله إماماً في دنيانا.

---

(١) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب منه (٣٦٦٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب مِن فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٣٤). (٤) كذا! لم يذكر (الثالث).

والحديث الخامس: حديث الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ.

شرح معاني المفردات: قوله: (قليب)، قال الكرماني: قال الخطابي: «أي بئر تحفر فينقلب ترابها قبل أن تطوى»[١].

قال محمد تقي الدين: ومعنى «تطوى» تبنى جوانبها بالحجارة، فإذا حفرت البئر حتى ظهر ماؤها ولم تبن جوانبها بالحجارة ولا بغيرها فهي قليب.

قال في النهاية: «الغرْب ـ بسكون الراء ـ الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثَوْرٍ»[٢]. قال الكرماني: «العبقري: كل شيء يبلغ النهاية»[٣]، وقال في «النهاية»: «عبقري القوم سيدُهُم وكبيرُهُم وقويُّهم، والأصلُ في العبقري، فيما قيل: إن عبقَر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويَدِقُّ، أو شيئاً عظيماً في نفسه، نسبوه إليها فقالوا: عبقري، ثم اتُّسع حتى سُمِّيَ به السَّيدُ الكبيرُ»[٤].

قال محمد تقي الدين: ومعنى «يفري فرية» أي: يقطع قطعه قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

والخلق هنا، معناه: التقدير يصف الشاعر ممدوحه بقوة العزم وإنجاز الوعد، والعطن: مناخ الإبل والذنوب: الدلو المملوءة ماء، قال الكرماني في معنى الحديث: «وهذا مثل ضربه في ولاية أبي بكر وعمر بعد رسول الله ﷺ و(الذنوبان) إنما هما سنتان، وليهما أبو بكر و(ضعف نزعه): إنما هو إشغاله[٥] بقتال أهل الردة، ولم يتفرغ لفتح[٦] الأمصار وجباية الأموال»[٧]، وأما عمر فطال زمانه وكثرت فتوحات الممالك وحسنت أحوال المسلمين فيه».

---

(١) انظر: «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» (٣/ ١٦٢٦)، و«شرح الكرماني على صحيح البخاري» (٢٤/ ١٢٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٤٩) باب الغين مع الراء تحت مادة «غرب».

(٣) ذكرها الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/ ١٦٢٦) وعند الكرماني في «شرح البخاري» (٢٤/ ١٢٢): «العبقري: الكامل الحاذق في عمله».

(٤) انظر: «النهاية» (٣/ ١٧٣) باب العين مع الباء تحت مادة «عبقر».

(٥) في مطبوع «أعلام الحديث»: «اشتغاله».

(٦) في مطبوع «أعلام الحديث»: «فلم يتفرغ لافتتاح».

(٧) انظر: «أعلام الحديث» (٣/ ١٦٢٦ ـ ١٦٢٧، ط. جامعة أم القرى) وعنه الكرماني في «شرح صحيح البخاري» (٢٤/ ١٢٣).

قال محمد تقي الدين: وكون أبي بكر الصديق لم يعش إلا سنتين بعد النبي ﷺ وشغله بقتال أهل الردة عن الفتوحات ليس نقصاً في حقه، فإن فتنة الردة كانت خطراً عظيماً على الإسلام، فإطفاء نارها منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق، وهو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ بالأدلة القاطعة، واتفاق أهل السنة يدلك على ذلك.

الحديث السادس: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»(١) الحديث. ولما سئل النبي ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قيل: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»(٢). وفضائله كثيرة رضوان الله عليه، قال أبو عمر بن عبد البر: «ومكث أبو بكر في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال(٣)، وقيل غير ذلك. انتهى من (المجلد الثاني) من «الاستيعاب»، صفحة (٢٤٧)».

قال شارح «الطحاوية» رحمه الله: «قوله: «ثم لعمر بن الخطاب»(٤) أي: ونثبت الخلافة بعد أبي بكر(٥) لعمر(٦)، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله(٧) أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر، فقد روى عن محمد ابن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٨٦)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٣٧)، والطحاوي في «المشكل» (٥٣٠٤)، وابن حبان (٤٥٤٠، ٧١٠٦)، والحاكم (٤/ ١٢)، والحديث **صحيح**.

(٣) وقيل: سنتين وثلاثة عشر وعشر ليال، كما في «أنساب الأشراف» (٧٥ ـ «أخبار الشيخين») أو اثنين وعشرين يوماً، كما في «تاريخ مولد العلماء» لابن زبر (ص٣٧)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٢٠) وقيل غير ذلك، كما تراه في «الآحاد والمثاني» (رقم ٣٣، ٣٤، بعد ٣٦، ٤٩)، «تاريخ الخلفاء» (٢٢) لابن ماجه، «معرفة الصحابة» (١/ ١٧٢، ١٧٤ ـ ١٧٥) رقم (٦٧، ١٠١)، «المعجم الكبير» (١/ ٦١) رقم (٤١)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدَدهم» (ص٣٥٣) مع «جامع السيرة» لابن حزم.

(٤) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنه».

(٥) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنه».

(٦) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنه».

(٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وفضائله رضي الله عنه».

رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أَوَ ما تعرف؟ فقلت: لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[١]. وتقدم قوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر**»[٢]. وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس[٣] قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه، قبل أن يُرفع[٤]، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه، فإذا هو عَلي، فترحم على عمر، وقال: «ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»، فإن كنت لأرجو، أو لأظنُّ أن يجعلك الله معهما»[٥].

وتقدم حديث أبي هريرة[٦] في رؤيا رسول الله ﷺ، ونزعه من القليب ثم نزع أبي بكر، ثم استحالت الدلو غَرباً: «**فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب بعطن**». وفي «الصحيحين»، من حديث سعد بن أبي وقاص: قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نساء من

(١) بنحوه من هذا الطريق عند البخاري (٣٦٧)، وأبي داود (٤٦٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠٤، ١٢٠٦)، والآجري في «الشريعة» رقم (١٨٦٦ ـ ١٨٦٩) وغيرهم، وللأثر طرق أخرى كثيرة، فصلت فيه في تعليقي على «المجالسة» (١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٨)، وعلى (الكبيرة السابعة والخمسين) من تعليقي على «الكبائر» (النشرة الثانية) وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ص٢٦٤) عن هذا الأثر: «هذا متواتر عن علي رضي الله عنه، فقبَّح الله الرافضة، وقال شيخنا ابن تيمية [في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٠٧)]: وقد روي عن علي من نحو من ثمانين وجهاً وأكثر أنه قال على منبر الكوفة...» وذكره.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنه».

(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «وأنا فيهم».

(٥) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه (٢٣٨٩) من حديث ابن عباس. ونحوه عند البخاري أيضاً كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٥).

وخرجته بتفصيل في تعليقي على «جلاء الأفهام» (ص٦٥٣ ـ ٦٥٥) لابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنه»، وسبق تخريجه قريباً.

قريش، يكلّمنه، عالية أصواتهن... الحديث، وفيه... فقال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**»[(١)]. وفي «الصحيحين» أيضاً، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «**قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم**»[(٢)]. قال ابن وهب: تفسير «**محدَّثون**»: ملهمون»[(٣)].

مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«قال البخاري بسنده عن عمرو بن ميمون قال: «رأيت عمر بن الخطاب[(٤)] قبل أن يصاب بأيام بالمدينة ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال[(٥)]: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حمّلتما[(٦)] الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل.

قال: انظرا أن تكونا حمَّلْتُما الأرضَ ما لا تَطيق؟ قال: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأَدَعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً. قال: فما أتت عليه إلا رابعة[(٧)] حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب ـ وكان إذا مرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم[(٨)] خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل، وذلك في الركعة الأولى حتى تجتمع[(٩)] الناس، فما هو إلا أن كبَّر، فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلبُ، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا[(١٠)] شمالاً إلا

---

(١) أخرجه البخاريُّ في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٩٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه برقم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، باب من فضائل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ (٢٣٩٨) من حديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ.

(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٣٩ ـ ٥٤٠). (٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رضي الله عنه».

(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فقال».

(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قد حملتما».

(٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «أربعة». (٨) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فيهنّ».

(٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «يجتمع».

(١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «لا».

طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله[١]. فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني.

فجال ساعة، ثم جاء فقال: «غلام المغيرة» قال: الصنع؟ قال: نعم، قاتله[٢] الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي[٣] بيد[٤] رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثُرَ العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً.

فقال: إن شئت فعلت ـ أي: إن شئت قتلناهم؟[٥] ـ قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا إلى[٦] قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتُمِلَ إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذٍ، فقائل يقول: لا بأس[٧]، وقائل يقول: أخافُ عليه.

فأُتيَ بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتِيَ بلبن فشربه فخرج من جرحه[٨]، فعلِموا[٩] أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا[١٠] يُثنون عليه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليتَ فعدلتَ، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كَفَافٌ لا عليَّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرضَ، قال: رُدّوا عَليَّ الغلام؟ قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «سبحان الله سبحان الله».
(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قال: قاتله».
(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «منيتي». (٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «على يد».
(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قتلنا».
(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «إلى».
(٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «لا بأس عليه».
(٨) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «جوفه». (٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فعرفوا».
(١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «فجعلوا».

لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليَّ مِن الدين؟ ـ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفَى له مال آل عمر فَأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فَسلْ في قريش، ولا تعد(١) إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً ـ وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

فَسلَّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تَبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه(٢) به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال(٣): ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنَت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلِّم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فَإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني(٤) إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها(٥) فلما رأيناها قمنا، فولَجَت عليه، فبكت عنده ساعة، واستذن(٦) الرجال، فولجت داخلاً(٧) فسمعنا بكاءها من الداخل.

فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو(٨) الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة(٩) سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمِّر، فَإني لم أعزله عن(١٠) عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «تعدهم».
(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ولأوثرنَّ». (٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قال».
(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فردوني».
(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «يسترنها»، والمثبت في «صحيح البخاري» أيضاً.
(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «واستأذن».
(٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «داخلاً لهم».
(٨) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «أي». (٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الإمارةُ».
(١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «من».

لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن[(١)] يتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، ويرد[(٢)] على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ[(٣)]، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتَل من ورائهم، ولا يكلَّفوا إلا طاقتهم، فلما قُبِضَ خرجنا به فانطلقنا نَمْشِي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب قالت: أدخلوه، فأُدخل، فوُضع هنالك مع صاحبيه»[(٤)].

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال شارح «الطحاوية» : «لما دفن عمر اجتمع أهل الشورى، وهم ستة نص عليهم عمر رضي الله عنه، فقال: «ما أَجدُ أَحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر؛ أي الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ؛ فسمى: علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء»[(٥)].

«فلما فُرِغَ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلام؟ لينظرنَّ أفضلهم في نفسه، فأسكِتَ الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ؟ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكما[(٦)]؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقَدَمُ في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك، لئن أمَّرتك

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «أن».
(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وأن تُردَّ».
(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «ﷺ».
(٤) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠٠)، وانظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٠ ـ ٥٤٣).
(٥) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٣).
(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «أفضلكم».

لتعدلن؟ ولئن أمرت عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له عَليٌّ، وولج أهل الدار، فبايعوه»[(١)].

«ومن **فضائل عثمان** ﷺ الخاصة: كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه[(٢)]، وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته وكاشفاً[(٣)] عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدَّث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدَّث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»**[(٤)]، وفي «صحيح البخاري»: لما كان يوم بيعة الرضوان وأن عثمان[(٥)] كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى **«هذه يد عثمان»**، فضرب بها على يده فقال: **«هذه لعثمان»**[(٦)]»[(٧)].

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال شارح «الطحاوية»: «قوله: «ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه» أي: نثبت[(٨)] الخلافة بعد عثمان لعلي[(٩)]، لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٣).
(٢) انظر: «المجالسة» (٢٤٠) وتعليقي عليه.
(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «و».
(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه برقم (٢٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنه».
(٦) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفَّان أبي عمرو القُرشي رضي الله عنه برقم (٣٦٩٨) من حديث عبد الله بن عمر.
وأطرافه بالأرقام (٣١٣٠، ٣٧٠٤، ٤٠٦٦، ٤٥١٣، ٤٥١٤، ٤٦٥٠، ٤٦٥١، ٧٠٩٥).
(٧) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٤ ـ ٥٤٥).
(٨) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ونثبتُ».
(٩) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنهما».

الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة(١)، أنه قال: قال رسول ﷺ: **«خلافة النبوة، ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء»**(٢).

كانت(٣) خلافة أبي بكر الصديق: سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر: عشر سنين ونصفاً(٤)، وخلافة عثمان: اثنتي عشرة سنة(٥)، وخلافة عَلي: أربع سنين وتسعة أشهر(٦)، وخلافة الحسن: ستة أشهر.

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٧) بعد عثمان(٨) بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي رضي الله عنه.

من(٩) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(١٠) ما في «الصحيحين» عن سعد بن أبي وقاص(١١) قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من**

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «سفينة المقدَّم ذكرُهُ».

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٤٦ و٤٦٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٢٠ و٢٢١)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٨٩، ١٠٢٧)، وابنه عبد الله في «زياداته على الفضائل» (٧٩٠)، وفي «السنة» (١٤٠٢ ـ ١٤٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١١٨١ ـ ١١٨٥)، وفي «الآحاد والمثاني» (١١٣، ١٣٩، ١٤٠)، والبزار (٣٨٢٧، ٣٨٢٨، ٣٨٢٩)، والطحاوي في «المشكل» (٣٣٤٩)، وابن حبان (٦٩٤٣، ٦٦٥٧)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٣٤٤٦)، والطبراني (١٣، ١٣٦، ٦٤٤٤)، والحاكم (٣/ ١٤٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٤١، ٣٤٢)، **وإسناده حسن**.

(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وكانت».

(٤) وخمس ليال. انظر: «تاريخ خليفة» (١٥٣)، «طبقات خليفة» (٢٢)، «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (١/ ١٨١)، «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٦٥ وما بعد)، «تاريخ ابن ماجه» (ص٢٢ ـ ٢٣)، «معرفة الصحابة» (١/ ١٩٢)، «المعجم الكبير» (١/ ٢٢)، «تاريخ دمشق» (٢٣٥، ٣٨٦ ـ ٣٨٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٩)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدَدهم» (ص٣٥٣).

(٥) إلا اثنتي عشرة ليلة. انظر: «تاريخ خليفة» (١٧٧)، «تاريخ الخلفاء» (٢٣) لابن ماجه، «عيون المعارف» (ص٣٠٣)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدَدْهم» (ص٣٥٤).

(٦) انظر: «الآحاد والمثاني» (١٦٥)، «معرفة الصحابة» (١/ ٢٩١)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم» (ص٣٥٥)، «تلقيح فهوم أهل الأثر» (ص٨٤).

(٧) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(٨) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ومن».

(١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

(١١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رضي الله عنه».

موسى، **إلا أنه لا نبي بعدي**»[١]، وقال ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «**ادعوا لي علياً**»، فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه»[٢]. ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»[٣]»[٤].

«قوله[٥]: «هم[٦] الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»:

تقدم الحديث الثابت في «السنن» وصححه الترمذي، عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها[٧] القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٨]، وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة»[٩].

فضل العشرة المبشرين بالجنة

قال شارح «الطحاوية» ما نصُّهُ: «قوله: «وإنَّ العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ[١٠]، وقوله الحق وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي،

---

(١) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣٧٠٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص الليثي.

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣٧٠٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص الليثي.

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٥ ـ ٥٤٧). (٥) هذا قول صاحب «الطحاوية» رحمه الله.

(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وهم».

(٧) من مطبوع «شرح الطحاوية»، وسقطت من الأصل.

(٨) مضى تخريجه مطولاً، والحديث صحيح. (٩) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٨).

(١٠) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وبشرهم بالجنة، نشهدُ لهم بالجنة، على ما شهد =

وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين».

تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، ومن فضائل الستة الباقين من العشرة، ما رواه مسلم، عن عائشة ﵂: أَرِقَ رسول الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فقال: **«ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»**، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي ﷺ: **«من هذا»**؟ فقال: «سعد بن أبي وقاص، يا رسول الله جئت أحرسك»[(١)]. وفي لفظ آخر: «وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام». وفي «الصحيحين» «أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه يوم أُحد، فقال: **«ارم، فداك أبي وأمي»**[(٢)]، وفي «صحيح مسلم» عن قيس بن أبي حازم، قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أُحد قد شلت»[(٣)][(٤)].

قال في «الكواشف الجلية» ما نَصُّهُ: «أهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة، وهم:

١ ـ أبو بكر، ٢ ـ وعمر، ٣ ـ وعثمان، ٤ ـ وعلي، ٥ ـ وعبد الرحمن بن عوف، ٦ ـ والزبير بن العوام، ٧ ـ وسعد بن أبي وقاص، ٨ ـ وسعيد بن زيد، ٩ ـ وأبو عبيدة بن الجراح، ١٠ ـ وطلحة بن عبيد الله، وقد صحت الأحاديث بالشهادة لهم بالجنة.

١١ ـ والحسن، ١٢ ـ والحسين؛ لما في حديث أبي سعيد الخدري[(٥)] أن

= لهم رسول الله ﷺ»، وهي ساقطة من مطبوع «سبيل الرشاد».

(١) الحديثُ أخرجه البخاريُّ في كتاب التمني، بابُ قوله ﷺ: **«لَيْتَ كَذَا وَكَذَا»** برقم (٧٢٣١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﵁ رقم (٢٤١٠) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا . . .﴾ الآية [آل عمران: ١٢٢] برقم (٤٠٥٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص برقم (٢٤١١) من حديث علي ﵁.

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكرِ طلحة بنِ عبيد الله برقم (٣٧٢٤) عن قيس بن أبي حازم، ولم يخرجه مسلم.

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٩).

(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «﵁».

النبي ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[١].

١٣ ـ وثابت بن قيس بن شمّاس؛ لقوله ﷺ: «**إنه من أهل الجنة**»[٢].

١٤ ـ وعبد الله بن سلام؛ لما روى البخاري في «صحيحه» عن سعد بن أبي وقاص قال: «ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: «**إنه من أهل الجنة**» إلا لعبد الله بن سلام»[٣].

١٥ ـ والرجل الذي قال فيه[٤] النبي ﷺ: «**يطلع الآن رجل من أهل الجنة**» ففي حديث أخرجه الترمذي والنسائي عن أنس[٥] أن النبي ﷺ قال في أيام ثلاثة: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**»[٦]، فطلع فيها رجل من الأنصار، فبات

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٦٨)، وابن ماجه (١١٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٦٩، ٨٥٢٥ ـ ٨٥٢٨)، وأحمد (٣/٣)، والفسوي (٢/ ٦٤٤)، والطحاوي في «المشكل» (١٩٦٧)، وابن حبان (٦٩٥٩)، والحاكم (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، **وإسناده صحيح**.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٩) بسنده إلى أنس في قصة طويلة عند نزول آية رقم (٢) (الحجرات)، وفيها قول النبي ﷺ عن ثابت بن قيس: «**بل هو من أهل الجنة**»، وانظر: «المعجم الكبير» للطبراني (١٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبدِ اللهِ بن سلام رضي الله عنه برقم (٣٨١٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن سلام (٢٤٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص الليثي.

(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية» من غير: «فيه».

(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية» زيادة: «رضي الله عنه».

(٦) أخرج هذه القصة: عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) رقم (٢٠٥٥٩) ـ ومن طريقه أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٦) ـ، ومن طريق أحمد الضياء في «المختارة» (٧/ ١٨٦ ـ ١٨٨) رقم (٢٦١٩)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ١١٥٩ ـ «المنتخب»)، والبزار في «المسند» (٢/ ٤٠٩) (رقم ١٩٨١ ـ زوائده «كشف الأستار»)، والطبراني في مكارم الأخلاق» رقم (٧٢)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٧٦٤)، والتيمي في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٦) رقم (١١٠٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١١٢) رقم (٣٥٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤) رقم (٦٦٠٥)؛ قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري؛ قال: أخبرني أنس بن مالك باللفظ المذكور.

كذا عند جميعهم؛ إلا ابن عبد البر قال: «عن أنس»، ولم يقل: «أخبرني أنس».

ورواه عبد الله بن المبارك في «الزهد» رقم (٦٩٤)، و«المسند» رقم (١) عن معمر، وقال: «عن الزهري عن أنس» بمثله. =

. . . .

= وأخرجه من طريق ابن المبارك مثله: النسائي في «السنن الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٦٩)، باب ما يقول إذا انتبه من منامه (٦/ ٢١٥) رقم (١٠٦٩٩/ ١١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧٥٤).

وعلقه عن ابن المبارك البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤).

وأخرجه التيمي في «الترغيب» (١/ ٤٦٦ رقم ١١٠٨ و٢/ ٩١٥ رقم ٢٢٤٧، ط. زغلول، أو ٢/ ٥٢ ـ ٥٣ رقم ١٣٥ و٣/ ١٥١ ـ ١٥٢ رقم ٢٢٧٤، ط. أيمن شعبان) من طريق ابن المبارك، وعنده ـ في الموضعين ـ: «أخبرني أنس»!

وعزاه في «إتحاف السادة المتقين» (٨/ ٥١) إلى ابن أبي الدنيا في «ذم الحسد»، وعزاه في «الدر المنثور» (٨/ ١١٤) إلى الحكيم الترمذي.

وظاهر هذين الإسنادَيْن الصحة!! ولذا صححه المعلق على «مسند أحمد» (٢٠/ ١٢٥، ط. مؤسسة الرسالة)! وغيره!

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٧٨): «رواه أحمد والبزار بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي البزار».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٩٦، ط. الشعب [الحشر: ١٠]) بعد أن ساق إسناده عبد الرزاق ولفظه: «ورواه النسائي في «اليوم والليلة» عن سُويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به، وهذا إسناد صحيح على شرط «الصحيحين»! لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس؛ فالله أعلم».

قال أبو عبيدة: هذا الحديث تفرد به الزهري.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦٥/ ٢٦١١): «سألت أبي عن حديث رواه الزهري عمن لا يتهم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع سعد»**، قال: «فقال أبي: قد تفرد الزهري بروايته هذا الحديث».

قال أبو عبيدة: **كان الزهري يدلِّس هذه القصة**، والأدلة على ذلك:

أولاً: الثابت عنه من طريق ابن المبارك عن معمر قوله: «عن أنس»، ومن نقل عنه قوله: «أخبرني أنس» فقد أخطأ، ولم يحصل هذا إلا في رواية التيمي، وقد أسنده في الموطن الأول من طريق عبد الرزاق ثم أحال على طريق ابن المبارك، فذكر ما عند عبد الرزاق، ولكنه في الموطن الثاني اقتصر على طريق ابن المبارك، وقال: «أخبرني أنس»، وهذا خطأ!.

ولم ينقل عن الزهري (حدثني أنس) غير عبد الرزاق، وهو ثقة حافظ، تكلم فيه من أجل روايته أحاديث في فضائل أهل البيت مع نسبته للتشيع، وقد اختلط في آخر عمره، وعده بعض الحفاظ من أثبت أصحاب معمر، والأدلة تقتضي وهمه في قوله هنا عن الزهري: «أخبرني أنس».

ثانياً: قال الدارقطني في كتابه «العلل» (٤/ ق٢٥/ ب) عن هذا الحديث: «اختلف فيه على الزهري: =

= فرواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري؛ قال: حدثني أنس.
وقال ابن المبارك: عن معمر عن الزهري عن أنس.
وكذلك قال إبراهيم بن زياد: عن الزهري عن أنس».
قال الدارقطني: «وهذا الحديث لم يسمعه الزهري من أنس»، ودلل على ذلك بقوله:
ثالثاً: «ورواه شعيب بن أبي حمزة وعقيل عن الزهري؛ قال: حدثني من لا أتَّهم عن أنس».
قال الدارقطني في «العلل» (٤/ق٢٥/ب): «وهو الصواب».
رابعاً: وهذا ما رجحه حمزة بن محمد الكناني الحافظ، قال فيما نقل عنه المزي في «تحفة الأشراف» (١/ ٣٩٥): «لم يسمعه الزهريّ من أنس، رواه عن رجل عن أنس، كذلك رواه عقيل وإسحاق بن راشد وغيره واحد عن الزهري»، قال الكناني: «وهو الصواب».
خامساً: ورجّح هذا أيضاً ابن حجر، قال في «النكت الظراف» (١/ ٣٩٥) بعد كلام حمزة الكناني، ما نصه: «قلت: وذكر البيهقي في «الشعب» أن شعيباً رواه عن الزهري: حدثني من لا أتَّهم عن أنس. ورواه معمر عن الزهري: أخبرني أنس. كذلك أخرجه أحمد عنه: ورويناه في «مكارم الأخلاق»، وفي عدة أمكنة عن عبد الرزاق»، قال: «وقد ظهر أنه معلول».
سادساً: قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٦٢): «رواه أحمد بسندٍ صحيح على شرط الشيخين، ورواه البزار، وسُمِّي الرجل في رواية له سعد، فيها ابن لهيعة» انتهى.
ثم تبيَّن له أن هذا غير صحيح، فقال الزَّبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٨/ ٥١) ما نصه: «قلت: وجدتُ بخط الحافظ في هامش «المغني» ـ وهو تخريج أحاديث الإحياء، وتتمة اسمه: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للعراقي ـ عند قوله: «صحيح على شرط الشيخين» ما لفظه: «له علَّة؛ فإنَّ الزهري لم يسمعه عن أنس فيما يقال»».
سابعاً: قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ـ بعنايتي): «رواه أحمد بإسنادٍ على شرط البخاري ومسلم والنسائي، ورواته احتجّا بهم أيضاً إلا شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة»، والعجب من بعض المعلقين عليه بقوله: «حسن»! فظاهر إسناده الصحة، وقد تعقب الناجيُّ في «عجالة الإملاء المتيسرة» (ق٩٩/أ ـ المحمودية) المنذري بقوله: «قلت: النسائي إنما رواه في «اليوم والليلة» لا في «السنن» على العادة المتكررة في هذا الكتاب، لكن اكتفيت بذكر ذلك في نسختي لكثرته»، ثم ذكر كلام الحافظ حمزة الكناني والمزي وقال: «وهذه العلة التي فيه لم ينتبه لها المصنف».
فهؤلاء الأئمة (الدارقطني، وحمزة الكناني، والبيهقي، والعراقي، وابن حجر، والناجي) رجحوا رواية (الزهري عن مجهول عن أنس)، قال الزهري عن المجهول: «عمن لا =

....

= أتَّهم»، والتوثيق هكذا على الإبهام لا يعتدّ به، ولا بد من تسميته ومعرفة كلام أئمة الجرح والتعديل فيه.

ثامناً: الصنعة الحديثية تقضي بوجود الواسطة المبهمة بين (الزهري) و(أنس)؛ فقد رواه عنه جمع من الثقات هكذا مخالفين (معمراً)، وهم:

أولاً: عقيل بن خالد، (ثقة ثبت، من أثبات أصحاب الزهري).

أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٣٢٦) من طريق ابن وهب، أخبرني حيوة، أخبرني عقيل، عن ابن شهاب، حدثني من لا أتهم عن أنس؛ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»**، فاطلع سعد بن أبي وقاص... وساقه بطوله، وعلقه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٦٥)، والذهبي في «السير» (١/ ١٠٩)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٩٥).

وخالف حيوةَ ابنُ لهيعة؛ فرواه عن عقيل أنه سمع الزهري يخبر عن أنس بن مالك... فذكره.

وحيوة ثقة، وقوله: «عن ابن شهاب، حدثني من لا أتهم عن أنس» أصح من رواية ابن لهيعة هذه، التي أخرجها البزار في «مسنده» (٢/ ٤٠٩) رقم (١٩٨١).

ثانياً: شعيب بن أبي حمزة (ثقة ثبت، من أثبات أصحاب الزهري).

أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٦٥) رقم (٦٦٠٦) من طريق أبي اليمان، أخبرني شعيب، عن الزهري؛ قال: حدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك؛ أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ... فذكره الحديث بنحوه؛ غير أنه قال: فإذا توضأ أسبغ الوضوء، وأتم الصلاة، ثم أصبح مفطراً. قال عبد الله بن عمرو: فرمقتُه ثلاثة أيام وثلاث ليال، لا يزيد على ذلك، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً... وذكر الحديث، وقال في آخره: ما هي إلا ما رأيت؛ غير أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين، ولا أقوله ولا أحسده خيراً أعطاه الله إياه. قال: فقلت: هؤلاء بلغن بك، وهي لا أطيق.

(تنبيه): أشار البيهقي إلى صحة هذه الرواية، فقد قال بعد أن أسنده من طريق عبد الرزاق التي فيها: «عن الزهري قال: أخبرني أنس»، وقال: «هكذا قال عبد الرزاق...» ثم قال:

«ورواه ابن المبارك عن معمر؛ قال: فقال: «عن الزهري عن أنس»»، ثم قال: «ورواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري»، وساق روايته، وقال: «وكذلك رواه عقيل بن خالد عن الزهري في الإسناد»؛ فأشار بهذا إلى مخالفة شعيب وعقيل لمعمر، ولذا ساقه كلامه ابن حجر في «النكت الظراف» (١/ ٣٩٥) في معرض ترجيحه أن القصة معلولة.

ثالثاً: معاوية بن يحيى الصّدفي، (ضعيف في رواية غير الشاميين عنه، وهو مستقيم في رواية الشاميين، وهذه منها).

أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٧٦٥) من طريق الهقل بن زياد، عن الصدفي، حدثني الزهري، حدثني من لا أتهم عن أنس، بمثل حديث معمر. =

معه عبد الله بن عمرو بن العاص ثلاث ليال؛ مستكشفاً حاله، فلم ير له كثير عمل، فأخبره الخبر فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي غلّاً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

١٦ ـ وعكاشة بن محصن؛ لما ذكر السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**..»(١)، الحديث.

١٧ ـ والمرأة التي قالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي، فقال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، ثم قالت(٢): «إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها»(٣)(٤).

قال محمد تقي الدين: وبالجملة كل من شهد له رسول الله ﷺ أنه في الجنة نعتقد أنه من أهل الجنة، إذا روي بسند صحيح، وتخالف في ذلك الرافضة والخوارج كل المخالفة، ونعتقد أن كل من شهد غزوة بدر مع النبي ﷺ فهو في

= والهقل بن زياد شامي.
رابعاً: إسحاق بن راشد.
لم أظفر بروايته، وإنما ذكره الحافظ حمزة الكناني؛ كما في «تحفة الأشراف» (١/ ٣٩٥).
فهؤلاء الأربعة رووه عن الزهري؛ قال: «حدثني من لا أتهم عن أنس».
فهذه هي الرواية المحفوظة عنه، أما قول ابن المبارك عن معمر عن «الزهري عن أنس»؛ فقد دلسها الزهري! **ومعذرة أخي القارئ على هذه الإطالة، ولكني رأيت نفسي مضطراً إليها من باب التفصيل في ذكر علة هذه القصة التي انتشرت على ألسنة الوعاظ والخطباء فأحببت التدليل والتفصيل والتأصيل في ضعفها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.**

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٢٢٠) من حديث ابن عباس.

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فقالت».

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب المرض، بابُ فضل مَن يُصْرَعُ مِنَ الرِّيح (٥٦٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يُصيبه من مرض أو حُزن برقم (٢٥٧٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «الكواشف الجلية» (٢٦٦ ـ ٢٦٧).

الجنة، لحديث حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى المشركين في مكة يخبرهم بأن النبي ﷺ متوجِّه إلى غزوهم، فأطلع الله رسوله ﷺ على ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١). وهذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه.

وصح عن النبي ﷺ من حديث جابر أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(٢)، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ومصداق ذلك في كتاب الله ﷻ قال تعالى في سورة الفتح: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

ومن عقيدة أهل السنة أنهم لا يشهدون لأحد من المسلمين بالجنة ولا بالنار إلا من شهد له الرسول ﷺ.

قال شارح «الطحاوية»: «قوله: «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً» يريد إنا لا نقول في(٣) أحد معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة ﷺ، وإن كنا نقول: إنه لا بدّ أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين(٤)، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم؛ لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٥٥)، وأبو داود (٤٦٥٤)، والدارمي (٢٧٦١)، والحاكم (٤/ ٧٧ ـ ٨٨) من حديث أبي هريرة، والمصنف يريد حديث علي، أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذي (٣٣٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٠٨)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٤٨٠٢) من حديث جابر، **وإسناده صحيح**.

(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «عن».

(٤) من لطائف ما يذكر هنا أن لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ)، «فتوى بأنه لا يجوز القطع بالجنة للأئمة الأربعة»، منها نسخة بخطه في الظاهرية، مجموع ٧٨ (ق١٨٤ ـ ١٨٦). انظر: «منتخب فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (ص٤٧٧ ـ بعنايتي) لشيخنا الألباني.

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد ابن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون، كما في «الصحيحين» أنه مرّ بجنازة، فأثنوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: **«وجبت»** ومرّ بجنازة[١] أخرى، فأثنى عليها بشر، فقال: **«وجبت»**. وفي رواية[٢]: **«وجبت»** ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هذا أثنيتم عليه خيراً، وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً، وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»**[٣]. وقال ﷺ: **«توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار»** قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **«بالثناء الحسن والثناء السيء»**[٤]. فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار»[٥].

قال محمد تقي الدين: والراجح هو الذي أسلفت ذكره، وهو أننا لا نشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ومن الأدلة على ذلك: ما رواه أحمد والبخاري: «عن أم العلاء قالت: «فاشتكى عثمان بن مظعون عندنا، فمرَّضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك: لقد

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ومر بأخرى».

(٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رواية كرر».

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب ثناءِ النَّاسِ عَلَى الميت برقم (١٣٦٧)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خيرٌ أو شر من الموتى (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١)، وأحمد (٣/٤١٦، ٦/٤٦٦)، وابن أبي شيبة (١٤/٥١٠)، وعبد بن حميد (٤٤٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٦٠١، ١٦٠٢)، والطحاوي في «المشكل» (٣٣٠٦، ٣٣٠٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩٠٨)، وابن حبان (٧٣٨٤)، والطبراني (٢٠/رقم ٣٨٢، ٣٨٣)، والحاكم (١/١٢٠ و٤/٤٣٦)، والبيهقي (١٠/١٢٣) من حديث أبي زهير الثقفي، وهو **صحيح**.

(٥) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٢٦ ـ ٤٢٧).

أكرمك الله ﷻ، فقال رسول الله ﷺ: **«وما يدريك أن الله تعالى أكرمه؟»** فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: **«أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»**. قالت: فقلتُ: والله لا أزكي أحداً بعده أبداً، وأحزنني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«ذاك عمله»**(١) انفرد به البخاري دون مسلم. وفي لفظ له(٢): **«وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به»** وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، ثم ذكر جماعة من أخبر النبي ﷺ بدخولهم الجنة. انتهى من «تفسير ابن كثير»(٣) في سورة الأحقاف [٧]».

فصل

«وقد ظهر في آخر الزمان من يضمن دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب لكل من أحبه أو أطعمه أو سقاه أو قضا له حاجة، كما يزعم التجانيون فيما نسبوه إلى شيخهم أحمد بن محمد التجاني(٤) (المتوفى سنة ١٢٣٠) المدفون في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، والطريقة التجانية من طرق المتصوفة المشهورة في هذا الزمان(٥)، وأتباعها يعدون بالملايين، وأكثرهم في إفريقية السوداء، ويوجدون في مصر والشام والحجاز وبلاد الأتراك، وقد ألفت كتاباً سمَّيته «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» قام بطبعه ونشره صاحب(٦) السماحة الوزير المفوض للإفتاء العام والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد في الوقت الحاضر، وكان قبل ذلك رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ألا وهو الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وهو من بقية السلف الصالح في هذا الزمان علماً

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت، إذا أُدرج في كفنه (١٢٤٣)، وأطرافه بالأرقام (٢٦٨٧، ٣٩٢٩، ٧٠٠٣، ٧٠٠٤، ٧٠١٨).

(٢) في «صحيح البخاري» رقم (١٢٤٣). (٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٩ ـ ١٠).

(٤) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤٥).

(٥) رد عليهم جمع، مثل: الشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الإفريقي في «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية» وعلي بن محمد الدخيل الله في كتابه «التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنّة» وهاشم رجب في «القنديل لكشف ما في كتب التيجانية من الزيغ والأباطيل» وكلها مطبوعة، وظفرتُ بردود نفيسة عليهم في مجلة «الشهاب» الجزائرية، فلتنظر، والله الموفق، لا ربّ سواه.

(٦) في الأصل: «صاحبه»!

وعملاً وورعاً[١]، أمتع الله المسلمين بطول بقائه ودوام ارتقائه، وقد رأيت أن أنقل شيئاً من الكتاب المذكور فقد جاء في صفحة (٨١) منه ما نصُّه:

الفصل الثاني: في فضل المتعلقين بالشيخ أحمد التجاني

اعلموا أن التجانيين رووا عن شيخهم فضائل تحصل للمتعلقين به مصادمة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، وزعموا أن الشيخ التجاني كتب تلك الفضائل بيده، وسلّمها إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يقرأها ويضمنها له، فقرأها وضمنها له، وقع ذلك يقظة لا مناماً. انظر (صفحة ٤٤) من (الجزء الثاني) من «الرماح»، وهذه الفضائل زعموا أن الله يعطيهم إياها بسبب تعلقهم بشيخهم، وسأسرد هنا هذه الفضائل، وعددها تسع وثلاثون، أربع عشرة فضيلة تحصل لكل من اعتقد فيه الخير ولم يعترض على طريقه، وكان محباً له ولأصحابه ولكل من أطعمه أو سقاه أو قضى له حاجة إذا استمر على محبته حتى الموت، وأن يأخذ ورده ولم يصر من أصحاب طريقته، وسائر الفضائل وهي خمسة وعشرون خاصة بمن أخذ الطريقة والتزم شروطها:

الفضيلة الأولى: أن النبي ﷺ ضمن لهم أن يموتوا على الإيمان والإسلام.

الفضيلة الثانية: أن يخفف الله عنهم سكرات الموت.

الفضيلة الثالثة: لا يرون في قبورهم إلا ما يسرُّهم.

الفضيلة[٢] الرابعة: أن يؤمنهم الله تعالى من جميع أنواع عذابه وتخويفه وجميع الشرور، من الموت إلى المستقر في الجنة.

الخامسة: أن يغفر الله لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر.

السادسة: أن يؤدي الله تعالى عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله ﷻ لا من حسناتهم.

---

(١) مَدْحُ الهلالي للشيخ العلامة ابن باز ـ رحمهما الله تعالى ـ كثير، ومما ظفرت به بخط الهلالي على طرة كتابه: «الطريق إلى الله» إهداءاً لابن باز، وعليه ما صورته «هدية من المؤلف إلى الإمام المصلح الداعي إلى صراط الله على بصيرة سماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مع أطيب التحيات»، وله فيه وفي ذويه مدح في شعر مشهور متداول.

(٢) في مطبوع «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية» بدون: «الفضيلة».

السابعة: أن لا يحاسبهم الله تعالى ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة.

الثامنة: أن يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم القيامة.

التاسعة: أن يجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة.

العاشرة: أن يسقيهم الله تعالى من حوضه ﷺ يوم القيامة.

الحادية عشرة: أن يدخلهم الله تعالى إلى الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى.

الثانية عشرة: أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن.

الثالثة عشرة: أن النبي ﷺ يحب كل من كان محباً له.

الرابعة عشرة: أن محبه لا يموت حتى يكون ولياً، قال ـ أي: «أحمد التجاني ـ قد أخبرني سيد الوجود ﷺ أن كل من أحبني فهو حبيب للنبي ﷺ، ولا يموت حتى يكون ولياً قطعاً، وقال لي سيد الوجود ﷺ: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين، وأنت حبيبي ومن[1] أحبك حبيبي، وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار، وقال: أبشروا إن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان، ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله، وقال: وأما من كان محباً ولم يأخذ الورد، فلا يخرج من الدنيا حتى يكون من الأولياء»[2].

ثم قلت في الرد على هذه الأباطيل في صفحة (٨٦) ما نصه:

«**قال محمد تقي الدين**: لم يستوف صاحب «الرماح» الفضائل التي وعد بذكرها بل اقتصر على ذكر ثلاث وثلاثين، وفي ما ذكره من الطوام والضلالات ما لا يبقي شكاً في أن هذه الطريق على الحال الراهنة يستحيل أن تجتمع في قلب شخص واحد مع ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحنيف، المبني على الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وسنعقّب عليها بالنقد والنقض حتى يتضح بطلانها وتنجلي ظلمتها، بحول الله وقوته وحسن توفيقه.

اعلم ـ أيها القارئ الموفق لمعرفة الحق واتباعه مع من كان، وحيث كان ـ

---

(١) في مطبوع «الهدية الهادية» بدون: «و». (٢) انظر: «الهدية الهادية» (٨١ ـ ٨٣).

أن ما ذكره صاحب «الرماح» من الفضائل؛ بزعمه له ولإخوانه في الطريقة، ولشيخهم بزعمهم، مردود من وجوه: بعضها إجمالي، وبعضها تفصيلي، ولنبدأ بالإجمالي، فنقول:

كل ما نسبوه إلى النبي ﷺ من الأخبار هو من شر أقسام الموضوع المفترى، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾، فإن الأمة بعلمائها وأئمتها من أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن تقوم الساعة، أجمعت الأمة على أنه لا طريق لتلقّي خبر من الأخبار عن النبي ﷺ إلا بالسماع والمشاهدة في حياته الدنيوية، أو بواسطة الثقات[١] الأثبات بالسند المتصل، وما ذكروه من الأخبار ليس له سند أصلاً، وما زعموه من السماع كذب بإجماع الأئمة، ومن خرق إجماعهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم، وكان مشاقاً للرسول ﷺ ومتبعاً غير سبيل المؤمنين، ومن ذلك أن تلك الأخبار مناقضة لكتاب الله وللأخبار الصحيحة المروية بأسانيد كالشمس، معلومة التواتر أو الصحة العالية، إذا قرأت ما تقدم من الرد تبين لك خلاله فساد تلك الأخبار وبطلانها واضمحلالها»[٢]. اهـ.

ومن شاء أن يطلع على الرد التفصيلي يجده في كتابي «الهدية الهادية»[٣].

التحذير من اتباع جهلة المتصوفة فيما أحدثوه من البدع

قال شارح «الطحاوية» صفحة (٥٥٦): «وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برئاسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم، ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء، ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء أو[٤] يدّعي لنفسه أنه[٥] خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، ولكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية[٦]، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو

(١) في الأصل: «الثقافة»! والتصويب من «الهدية الهادية».
(٢) انظره (ص٨٧ ـ ١٠١).
(٣) انظر: «الهدية الهادية» (٨٦ ـ ٨٧).
(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «و».
(٥) سقط من الأصل، والمثبت من مطبوع «شرح الطحاوية».
(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «بالكلية لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم؛ فإنه كان مثبتاً للصانع».

الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تُختم!

وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها كما قال:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي!!

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى في سورة يونس الآية [٦٢ ـ ٦٣]: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه[١] على ذلك، وقال ابن عربي أيضاً في «فصوصه»: «ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة[٢]، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين، ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فيكمل الحائط، والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين، أن[٣] الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضية[٤] هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في الشرع ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحى إليه إلى الرسول ﷺ» قال: «فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع»[٥].

قال محمد تقي الدين: «فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب،

---

(١) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «تنبيه».

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٢٢٨٧) بسنده إلى جابر بن عبد الله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دَاراً فَأَتَمَّهَا وأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ!**». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ؛ جِئْتُ فَخَتَمْتُ الأَنْبِيَاءَ**».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الفضة».

(٥) انظر: «فصوص الحكم» (ص٦٣).

وللرسل المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل؟ تلك أمانيهم ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ الآية [٥٦] من سورة غافر. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير، وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدَّرْكِ الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد، ولكن في قبول توبته خلاف(١)، والصحيح عدم قبولها»(٢).

---

(١) لا تقبل توبته عند مالك، وهو مذهب الليث، وهو المنصور من الروايتين عن أبي حنيفة، وهو إحدى الروايات عن أحمد، نصرها كثير من أصحابه بل هي أنصّ الروايات عنه، قاله ابن القيم في «الإعلام» (٣/ ١٤٤). وانظر بسط المسألة في: «الإشراف» للقاضي عبد الوهاب (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣) رقم (١٥٢٦) وتعليقي عليه، و«الصارم المسلول» (ص٣٤٠ وما بعد)، و«الحدود والتعزيرات عند ابن القيم» (ص٤٤٤ ـ ٤٥٤).

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٥٦ ـ ٥٥٨).

الإيمان بأشراط الساعة

قال شارح «الطحاوية» قوله: «(ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض [من] موضعها).

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قُبَّة من أدَم، فقال: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص**[1] **الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً**»[2] وروي: «**راية**» بالراء[3]، وهما بمعنى، رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والطبراني.

وعن حذيفة بن أَسِيد، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكُرُ الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى تروا**[4] **قبلها عشر آيات...**» فذكر: «**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف**: خسف بالمشرق، **وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[5] رواه مسلم، وفي «الصحيحين» ـ واللفظ للبخاري ـ عن

---

(١) الموت المفاجئ يصيب الغنم فيقتلها جميعاً. (منه).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب ما يُحذَرُ من الغَدر برقم (٣١٧٦)، وأبو داود (٥٠٠٠) مختصراً، وابن ماجه (٤٠٤٢)، والطبراني (١٨/رقم ٤٠) وغيرهم من حديث عوف بن مالك.

(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «بالراءِ والغين».

(٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ترون».

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة =

ابن عمر[(١)] قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ، فقال: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور** ـ وأشار بيده إلى عينه ـ **وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**»[(٢)]. وعن أنس بن مالك[(٣)] قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وأنذر قومه الأعور الدجال، ألا إن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر)**»[(٤)]، فسره في رواية: «أي كافر»، وروى البخاري وغيره، عن أبي هريرة[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها**». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾»[(٦)] الآية [١٥٩] من سورة النساء، وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم عليه السلام، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج[(٧)] يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم ـ ويضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ

= (٢٩٠١) من حديث حُذيفة بن أَسيد الغِفاري.

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنهما».

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٧٤٠٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذِكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١٦٩) من حديث عبد الله بن عمر.

(٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنه».

(٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٧٤٠٨)، ومسلم كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وجامعه (٢٩٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «رضي الله عنه».

(٦) أخرجه البخاريُّ في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام (٣٤٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «يخرج» دون واو في أوله.

بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ الآية [١٥٨] من سورة الأنعام، وروى البخاري عند تفسير الآية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا**[١] **عليها، فذلك حين** ﴿**لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ**﴾»[٢]. وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول**[٣] **الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**»[٤]. أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية؛ كما أن طلوع الشمس[٥] على خلاف عادتها المألوفة ـ أول الآيات السماوية، وقد أفرد الناس في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة يضيق عن[٦] بسطها هذا المختصر»[٧].اهـ.

---

(١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «آمنَ».

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ (٤٦٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) من مطبوع «شرح الطحاوية» ومصادر التخريج، وسقطت من الأصل.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه... برقم (٢٩٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وانظر: «المجالسة» (٢١٥٦ ـ بتحقيقي).

(٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة بعدها: «من مغربها».

(٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «على».

(٧) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٦٤ ـ ٥٦٦)، وانظر في (المصنفات في أشراط الساعة): «معجم الموضوعات المطروقة» (٢/ ٩١٤ ـ ٩١٥ و١٠٢١ ـ ١٠٢٢).

فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ

اعلم أن أهل السنة يحبون أزواج النبي ﷺ وأهل بيته ويكرمونهم، ولا يذكرونهم إلا بأحسن الذكر، بدون إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ الآية [٦].

قال الميسِّر «لاختصار ابن كثير» ما نصُّه: «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما[1] **من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾، فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك دَيناً أو ضياعاً، فليأتني فأنا مولاه»[2]. تفرد به البخاري.

وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ أي: في الحرمة والاحترام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهم بالإجماع»[3].

قال تعالى في سورة الأحزاب [٢٨ ـ ٣٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى

---

(١) كذا في مطبوع «تيسير العلي القدير»، وفي الأصل: «وما»!

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب (٤٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ٤٧٧).

﴿يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾.

قال: المحقق محمد صديق حسن في «تفسيره»: «قال الواحدي[١]: «قال المفسرون: إن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه الزيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً، وأنزل الله آية التخيير هذه[٢]، وكنَّ يومئذ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة، وسودة، وهؤلاء من نساء قريش، وصفية الخيبرية، وميمونة الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقيّة».

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: سعتها ونضارتها ورفاهيتها وكثرة الأموال والتنعم فيها ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ أي: أقبلن إليَّ بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: أعطكن المتعة ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أي أطلقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ المراد به هو الواقع من غير ضرار على مقتضى السنة، ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: تردن رسوله، وذكر الله للإيذان بجلالة محمد ﷺ عنده تعالى ﴿وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة ونعيمها ﴿فَإِنَّ[٣] اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ أي: اللاتي عملن عملاً صالحاً ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يمكن وصفه، ولا يقدر[٤] قدره، وذلك بسبب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن.

وقد خيرهنَّ رسول الله ﷺ بإذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق، وفي «الصحيحين» عن عائشة قالت: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعدّه طلاقاً»[٥]. وقد أخرج مسلم عن جابر قال: «أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبي ﷺ جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر، فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمنَّ النبي ﷺ؛ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله! لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت في عنقها؟

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٣٦٧).

(٢) انظر ما ورد في ذلك عند البخاري كتاب التفسير، باب ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ...﴾ (٤٧٨٥)، وباب ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ (٤٧٨٦)، ومسلم كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنيّة (١٤٧٥).

(٣) في الأصل: «كان»!

(٤) في مطبوع «فتح البيان»: «يقادر».

(٥) أخرجه البخاريُّ في كتاب الطلاق، باب مَن خيَّر نساءَه (٥٢٦٢)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنيّة (١٤٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «**هن حولي يسألنني**[١] **النفقة**» فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! فنهاهما رسول الله ﷺ، فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده»[٢]، وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي، فقال: «**إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك**» وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، فقال: «**إن الله قال:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾» إلى تمام الآية. فقلت: أفي[٣] هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت»[٤]. ثم لما اختار نساء رسول الله ﷺ إياه، أنزل فيهن هذه الآيات تكرمة لهن وتعظيماً لحقهن؛ فقال: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ﴾، (مِنْ) بيانية لأنهن كلهن محصنات ﴿بِفَـٰحِشَةٍ﴾ أي: معصية ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: ظاهرة القبح، واضحة الفحش، وقد عصمهن الله عن ذلك وبرأهنّ وطهرهنّ، فهو كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يعذبهن الله مثلي عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن، ولأن ما قبح من سائر النساء كان منهن أقبح، فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل، وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ، ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل؛ لأن المعصية منه أقبح، ولذا فضل حد الأحرار على العبيد، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات، والمراد

---

(١) في الأصل: «يسألني».
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حَرَّم امرأته ولم ينوِ الطلاق (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله.
(٣) في مطبوع «فتح البيان»: «ففي أي».
(٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا...﴾ (٤٧٨٥)، وباب ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ...﴾ (٤٧٨٦)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنية برقم (١٤٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بالعذاب هنا الحد[(١)]، وقال مقاتل: هذا التضعيف في العذاب إنما هو في الآخرة، كما أن إيتاء الأجر مرتين في الآخرة، وهذا حسن؛ لأن نساء النبي ﷺ لم يأتين بفاحشة توجب حد، وقد قال ابن عباس: «ما بغت امرأة نبي قط؛ وإنما خانتا في الإيمان والطاعة»[(٢)][(٣)].

قال محمد تقي الدين: قول ابن عباس: «ما بغت امرأة نبي قط» أي ما زنت، وخيانة امرأة نوح وامرأة لوط المذكورتين في سورة التحريم ليس معناها الزنى، وإنما هي عدم الإيمان وعدم طاعة زوجيهما نوح ولوط عليهما السلام.

«﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: تضعيف العذاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً لا يتعاظمه ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ والقنوت الطاعة؛ أي: يطع، ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يعني أنه يكون لهن من الأجر على الطاعة مثلي ما يستحقه غيرهن من النساء إذا فعلن تلك الطاعة، وفي هذا دليل قوي على أن معنى ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، أنه يكون العذاب مرتين لا ثلاثاً؛ لأن المراد إظهار شرفهن ومرتبتهن في الطاعة والمعصية، لكون حسنتهن كحسنتين وسيئتهن كسيئتين، ولو كانت كثلاث سيآت لم يناسب ذلك كون حسنتهن[(٤)]، فإن الله أعدل من أن يضاعف العقوبة عليهن مضاعفة تزيد على مضاعفة أجرين. قيل: الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال الزجاج: «لم يقل: كواحدة من النساء؛ لأن (أحد) لفظ[(٥)] عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة»[(٦)]. وقد يقال على ما ليس بآدمي، كما يقال: ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير، والمعنى: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف، قال ابن عباس: «يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليّ وثوابكن أعظم لدي» ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد فقال: ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله

---

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «والعذاب بمعنى الحد».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٤٣٠ و٢٣/ ١١٢)، وابن عساكر (٥٠/ ٣١٨) وما سبق من «فتح البيان» (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢) بتصرف.

(٣) انظر: «فتح البيان» (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢).

(٤) كذا في الأصل، ولعل بعدها «حسنتين».

(٥) في مطبوع «معاني القرآن وإعرابه»: «نفي»؛ وهو الصواب.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٢٢٤).

فأطعنه، فإن الأكرم عند الله هو الأتقى، فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهن للتقوى؛ لا لمجرد اتصالهن بالنبي ﷺ. وقد وقعت منهن ـ ولله الحمد ـ التقوى البينة والإيمان الخالص والمشي على طريقة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: إن اتقيتن فلستن كأحد من النساء، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ والمعنى: لا تَلِنّ القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المريبات من النساء، ولا ترققن الكلام. قال ابن عباس يقول: «لا ترضخن بالقول ولا تخضعن بالكلام»، وعنه قال: «مقارنة الرجال بالقول فإنه يتسبب عن ذلك مفسدة عظيمة وهي قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجور وشهوة أو شك وريبة أو نفاق». والمعنى: لا تقلن قولاً يجد المنافق والفاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عند الناس؛ أي: حسناً مع كونه خشناً بعيداً من الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئاً، ولا يطمع فيكن أهل الفسق والفجور بسببه، أو قولاً يوجبه الإسلام والدين عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمن بيوتكن»(١).

قال محمد تقي الدين: وفي «الصحيح» أن النبي ﷺ لما حج بأزواجه قال لهن: «**هذه وأحلاس البيوت**»(٢). ولذلك التزمت بعض أزواج النبي ﷺ ـ وهي

---

(١) ما مضى من «فتح البيان» (٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) بتصرف واختصار.

(٢) أخرجه الطيالسي (١٦٤٧، ٢٣١٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٦)، وأبو يعلى (٧١٥٤، ٧١٥٨)، والبزار (١٠٧٧، ١٠٧٨ ـ زوائده) في «مسانيدهم»، وابن سعد (٨/ ٥٥)، والطحاوي في «المشكل» (٥٦٠٣) **بإسناد حسن** من حديث أبي هريرة قال: إن رسول الله ﷺ لما حجّ بنسائه، قال: «**إنما هي هذه الحجّة، ثم الْزَمْنَ ظُهورَ الحُصُر**».

وبنحوه من حديث أبي واقد الليثي، عند أحمد (٥/ ٢١٨، ٢١٩)، وأبي داود (١٧٢٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٠٣)، وأبي يعلى (١٤٤٤)، والطحاوي في «المشكل» (٥٦٠٤)، وابن قانع (١/ ١٧٣)، والطبراني (٣٣١٨)، والبيهقي (٤/ ٣٢٧ و٥/ ٢٢٠٨)، والخطيب (٧/ ١١٠)، **وإسناده حسن** في المتابعات والشواهد.

وبنحوه عند أحمد (٦/ ٣٢٤)، والحارث بن أبي أسامة (٣٥٨ ـ زوائده)، وأبي يعلى (٧١٥٨) في «مسانيدهم»، وابن سعد (٨/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، والطبراني (٢٤/رقم ٨٩) وفيه زيادة: «فكلهن يَحْجُجْنَ إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من النبي ﷺ»، **وإسناده حسن**.

وفي الباب عن أم سلمة عند أبي يعلى (٦٨٨٥)، والطبراني (٢٣/رقم ٧٠٦)، وعن =

سودة ـ أن لا تخرج من حجرتها حتى تموت، وكذلك فعلت. ثم نعود إلى كلام القنوجي قال: «﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ التبرج أن تبدي المرأة زينتها(١) ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة(٢) الرجل.

والجاهلية الأولى، هي: ما قبل الإسلام، إذا كانت المرأة تكشف محاسنها وتتزين للناس، والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان»(٣).

قال محمد تقي الدين: وقد بلغ السيل الزُّبى، واتسع الخرق على الراقع في هذا الزمان، ومحيت الغيرة والشرف من قلوب الرجال، وأصبح أكثرهم ديوثين، وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة ديوث»**(٤). اهـ. وهو جدير بذلك، فإذا ذهب الدين والعرض فلا خير في الحياة. اهـ.

«﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الواجبة ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمر وفيما نهى، وخص الصلاة والزكاة ثم عمم فأمرهن بالطاعة ولرسوله في كل ما هو شرع؛ لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية، ولأن من واظب عليهما جرّتاه إلى ما وراءهما ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ أي: إنما أوصاكن الله بما أوصاكن من التقوى، وأن لا تخضعن بالقول، ومن قول المعروف، والسكون في البيوت، وعدم التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ والمراد بالرجس الإثم والذنب المدنسان للأعراض، الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه، فيدخل في ذلك كل ما ليس فيه رضا الله ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصبه على النداء أو المدح ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأرجاس والأدناس

= ابن عمر عند ابن حبان (٣٧٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٧٩٢٦).

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «من زينتها».

(٢) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «تستدعي بشهوة»!

(٣) انظر: «فتح البيان» (٥/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) بتصرف.

(٤) أخرجه الطيالسي (٦٤١)، وعبد الرزاق (٢٠٤٣٧) من حديث عمار، **وإسناده ضعيف**.
والحديث **صحيح بشواهده**، منها: ما أخرجه النسائي (٥/ ٨٠ ـ ٨١)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، والبزار (١٨٧٦)، وأبو يعلى (٥٥٥٦) في «مسانيدهم»، وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٧٥، ٥٧٨)، والحاكم (١/ ٧٢ و٤/ ٢٤٦)، والطبراني (١٣١٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٧٩٩، ٧٨٠٣، ٧٨٧٧)، والضياء (١٩٨) عن ابن عمر (وعند الضياء زيادة: عن عمر رفعه: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق ... والدّيوث ورَجُلة النساء»**)، **وإسناده صحيح**، وصححه الذهبي في «الكبائر» (ص٢٥١ ـ بتحقيقي/ التحقيق الثاني)، وجوده المنذري في «الترغيب» (٢/ ٨١٢ ـ بعنايتي).

﴿تَطْهِيرًا﴾ كاملاً، وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلها شديد. وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت المذكورين في الآية، فقال ابن عباس وجماعة[١] من التابعين: إن أهل البيت المذكورين في الآية هن[٢] زوجات النبي ﷺ خاصة، قالوا: والمراد بالبيت بيت النبي ﷺ ومساكن زوجاته لقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وأيضاً السياق في الزوجات من قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

وقال[٣] أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين[٤]: أن أهل البيت المذكورين في الآية هم: علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب في الآية بما يصلح للذكور لا للإناث وهو قوله: ﴿عَنكُمُ﴾ و﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾، ولو كان للنساء خاصة لقال: (عنكن) و(ليطهركن)، وأجاب الأولون عن هذا بأن التذكير باعتبار لفظ الأهل، كما قال سبحانه: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ يريد زوجته أو زوجاته، فيقول: هم بخير. ولنذكر ههنا ما تمسك به كل فريق.

أما الأولون؛ فتمسكوا بالسياق، فإنه في الزوجات كما ذكرنا، وبما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال: «نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة»[٥] وقال عكرمة: «من شاء باهلته، إنها نزلت في أزواج

---

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير».

(٢) في مطبوع «فتح البيان»: «هم».

(٣) في مطبوع «فتح البيان»: «وقاله أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة».

(٤) في مطبوع «فتح البيان»: «وروي عن الكلبي أن أهل...».
وروي عن أبي سعيد مرفوعاً أنه قال: **«نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ** (أي رسول الله ﷺ) **وفي علي وحسن وحسين وفاطمة».**
أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥)، وابن أبي حاتم والطبراني ـ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٤) ـ والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٣٩)، و«الوسيط» (٣/ ٤٧٠)، وهو عند ابن أبي حاتم موقوفاً ومرفوعاً، **وإسناده ضعيف، مداره على عطية العوفي.**

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ١٥٣) ـ، وابن عساكر (٧٣/ ١١١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠)، و«أسباب النزول» (ص٢٣٩)، وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٣) ـ من طريقين عن ابن عباس، إحداهما حسنة.

النبي ﷺ»[١]، وروي هذا عنه بطرق.

وأما ما تمسك به الآخرون؛ فأخرج الترمذي وصححه[٢] عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ الآية، وفي البيت: فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: **«هؤلاء أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»**[٣]. وأخرج ابن جرير وجماعة[٤] من المحدثين والمفسرين عن أم سلمة أيضاً: «أن النبي ﷺ كان في بيتها على منامة له، عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول الله ﷺ: **«ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً»** فدعتهم[٥]، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأخذ النبي ﷺ بفضلة كسائه، فغشَّاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء، ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»** قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: **«إنك إلى خير»**[٦]. وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وغيرهم[٧] عن عائشة قالت:

---

(١) قولة عكرمة هذه، عند ابن أبي حاتم على إثر أثر ابن عباس السابق، أفاده ابن كثير في «تفسيره» (١١/ ١٥٣)، وأسنده بنحوه عن عكرمة: ابن جرير (٢٢/ ٧، ٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٤٠)، و«الوسيط» (٣/ ٤٧٠)، وخرجته في جزء مفرد لي عن (المباهلة)، يسر الله إتمامه ونشره.

(٢) في مطبوع «فتح البيان»: «فأخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في «سننه» من طرق».

(٣) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٨٧)، وأحمد (٦/ ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٣)، وابن راهويه (١٨٧٤)، وأبو يعلى (٦٨٨٨، ٦٩١٢) في «مسانيدهم»، وابن أبي شيبة (١٢/ ٧٣)، وابن جرير (١٩/ ١٠٥، ط. هجر)، وابن عدي (٥/ ١٩١٧)، والطبراني (٢٦٦٢، ٢٦٦٤، ٢٦٦٦، ٢٦٦٨ و٢٣/رقم ٦١٢، ٦٢٧، ٧٥٩، ٧٦٩ ـ ٧٧٣، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨٣، ٩٣٩)، والدولابي (٢/ ١٢٢)، والحاكم (٢/ ٤١٦)، والبيهقي (٢/ ١٥٠)، من طرق، هو بها **حسن** إن شاء الله تعالى.

(٤) في مطبوع «فتح البيان»: «ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه».

(٥) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «فدعوتهم»!.

(٦) أخرجه الطبريُّ في «تفسيره» (١٩/ ١٠٥) بهذا اللفظ، وسبق تخريجه.

(٧) في مطبوع «فتح البيان»: «وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم».

«خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرطٌ مرحّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ الآية»[(١)].

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: **«أذكّركم الله في أهل بيتي»** فقيل لزيد: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس»[(٢)].

ثم قال[(٣)]: «وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين. أما الزوجات؛ فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا ولكونهن الساكنات في بيوته ﷺ النازلات في منازله، ويعضد ذلك: ما تقدم عن ابن عباس وغيره. وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين، فللّحديث[(٤)] الذي تقدم ذكره»[(٥)].

قال محمد تقي الدين: وهذا القول هو الصحيح، وهو واضح لا شك فيه، أما أزواج النبي ﷺ فالقرآن يدل عليهن دلالة لا تقبل الشك. وأما فاطمة، فهي بنت النبي ﷺ وسيدة نساء العالمين، وقد قال فيها النبي ﷺ: **«إن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها»**، وفي لفظ: **«يسوؤني ما ساءها»**[(٦)]، وأما الحسن والحسين فقد سماهما النبي ﷺ ابنيه[(٧)]، وأبناء الإنسان من أهل بيته، وأما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ (٢٤٢٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٧٢)، وأحمد (٦/ ١٦٢)، وأبو داود (٤٠٣٢)، والترمذي (٢٨١٣)، وفي «الشمائل» (٦٧)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، والبيهقي (٢/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم.

(٣) أي: صديق حسن خان ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٤) في مطبوع «فتح البيان»: «فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب».

(٥) انظر: «فتح البيان» (٥/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨).

(٦) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع (٣٧٢٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة.

(٧) ورد ذلك في حديث أخرجه الترمذيُّ برقم (٣٧٦٩) وغيره، وهو قوله ﷺ: **«هذان ابناي...»**، والحديث مضى تخريجه.

عليٌّ؛ فقد نشأ في بيت النبي ﷺ واختاره بعلاً لابنته، وقال له: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**»[(١)] كما تقدم في ذكر الخلفاء الراشدين، ولما خرج النبي ﷺ لمباهلة وفد نجران بعد ما أمره الله تعالى بقوله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أخذ معه فاطمة وعلياً والحسن والحسين، وقد تقدم ذكر ذلك في (القسم الأول) من هذا (الكتاب)، وهؤلاء الأربعة أخص من غيرهم، ويليهم المذكورون في حديث زيد بن أرقم، الذين حرمت عليهم الصدقة، فمن كان يحب النبي ﷺ فلا بدّ أن يحب آل بيته، الذين توفى وهو عنهم راضٍ، ومن اتبعهم من ذرياتهم يلحقه الله تعالى بهم، أما من أشرك بالله أو ابتدع في دين الله؛ فليس من أولياء الله ولا من أولياء رسوله، فقد أخرج البخاري من حديث عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن آل أبي فلان** ـ يعني أبا طالب ـ **ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها**»[(٢)]، انظر (الباب الأخير) من (سورة الشعراء) من (القسم الأول) من هذا (الكتاب).

وأما الذين يعتمدون على الانتساب المجرد، فقد ضلوا ضلالاً بعيداً، مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ بالتفصيل وذكر بعض فضلهن رضي الله عنهن

وسأنقل ذلك من كتاب «كشف الغمة عن جميع الأمة»؛ لأني وجدته أحسن ترتيباً وأسهل على القراء من «سيرة ابن هشام» وغيرها، ممن جمع تراجم الأزواج الطاهرات.

ولا ينقصه إلا عدم عزو الأحاديث وذلك لا يضر[(٣)]؛ لأن أكثر ما ذكر هنا مرويٌّ في كتب الحديث المعتبرة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لا سيما أنا قد عملنا ـ ولله الحمد ـ على تخريجها.

الأولى: خديجة بنت خويلد[١] رضي الله عنها:

«قال أنس[٢]: «كان رسول الله ﷺ: يذكر خديجة كثيراً بعد موتها ويستغفر لها، ويقول: «**كانت وكانت**»، وكان يكرم صدائقها بعد موتها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما دخلت عليه العجائز اللاتي كن يدخلن على خديجة؛ فيكرمهن[٣].

قال ابن عباس[٤]: «وكانت قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ زوجين، ولم يتزوج رسول الله ﷺ عليها حتى ماتت (لثلاث سنين قبل الهجرة)[٥]، وأرسل الله ﷻ لها السلام مع جبريل عليه السلام»[٦].

وكانت عائشة[٧] تقول: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، فأدركتني الغيرة يوماً، فقلت: هل كانت إلا عجوزاً وقد أخلف الله لك خيراً منها؟ فغضب حتى اهتز مقدم رأسه من الغضب، ثم قال: «**والله ما أخلفَ اللهُ لي خيراً منها، لقد آمنت بي إذ كفر[٨] بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذْ حرمني الناس** رضي الله عنها»[٩].

---

(١) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤/ ٣٧٩/ ٣٣٤٧)، و«الإصابة» (١١٠٨٦)، وأسد الغابة (٦٨٧٥، ط. دار المعرفة).

(٢) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنه».

(٣) أخرجه يونس بن بكير في «زياداته على السيرة» (ص٣٤٣ ـ ٣٤٤)، وأحمد (٦/ ٥٨، ٢٠٢، ٢٧٩)، وفي «الفضائل» (١٥٨٩)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» حديث (٣٩، ٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٥١)، **وإسناده صحيح**، وانظر الحديث الآتي.

(٤) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنه».

(٥) (لثلاث سنين قبل الهجرة) غير موجودة في مطبوع «كشف الغمة».

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧/ ٤٩٢) برقم (١٤٠٠٣).

(٧) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنها». (٨) في مطبوع «كشف الغمة»: «كفرني».

(٩) أخرجه البخاريُّ في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها (٣٨١٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها (٢٤٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وللبخاري برقم (٣٨١٨) من حديث عائشة، وفيه نحو ما في حديث أنس السابق، وفيه: «كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا =

والثانية: عائشة الصديقة بنت الصديق(١) رضي الله عنهما:

قال ابن عباس(٢): كان رسول الله ﷺ يقول لما توفيت خديجة: «**نزل جبريل بصورة عائشة(٣) في سرقة(٤) حرير خضراء، فقال: يا محمد؛ هذه زوجتك في الدنيا والآخرة، عوضاً عن خديجة بنت خويلد**»(٥) **وقالت عائشة**(٦): قال لي رسول الله ﷺ: «**إنْ جبريل يقرئك السلام**» فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته(٧).

وقالت عائشة(٨): «وكان أزواج النبي ﷺ(٩) يرسلن فاطمة إليه كثيراً، ويقُلْن لها: قولي لأبيك إن أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة، فتأتي فاطمة إليه، فيقول لها رسول الله ﷺ: «**أي بنيتي(١٠) ألست تحبين ما أحب؟**» فتقول: بلى، قال: «**فأحبي هذه**»، فترجع فاطمة فتخبرهن بما قال لها رسول الله ﷺ، فيقُلْن لها: ما أغنيتِ عنا من شيء، فارجعي إليه ثانياً، فلما أكثرن على فاطمة، قالت: لا أكلمه فيها أبداً؛ فسكتن»(١١).

= امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**»، وما سبق من «كشف الغمة» (١٠٧ ـ ١٠٨).

(١) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٥٨ ـ ٨١)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/ ٢٦٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٣٥)، و«أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة (٢٦) و«المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (٣٩)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤١)، و«نسب قريش» (٢٧٦)، و«السمط الثمين» (٣٣).

(٢) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنهما».

(٣) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنها».

(٤) سَرَقَة على وزن خشبة. (منه).

(٥) أخرجه الترمذيُّ برقم (٣٨٨٠) وأصله عند مسلم (٢٤٣٨) من حديث عائشة نفسها.

(٦) في مطبوع «كشف الغمة»: «وكانت رضي الله عنها تقول».

(٧) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها برقم (٣٧٦٨)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ (٢٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٨) في مطبوع «كشف الغمة»: «قالت رضي الله عنها».

(٩) في مطبوع «كشف الغمة»: «أزواجه ﷺ».

(١٠) في مطبوع «كشف الغمة»: «بنية».

(١١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ برقم (٢٤٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرج البخاريُّ بعضه في كتاب الهبة، باب مَن أهدى إلى صاحبه وتحرَّى بعض نسائه دون بعض برقم (٢٥٨١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقالت عائشة رضي الله عنها[(١)]: «وكان الناس يتحرون بهداياهم إلى رسول الله ﷺ يوم نوبتي، فغارت أم سلمة وصواحبها، وقلن: نكلِّم رسول الله ﷺ في ذلك يكلم الناس، ويقول: ألا من أراد أن يهدي هدية إلى رسول الله ﷺ فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلّمته أم سلمة، فسكت (رسول الله)[(٢)] ﷺ، فأعادت عليه القول مرة أخرى، فقال: **«لا تؤذيني في عائشة»** فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله»[(٣)].

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول لي[(٤)]: **«إني لأعلم إذا كنت عني راضية؛ فإنك تقولين إذا كنت راضية: لا وربِّ محمد! وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم»**. فأقول له: نعم يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك فقط[(٥)].

وقالت عائشة: «كان[(٦)] رسول الله ﷺ يسابقني؛ فأسبقه، فلما لحقني اللحم كان يسبقني»[(٧)].

وقال أنس[(٨)]: «لما[(٩)] قربت وفاة عائشة رضي الله عنها، قيل لها: ندفنك مع رسول الله ﷺ، فقالت: إنِّي أحدثت بعده أموراً»[(١٠)]. فلما توفيت سنة ثمان

---

(١) في مطبوع «كشف الغمة»: «قالت رضي الله عنها».

(٢) في مطبوع «كشف الغمة» من غير: «رسول الله».

(٣) أخرج البخاريُّ بعضاً منه في كتاب الهبة، باب قَبولِ الهدية (٢٥٧٤)، وأخرجه كاملاً في الكتاب نفسه، باب مَن أهدى إلى صاحبه وتحرّى بعض نسائه دون بعض (٢٥٨١) وأخرج مسلم بعضاً منه في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٢٤٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في مطبوع «كشف الغمة»: «وكانت تقول: قال لي رسول الله ﷺ».

(٥) أخرجه البخاريُّ في كتاب النكاح، باب غَيرةِ النساءِ ووجدهنَّ (٥٢٢٨)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٢٤٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) في مطبوع «كشف الغمة»: «قالت وكان...».

(٧) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢٦١)، وابن أبي شيبة (١٢/٥٠٨ ـ ٥٠٩)، وأحمد (٦/ ٣٩، ١٢٩، ١٨٢، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٨٠)، والطيالسي (١٤٦٢)، وأبو داود برقم (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٣٤٥٤)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ٣٦٠ ـ الهندية)، وابن حبان (١٣١٠ ـ موارد)، والبيهقي (١٠/ ١٧ ـ ١٨)، **وإسناده صحيح**. انظر: «الفروسية» (ص٨٥ ـ بتحقيقي)، «الصحيحة» (١٣١)، «الإرواء» (٥/ ٣٢٧).

(٨) في مطبوع «كشف الغمة»: «قال أنس رضي الله عنه».

(٩) في مطبوع «كشف الغمة»: «ولما».

(١٠) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥، ط. دار الكتب العلميَّة)، وبنحوه عند ابن أبي =

وخمسين؛ دفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، وكان خليفة لمروان بالمدينة، وكان عمرها ستاً وستين سنة رضي الله عنها»(١).

الثالثة: حفصة بنت عمر بن الخطاب(٢) رضي الله عنهما:

«قال عمر(٣): «لما تأيّمت ابنتي حفصة من زوجها خنيس بن حذافة السهمي، عرضتُها على عثمان. فقال: سأنظر في ذلك، فلبثتُ ليالي؛ فلقيني. فقال: ما أريد أن أتزوَّج يومي هذا، قال عمر(٤): فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت أوجد عليه من عثمان، فلبثتُ ليالي فخطبها إليَّ رسولُ الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وَجَدْتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً (حين عرضتها علي)(٥)؛ لأني(٦) سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لنكحتها»(٧).

وكان ابن عمر يقول: «لما عرض عمر حفصة على عثمان، يوم ماتت بنت رسول الله ﷺ، قال له عثمان: حتى تستأمر لي رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاه فقال له رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على صهر هو خير لك من عثمان، وأدل عثمان على صهر هو خير له منك؟»** فقال: نعم، فقال: **«زوِّجني حفصة، وأزوِّج عثمان ابنتي»** فقال: نعم، ففعل رسول الله ﷺ(٨). ولما بلغ عمر(٩) أن رسول الله ﷺ

= شيبة (٧/ ٥٣٦)، وابن سعد (٨/ ٧٤) كلاهما من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قالت عائشة به، **وظاهر إسناده الصحة**.

(١) انظر: «كشف الغمة» (١٠٨ ـ ١١١).

(٢) انظر ترجمتها في: «طبقات خليفة» (٣٣٤)، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ٨١)، و«نسب قريش» (٢٤٨)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (٤٥)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة (٢٩)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤١)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٢٧)، و«السمط الثمين» (٩٥).

(٣) بعدها في مطبوع «كشف الغمة»: «رضي الله عنه».

(٤) بعدها في مطبوع «كشف الغمة»: «رضي الله عنه». (٥) غير موجود في مطبوع «كشف الغمة».

(٦) في مطبوع «كشف الغمة»: «إني».

(٧) أخرجه البخاريُّ في كتاب المغازي، باب (٤٠٠٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٨) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٣)، **وإسناده واهٍ بمرة**، فيه داود بن المحبَّر، ذاهب الحديث.

(٩) بعده في مطبوع «كشف الغمة»: «رضي الله عنه».

طلق حفصة حثا على رأسه التراب، وقال: ما يعبأُ الله بعمر وابنته بعد اليوم فنزل جبريل عليه السلام من الغد على رسول الله ﷺ وقال: «إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر، رحمةً لعمر؛ فإنها صوامة[١]، وإنها زوجتك في الجنة فراجعها[٢]»[٣].

ولدت حفصة[٤] رضي الله عنها، وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين، وتوفيت سنة خمس وأربعين في أيام معاوية، وهي ابنة ستين سنة»[٥].

الرابعة: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية[٦] رضي الله عنها:

«تزوجها رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة، كان اسمها بَرّة فسمَّاها النبي ﷺ ميمونة[٧]، توفيت سنة إحدى وخمسين بوادي سَرف ـ وهو بينه وبين مكة عشرة أميال وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها[٨] وبنو أخواتها رضي الله عنها»[٩].

---

(١) في مطبوع «كشف الغمة»: «لصوامةٌ قوامةٌ».
(٢) في مطبوع «كشف الغمة»: «فراجعها ﷺ».
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٥٢)، والبزار (٢٦٦٨ ـ زوائده)، والطبراني (٢٣/رقم ٣٠٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/رقم ٧٤٠٢) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن عاصم عن زر عن عمار بنحوه، **وإسناده ضعيف**، فيه الحسن بن أبي جعفر، واضطرب فيه، فكان يرويه أيضاً عن ثابت عن أنس، كما عند الحاكم (٤/ ١٧، ط. العلمية)، وتطليق النبي ﷺ لحفصة ومراجعته لها، **صحيح ثابت**.
(٤) في مطبوع «كشف الغمة» بدون قوله: «حفصة».
(٥) انظر: «كشف الغمة» (١١١ ـ ١١٢).
(٦) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٣٢)، و«طبقات خليفة» (٣٣٨)، و«تاريخ خليفة» (٨٦ و٢١٨)، و«المعارف» (١٣٧ و٣٤٤)، و«المنتخب في كتاب أزواج النبي ﷺ» (٤٦)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» (٣٥)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١٣١)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٣٨).
(٧) أخرج البخاري، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه (٦١٩٢)، ومسلم كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن (٢١٤١) عن أبي هريرة أن زينب كان اسمها برَّة، فقيل: تُزكي نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب.
هذا هو الصحيح أن النبي ﷺ غيَّر اسم (برة) إلى (زينب) وليست بميمونة، كما في «كشف الغمة» وأقره المصنف عليه!!
(٨) في مطبوع «كشف الغمة»: «قبرها هو وبنو...».
(٩) انظر: «كشف الغمة» (١١٢).

الخامسة: أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية[(١)] رضي الله عنها:

قال الحافظ في «الإصابة»: «كانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد، فمات عنها فتزوجها النبي ﷺ في جمادى الآخرة سنة أربع، كانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة»[(٢)].

قال صاحب «كشف الغمة»: «قالت أم سلمة: ولما خطبني رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله إني امرأة كبيرة ذات عيال! فقال: **«أما الذي ذكرت من السن؛ فقد أصابني الذي أصابك، وأما عيالك؛ فإنهم عيالي»** فقلت: سلمت نفسي إلى رسول الله ﷺ، فتزوجني من ابني، فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ جرتين أصنع فيهما حاجتي، ورحى ووسادة من أدم حشوها ليف، ثم قال رسول الله ﷺ: **«إني آتيكم الليلة إن شاء الله تعالى»** قالت: فقمت فأخرجت حبات من شعير كان عندي في جرة[(٣)]، وأخرجت شحماً فعصدته له، قالت: ثم جاء رسول الله ﷺ فبات عندي إلى الصبح، ثم فعل ذلك ثلاثة أيام»[(٤)].

قالت عائشة[(٥)]: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر، ودار على نسائه، يبدأ بأم سلمة؛ لأنها أكبرهن سناً، وكان يختم بي[(٦)].

---

(١) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٨٦)، و«طبقات خليفة» (٣٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٠٠)، و«المنتخب مِن كتاب أزواج النبي ﷺ» (٥٠)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة (٢٧)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (٩٩)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٢)، و«الإصابة» (٤/ ٤٢٣)، و«مَن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة» لابن حَيَّويه (ت٣٦٦هـ) (٧٩) وتعليقنا عليه.

(٢) انظر: «الإصابة» (٤/ ٤٢٣).

(٣) في مطبوع «كشف الغمة»: «في جر».

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٢٦)، وأحمد (٦/ ٣٠٧)، وعبد الرزاق (١٠٦٤٤)، والشافعي (٢/ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ترتيب السندي)، وابن سعد (٨/ ٩٠، ٩٣ ـ ٩٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٨٢)، والطحاوي (٣/ ٢٩)، وابن حبان (٤٠٦٥)، والطبراني (٢٣/رقم ٤٩٩، ٥٨٥، ٥٨٦)، والبيهقي (٧/ ٣٠١)، وفي «الدلائل» (٣/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/ رقم٧٤١٣ ـ ٧٤١٥)، وابن عبد البر (١٧/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، وهو **صحيح**، وانظر: «الصحيحة» (٢٩٣).

(٥) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنها».

(٦) أخرجه مسلم كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث (١٤٧٤) (٢١) عن عائشة: «... كان إذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن».

وبنحوه عند البخاري (٢٦٨، ٢٨٤، ٥٠٦٨، ٥٢١٥)، ومسلم (٣٠٩)، من حديث أنس.

وكان رسول الله[1] ﷺ كثيراً ما يَعِد نساءه بالشيء يطلب رضاهنّ، ولما تزوج أم سلمة قال لها: «**يا أم سلمة إني قد أهديت إلى النجاشي حُلة، وأواقي مسك، وإني لا أراه إلا قد مات وما أرى الهدية إلا ستردُّ إليَّ، فإن ردت إليَّ فهي لك**» قالت أم سلمة: فكان الأمر كما قال، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية أوقية، وأعطاني بقية المسك والحُلَّة[2].

قال المسور بن مخرمة: وكان رسول الله ﷺ يشاور أم سلمة في بعض أموره، وهي التي (أشارت إليه)[3] عام الحديبية بنحر البدن والحلق حين استشار الصحابة وسكتوا، وقالت: يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بُدنك، وتدعو حالقك؛ فيحلق رأسك، ففعل وقال لأصحابه: «**قوموا فانحروا، ثم احلقوا**» رضي الله عنها»[4].

قال محمد تقي الدين: هذه الرواية مخالفة لما في «الصحيح» وهو أن النبي ﷺ لما منعه المشركون من دخول مكة عام الحديبية، واتفق معهم على أنه يرجع في تلك السنة ويعود من قابل؛ صار محصراً، فأمر الناس أن ينحروا بُدنهم ويحلقوا رؤوسهم، فلم يفعلوا ما أمرهم، فدخل على أم سلمة، فقال لها: «**هلك الناس**» وأخبرها أنه أمرهم فلم يمتثلوا، فأشارت عليه أن ينحر بدنه دون أن يكلم أحداً ويدعو الحلاق يحلق رأسه، ففعل النبي ﷺ ما أشارت عليه به، وقاموا كلهم فنحروا وحلقوا[5]، وهذا من فضائلها، ورجاحة عقلها.

---

(١) في مطبوع «كشف الغمة» بدون قوله: «رسول الله».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٤٨٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٥٩)، وابن سعد (٨/ ٩٥٠)، وأحمد (٦/ ٤٠٤)، والطبراني (٢٥/رقم٢٠٥، ٢٠٦، ٨٢٦)، والطحاوي في «المشكل» (٣٤٧، ٣٤٨)، وابن حبان (٥١١٤)، والحاكم (٢/ ١١٨)، والبيهقي (٦/ ٢٦ ـ ٢٧)، وفي «المعرفة» (٨/ ٢٠٠)، **وإسناده ضعيف**، فيه مسلم بن خالد، ووالدة موسى بن عقبة لم أقف لها على ترجمة.

(٣) في مطبوع «كشف الغمة»: «أشار إليها في عام».

(٤) «كشف الغمة» (١١٢)، وسيأتي تنبيه المصنف على اللفظ المحفوظ في دواوين السنة في حديث المسْوَر، وهو عند البخاري كما سيأتي قريباً، والله الموفّق، لا ربَّ سواه.

(٥) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

قال الحافظ[(١)]: «قال ابن حبان[(٢)]: ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعدما جاءها نعي الحسين بن علي».

السادسة: أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية[(٣)]:

قال صاحب «كشف الغمة»: «وقالت (أم حبيبة)[(٤)] رضي الله عنها: «كنت تحت عبيد الله بن جحش، فهاجر بي إلى الحبشة الهجرة الثانية، فارتد عن الإسلام وتنصر ومات هناك»[(٥)]، فبقيتُ على ديني إلى أن أرسل رسول الله ﷺ كتابه يخطبني من النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري، وكنت قد رأيت تلك الليلة يقال لي: يا أم المؤمنين! ففرحت بذلك المنام، فأولت[(٦)] الرؤيا أن رسول الله ﷺ يتزوجني فما هو إلا أن انقضت عِدَّتي، وإذا رسول النجاشي على بابي يستأذن ففتحت، فإذا هي جارية النجاشي، فقالت: يقول لك الملك: إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ يخطبك مني، فأعطيتها سوارين من فضة وخلخالين وخواتيم كانت في يدي ورجلي سروراً بما بشَّرتني، فلما كان العشى أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين، فحضروا وأرسل يقول لي: «**وكِّلي من يزوِّجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن أبي العاص[(٧)] فوكلته فزوجني**».

وفي رواية: عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: «لما بعث النبي ﷺ كتابه إلى النجاشي[(٨)] أن يزوَّجني له، جاءني النجاشي حتى وقف على باب داري واستأذن،

---

(١) في «الإصابة» (٤/ ٤٢٤).

(٢) في «الثقات» (٢/ ١٣٩): «ماتت أم سلمة سنة تسع وخمسين».

(٣) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٩٦)، و«طبقات خليفة» (٣٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٨)، و«تاريخ خليفة» (٧٩ و٨٦)، و«المعارف» (١٣٦ و٣٤٤)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣١٨)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ (٥٩)، و«تسميةُ أزواج النبي ﷺ» (٣٣)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١١١)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٤ ـ ٤٥).

(٤) في مطبوع «كشف الغمة» بدون: «أم حبيبة».

(٥) انظر: «المستدرك» (٤/ ٢٠)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ٩٧)، «الاستيعاب» (٤/ ١٨٤٤ ـ ١٨٤٥، ١٩٢٩)، «سيرة ابن هشام» (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٦) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «تلك الرؤية».

(٧) انظر الخلاف في هذا: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦/ ٣٢١٦).

(٨) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنه».

فأذنت له[1]، فأخبرني بذلك فقلت له: بشرك الله بخير، فقالت لي أبرهةُ ـ جاريةُ النجاشي التي كانت تقوم على طيبه ودهنه ـ يقول لك الملك: «**وكِّلي مَنْ يزوجك**»، فوكلت فقام النجاشي فخطب، فقال: الحمد لله، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار. أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسله، أرسله بالهدى، ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبت إلىٰ ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها بأربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، ثم خطب الوكيل، وقال: قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ[2]، وقبض الدنانير، فلما وصل إليَّ المال، أرسلتُ إلى جارية أبرهة[3] التي كانت بشَّرتني بكتاب رسول الله ﷺ فقلت لها: إنِّي كنت أعطيتك[4]، يومئذ ما أعطيتُك، ولا مال لي، فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فأبت، وأخرجت لي حقاً فيه كلما كنت أعطيتها وردته عليَّ، وقالت: عزم عليَّ الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وقد تبعتُ دين محمد، وأسلمت لله رب العالمين، قالت أم حبيبة[5]: ولما قبض خالد المال أراد القوم أن يقوموا. فقال النجاشي: اجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا، ثم تفرقوا، ثم أمر النجاشي[6] نساءه أن يبعثن إليَّ بكل ما عندهن[7] من أنواع العطر، فأرسلن إليَّ الورس والعود والعنبر والزَّباد[8] مع جارية النجاشي فأعطتني ذلك، ثم بكت وقالت: أقرئي رسول الله ﷺ مني السلام إذا قدمت عليه، وما زالت تتردد إليَّ بأنواع الهدايا، وتقول: لا تنسي حاجتي، قالت أم حبيبة[9]: فلما[10] قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف

---

(١) في مطبوع «كشف الغمة»: «واستأذنت له»!

(٢) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله ﷺ».

(٣) في مطبوع «كشف الغمة»: «إلى أبرهة التي».

(٤) في مطبوع «كشف الغمة»: «إني أعطيتك».

(٥) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنها». (٦) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنه».

(٧) في مطبوع «كشف الغمة»: «عندهم».

(٨) الزَّباد ـ بفتح أوله ـ: نوع من الطيب. (منه).

(٩) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رضي الله عنها».

(١٠) في مطبوع «كشف الغمة»: «ولما».

كانت الخطبة، فتبسم رسول الله ﷺ وأقرأته سلام الجارية، فقال: «**وعليها السلام ورحمة الله وبركاته**»[(١)].

قال أنس[(٢)]: وكانت أم حبيبة[(٣)] تقول: «سَألت رسول الله ﷺ عن المرأة يكون لها زوجان، ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون للأول أو للآخر؟ فقال: «**تخير أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا، يكون زوجها في الجنة**»[(٤)].

قال عبد الله بن مسعود[(٥)]: «وكانت أم حبيبة[(٦)] كلما يدخل عليها أبو سفيان بن حرب ـ أبوها ـ تطوي فراش رسول الله ﷺ دونه، فإذا سألها عنه تقول له: أنت امرؤ نجس مشرك»[(٧)] وذلك قبل إسلامه، وقد أسلم يوم فتح مكة ﷺ.

وكانت عائشة[(٨)] تقول: «لما قربت وفاة أم حبيبة دعتني، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من[(٩)] ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز عنك، فقالت: سرَّيتني[(١٠)] سرك الله، ثم أرسلت إلى أم

(١) أخرجه مختصراً: الزبير بن بكار في «المنتخب من كتاب أَزواج النبي ﷺ» (ص٥٠ و٥١ ـ ط الرسالة)، وابن سعد (٨/ ٩٧) والحاكم (٤/ ٢٠، ٢١) ووقع نحوه لسودة. انظر: «طبقات بن سعد (٨/ ٥٦، ٥٧) وكتابي «المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات» (ص٣٩٠، ٣٩١)، ففيه التفصيل، والحمد لله وحده.

(٢) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنه». (٣) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنها».

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/رقم ٤١١)، والبزار (١٩٨٠ ـ زوائده)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤٥)، وابن عساكر (٥/ ٣٧١) من حديث أم حبيبة، **وإسناده ضعيف جداً**، فيه عبيد بن إسحاق العطار متروك. انظر: «المجمع» (٨/ ٢٤)، وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣١٤١)، وفي «الكبير» (٢٣/ رقم ٨٧٠)، وابن جرير في «التفسير» (٢٣/ ٥٧)، وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعّفه أبو حاتم وابن عدي. انظر: «المجمع» (٧/ ١١٩).

(٥) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنه». (٦) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنها».

(٧) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٩٩ ـ ١٠٠) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١٥٠)، والذهبي في «السير» (٣/ ٣٥٣، ط. الفكر) من طريق الواقدي، وانظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٤، ط. دار الكتب العلمية)، «ثقات ابن حبان» (٢/ ٣٨)، و«تاريخ الإسلام» (١/ ٣٠٦).

(٨) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها «رضي الله عنها». (٩) سقطت من الأصل.

(١٠) كذا في «كشف الغمة»، وفي الأصل: «سررتني»!

سلمة، فقالت لها مثل ذلك»[١]، رضي الله عنهن أجمعين، توفيت سنة أربع وأربعين في أيام معاوية، رضوان الله عليها»[٢].

السابعة: جويرية بنت الحارث المصطلقية[٣] رضي الله عنها:

توفيت سنة ست وخمسين من الهجرة، وهي بنت خمس وستين سنة[٤]، قالت عائشة[٥]: «لما أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتُ دخولها على النبي ﷺ، وعلمتُ أنه سيرى منها مثل الذي رأيت؛ فكلَّمته، فقال رسول الله ﷺ: **«أو نفعل بك خيراً من ذلك»** قالت: وما هو؟ قال: **«أؤدِّي عنك كتابتك؛ وأتزوَّجك»** قالت: نعم يا رسول الله، قال: **«قد فعلت»** ثم خرج الخبر إلى الناس، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ! فأعتقوا يا ناس ما في أيديكم من نساء بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها»[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ٢٤)، وابن سعد (٨/ ١٠٠) ـ ومن طريقه ابن عساكر (٦٩/ ١٥١ ـ ١٥٢) ـ **وإسناده فيه لين**.

(٢) انظر: «كشف الغمة» (١١٢ ـ ١١٤).

(٣) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١١٦)، و«طبقات خليفة» (٣٤٢)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٢٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦١)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (٥٣)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» (٣٢)، «والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١٣٥)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٣).

(٤) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنها».

(٥) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رضي الله عنها».

(٦) أخرجه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص٢٦٣) ـ وهو في «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) ـ، وابن راهويه (٧٢٥)، والواقدي في «المغازي» (١/ ٤١١)، وابن سعد (٨/ ١١٦)، وأحمد (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود (٣٩٣١)، وابن الجارود (٧٠٥)، وأبو يعلى (٤٩٦٣)، وابن جرير في «التاريخ» (٢/ ٦١٠)، والطحاوي (٣/ ٢١)، وفي «المشكل» (٤٧٤٨)، وابن حبان (٤٠٥٤، ٤٠٥٥)، والطبراني (٢٤/رقم ١٥٩)، والحاكم (٤/ ٢٦ ـ ٢٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٤٩ ـ ٥٠)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/رقم ٧٤٣٩)، **وإسناده حسن**، وما سبق من «كشف الغمة» (١١٤).

الثامنة: سودة بنت زمعة القرشية العامرية[١] رضي الله عنها:

قالت عائشة[٢]: «لما أسنَّت سودة هَمَّ رسول الله ﷺ بطلاقها، فقالت: يا رسول! سألتُكَ الله لا تطلّقني، وأنت في حلٍّ من شأني، وإنما أريد أن أحشر في أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، فأمسكها رسول الله ﷺ حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه»[٣].

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: «توفيت في آخر زمان عمرَ، وقيل: سنة أربع وخمسين، ورجحه الواقدي»[٤].

التاسعة: زينب بنت جحش الأسدية[٥] رضي الله عنها ابنة عمة النبي ﷺ:

هذه ترجمتها أنقلها من «الإصابة» للحافظ ابن حجر:

«زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، نسبها في ترجمة أخيها عبد الله، وأمها أمية عمة النبي ﷺ تزوجها النبي ﷺ، سنة ثلاث، وقيل: خمس[٦]، ونزلت بسببها آية الحجاب[٧]، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة

---

(١) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٥٢ ـ ٥٨)، و«طبقات خليفة» (٣٣٥)، و«أزواج النبي ﷺ» (٢٥)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١١٧)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٠).

(٢) بعدها في مطبوع «كشف الغمة»: «رضي الله عنها».

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧٦)، والبخاري كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها (٢٥٩٣)، وكتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرَّتها (٥٢١٢)، ومسلم في «صحيحه» كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرَّتها (١٤٦٣) وغيرهم، وما سبق من «كشف الغمة» (١١٤).

(٤) انظر: «الإصابة» (٤/ ٣٣٩).

(٥) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠١ و١١٥)، و«طبقات خليفة» (٣٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١١)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (٥٧)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» (٣١)، و«السمط الثمين» (١٢٢)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٣ ـ ٤٤).

(٦) في مطبوع «الإصابة»: «سنة خمس».

(٧) في قصة تراها في «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب قوله ﷺ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ...﴾ (٤٧٩٣)، و«صحيح مسلم» كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (١٤٢٨).

وفيها نزلت(١) ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وكان زيد يدعى ابن محمد فلما نزلت ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، وتزوج النبي ﷺ امرأته بعدما(٢) انتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه: من أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه، بحيث يتوارثان إلى غير ذلك، وقد وصفت عائشة زينب بالوصف الجميل في قصة الإفك، وأن الله عصمها بالورع، قالت: «وهي التي تُسَامِيني من أزواج النبي ﷺ»(٣)، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ بأنها بنت عمته، وبأن الله زوَّجها له، وهن زوجهن أولياؤهن.

وفي خبر تزويجها عند ابن سعد من(٤) طريق الواقدي بسند مرسل: «فبينا رسول الله ﷺ يتحدث عند عائشة إذ أخذته غشية، فسرِّي عنه وهو يتبسم، ويقول: «**من يذهب إلى زينب يبشّرها؟**» وتلا: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآية، قالت عائشة: فأخذني ما قَرُب وما بَعُد؛ لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم وأشرف ما صنع لها، زوجها الله من السماء، وقلت: هي تفخر علينا بهذا(٥). وبسند ضعيف عن ابن عباس لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله ﷺ لها سجدت(٦).

ومن طريق عبد الواحد بن أبي عون قالت زينب: يا رسول الله! إني والله ما أنا كإحدى نسائك، ليست امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيري زوَّجنيك الله من السماء(٧).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ (٤٧٨٧).

(٢) في مطبوع «الإصابة»: «بعده».

(٣) قطعة من آخر حديث الإفك الطويل، أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب حديث الإفك (٤١٤١)، ومسلم كتاب التوبة، باب في حديث الإفك (٢٧٧٠).

(٤) في الأصل: «بن» وهو خطأ، والتصويب من «الإصابة».

(٥) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٠٢)، **وفي إسناده الواقدي وهو متروك**، وثبت ما ورد في آخره، كما سيأتي قريباً.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٠ و٦/ ٤٥٣)، وابن سعد (٨/ ١٠٢)، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو متّهم بالكذب.

(٧) أخرج البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (٧٤٢٠) من حديث أنس، وفيه: «فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجكنّ أهاليكن، وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات».
والللفظ المذكور لابن سعد (٨/ ١٠٢) قال: أخبرنا محمد بن عمر ـ وهو الواقدي ـ =

ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدي: إنها ذكرت زينب فترحمت عليها وذكرت ما كان يكون بينها وبين عائشة، فذكرت نحو هذا، قالت أم سلمة: وكانت لرسول الله ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة صوامة قوامة صناعاً، تصدق بذلك كله على المساكين[١].

وذكر أبو عمر[٢] كان اسمها برة، فلما دخلت على رسول الله ﷺ سماها زينب[٣]، قال الواقدي: ماتت سنة عشرين، وأخرج الطبراني من طريق الشعبي أن عبد الرحمٰن بن أبزى أخبره: أنه صلى مع عمر على زينب بنت جحش، وكانت أول نساء النبي ﷺ ماتت بعده[٤]، وفي «الصحيحين» ـ واللفظ لمسلم ـ من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً»**، قال: فكنَّ يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: وكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصَدَّق[٥].

ومن طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة نحو المرفوع، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذٍ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله[٦].

= حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون قال: قالت زينب... وذكره.
وله ألفاظ سبقت في تقرير المصنف لعلو الله على خلقه ﷻ.

(١) مضى تخريجه، وانظر: «المستدرك» (٤/ ٢٥)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠٦)، «الحلية» (٢/ ٥٢)، «إثبات العلو» لابن قدامة» (٣١).

(٢) في «الاستيعاب» (ص٩٠٦ ـ ط. دار الأعلام).

(٣) ثبت ذلك عند البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (٢١٤١).

(٤) أخرجه الطبراني (٢٤/ ٥٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٨٥) وغيرهما من غير الطريق المذكور، وعزوه للطبراني من طريق الشعبي به خطأ، وهو عند ابن سعد (٨/ ١١٠، ١١١) من هذا الطريق.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب منه (١٤٢٠)، ومسلم ـ واللفظ له ـ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين ﵄ (٢٤٥٢) من حديث عائشة.

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٥)، والطبراني (٢٤/رقم ١٣٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٨٦)، وابن سعد (٨/ ١٠٨)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/رقم ٧٤٢١) من طريق يحيى بن سعيد به، **وإسناده صحيح على شرط مسلم**، وأصله في «الصحيحين» كما =

وروينا في «القطعيات»[(١)] من طريق شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد عن ميمونة بنت الحارث قالت: «كان رسول الله ﷺ يقسم مما[(٢)] أفاء الله عليه في رهط من المهاجرين، فتكلمت زينب بنت جحش، فانتهرها عمر، فقال رسول الله ﷺ: **«خلِّ عنها يا عمر؛ فإنها أواهة»**[(٣)]، وأخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي عن القاسم بن محمد قال: قالت زينب حين حضرتها الوفاة: «إني قد أعددت كفني، وإن عمر سيبعث إليَّ بكفن، فتصدَّقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي[(٤)] فافعلوا»[(٥)]، ومن وجه آخر عن عمرة قالت: «بعث عمر بخمسة أثواب، يتخيّرها[(٦)]. ثوباً ثوباً من الحراني، فكفنت منها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذي كانت أعدته، قالت عمرة: فسمعت عائشة تقول: لقد

= تقدم، وأخرجه ابن حبان (٣٣١٤، ٦٦٦٥)، وانظر: «إتحاف المهرة» (١٧/ ٧٦٩، ٧١٩).

(١) كذا في الأصل بناءً على ما في «كشف الغمة»! وهو خطأ، صوابه «القطيعيات» نسبة لأحمد بن جعفر القطيعي (ت٣٦٨هـ)، واسم كتابه «الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان» المعروف بـ«جزء الألف دينار»، وطبع عن القسم المحفوظ من الظاهرية عن دار النفائس بالكويت بتحقيق أخينا البحاثة بدر البدر ـ حفظه الله ورعاه ـ والمثبت على طُرَّةِ المطبوع ما نصه:

«جزء الألف دينار وهو (الخامس)! من الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان» بينما المثبت على مصورة المخطوط المرفق به (ص١٥):

«وهو الأول» بدل «وهو الخامس»، ووجدته معدلاً بخط محققه في نسخة من المطبوع أهداها لشيخنا الألباني على الجادّة، وعليها بعض الاستدراكات الحسنة بخطه.

والحديث المذكور هنا، ليس في هذا القسم، وإنما في المفقود، ولا قوة إلا بالله.

(٢) في الأصل: «ما»! والمثبت في «الإصابة».

(٣) أخرجه بنحوه الطبراني (٢٤/رقم ١٠٨) **بسندٍ ضعيف** عن راشد بن سعد قال: دخل النبي ﷺ منزله ومعه عمر بن الخطاب، فإذا هو بزينب بنت جحش تصلي، وهي في صلاتها تدعو، فقال النبي ﷺ: **«إنها لأوّاهة»**، فإسناده منقطع، وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف، وانظر: «المجمع» (٩/ ٢٤٨).

وفي إسناد «القطيعيات»: شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وظفرت به من طريق شهر عند أبي نعيم في «المعرفة» (٦/ رقم ٧٤٢٤).

(٤) الحقو: الإزار. (منه).

(٥) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٠٩)، **وإسناده ضعيف جداً.**

(٦) كذا مطبوع «طبقات ابن سعد»: «يتخيّرها»، وهو الصواب، وفي الأصل: «بخرها».

ذهبت حميدة متعبدة، مفزع اليتامى والأرامل[١].

وأخرج بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب: «كان عطاء زينب بنت جحش اثني عشر ألفاً، لم تأخذه إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر، فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها وأرسل بالسلام، وقال: بلغني ما فرَّقتِ، فأرسل بألف درهم تستبقيها، فسلكت به ذلك المسلك»[٢].

قال الواقدي: تزوجها النبي ﷺ، وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وماتت سنة عشرين، وهي بنت خمسين، ونقل عن عمر بن عثمان الحجبي أنها عاشت ثلاثاً وخمسين»[٣].

العاشرة: صفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية[٤] رضي الله عنها:

كانت تحت سلام بن مِشْكَم، ثم خلَّف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي، فأخذها دحية، ثم استعادها النبي ﷺ، فأعتقها وتزوجها[٥].

قال محمد تقي الدين: تفصيل ذلك ـ كما في الأحاديث الصحيحة ـ أن دحية الكلبي ـ وهو تاجر مشهور ـ جاء إلى النبي ﷺ بعدما نصره الله على يهود خيبر، وفتحها عنوة ـ أي: بالسيف لا بالصُّلح ـ جاءه دحية الكلبي، فقال: يا رسول الله أعطني جارية، فقال: اذهب إلى السبي وخذ جارية، فذهب واختار

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠٩، ١١٠)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦/ رقم ٧٤٢٥).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١١٠)، وفيه الواقدي.

(٣) انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

(٤) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٢٠)، و«تاريخ خليفة» (٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٣١)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١٣٨)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (٥٨)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» (٣٥)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٥).

(٥) انظر: «الآحاد والمثاني» (٣١١٠)، و«المعجم الكبير» (٢٤/ رقم ١٧٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦/ ٧٤٤٣، ٧٤٤٤).

صفية، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنها زوجة أميرهم ولا تصلح إلا لك ـ ومقصوده: أن النبي ﷺ سيكرمها، وأن ذلك التاجر ربما باعها، فلا تزال تتنقل من يد إلى يد وفي ذلك إهانة لها، ونزول من أشرف المنازل إلى أخسها وأحقرها؛ وفي الخبر: «ارحموا عزيز قوم ذل»[١] ـ فقال لدحية: **«دعها، وخذ غيرها»**، فبعث إليها بلالاً، فجاء بها ومعها ابنة عم لها، ومر بهما على قتلى يهود، فلطمت ابنة عمها وجهها وحثت التراب على رأسها ووجهها.

أما صفية، فكانت عاقلة رزينة، فلم تفعل شيئاً من ذلك، فوصلتا إلى النبي ﷺ وابنة عمها لا تزال تلطم وتصيح فقال لبلال: **«ماذا صنعت أنزعت الرحمة من قلبك؟»** وقال النبي ﷺ لمن عنده: **«أبعدوا عني هذه الشيطانة»**[٢]؛ يعني: ابنة عمها. كانت صفية رأت فيما يرى النائم أن القمر نزل من السماء فوقع في حجرها، فقصت الرؤيا على زوجها، فلطمها لطمة شديد ظهر أثرها في خدها، وفي عينها، وقال لها: أتتمنين مَلِكَ الحجاز ـ يعني: محمداً ﷺ ـ فلما رآها النبي ﷺ سألها عن ذلك الأثر، فأخبرته ولم يخرج النبي ﷺ من خيبر حتى طهرت صفية، ولما أراد النبي ﷺ أن يركب راحلته وضع ركبته على الراحلة، وأمر صفية أن تطأ على فخذه لتركب خلفه، فلم تشأ أن تضع قدمها على فخذ النبي إجلالاً وتعظيماً له، فوضعت ركبتها على فخذه وركبت، وقال بعض الصحابة لبعض: ما تظنون أن يفعل بها النبي ﷺ، أيتخذها سَرِيَّة أم يتزوج بها؟ فتكون من أمهات المؤمنين، فقال بعضهم: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي سرية، فلما ركب النبي ﷺ وهي خلفه ألقى عليها ثوبه؛ فظهر أنها من أمهات المؤمنين[٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٨)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٥/ ٢٠٩٩/ ٣٣٠٩): «رواه ابن حبان في «الضعفاء» من رواية عيسى بن طهمان عن أنس. وعيسى ضعيف. ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال: «عالم يتلاعبُ به الصبيان»، وفيه أبو البختري واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين»، وانظر: «كنز العمال» (١٥/ رقم ٤٣٢٩٩)، و«كشف الخفاء» (١/ ١٢٤)، و«الفوائد المجموعة» (٢٧٨)، وأخرجه البيهقي في «المدخل» رقم (٦٩٩) من كلام الفضيل بن عياض، وهو أشبه.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٧، ط. مكتبة المعارف)، «وتاريخ الطبري» (٢/ ٣٧، ط. دار الكتب العلمية).

(٣) قصة زواج النبي ﷺ من صفية مطولة عند: مسلم في «صحيحه» كتاب النكاح، باب =

قال الحافظ في «الإصابة»: «فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يُعرِّس بها، فأبتْ عليه، فوجَدَ في نفسه؛ فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خيبر نزل بها هناك، فمشطتها أم سُلَيم وعطّرتها، قالت أم سنان الأسلمية: وكانت من أضوء ما يكون من النساء، فدخل على أهله، فلما أصبح سألنها عما قال لها، فقالت: قال لي: **«ما حملك على الامتناع من النزول أولاً؟»** فقلت: خشيتُ عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده محبة(١).

وعن عائشة: إن رسول الله ﷺ كان في سفر، فاعتلَّ بعير لصفية، وفي إبل زينب بنت جحش فضل، فقال لها: **«إن بعيراً لصفية اعتل، فلو أعطيتها بعيراً»** فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية، فتركها رسول الله ﷺ ذا الحجة والمحرم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها، قالت زينب: حتى يئست منه»(٢). اهـ.

قال محمد تقي الدين: وهذا العقاب الذي عاقب به النبي ﷺ زوجته وابنة عمته زينب، هو من عدله ومكارم أخلاقه عليه الصلاة والسلام.

وفي «الصحيح»: إن بعض أزواج النبي ﷺ قلن لصفية: ما أنت إلا يهودية، فأخبرت النبي ﷺ فقال لها: **«هلا قُلتِ لهنَّ: أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي**

= فضيلة إعتاقه أَمَته ثم يتزوجها (١٣٦٥)، وأما قصة رؤيتها أن القمر نزل فوقع في حجرها ولطم زوجها لها، فقد أخرجها ابن سعد (٨/ ١٢٠ ـ ١٢١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣١١٢، ٣١١٣)، وابن راهويه (٢٠٨٦)، والطبراني (٢٤/رقم ١٧٦، ١٧٧)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/رقم ٧٤٤٥، ٧٤٤٦) وقال عنها الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٥١): «رجاله رجال الصحيح»، وانظر: «المطالب العالية» (٣/ ٤١)، وكتابي «المقدمات الممهدات السلفيات» (١٩٩ ـ ٢٠٠).

وأما قصة ابنة عمها ولطمها وجهها، وفيها قوله ﷺ: **«أبعدوا عني هذه الشيطانة»**، فنقلها ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٣٩) عن ابن إسحاق ـ من «زيادات يونس بن بكير» ـ قال: حدثني والدي إسحاق بالخبر جميعه، وهو **معضل**، ولم أقف عليه موصولاً.

(١) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢١ ـ ١٢٢) من طريق الواقدي، وهو متروك، وانظر: «الإصابة» (٧/ ٧٣٩، ط. الجيل).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٣١ و٢٦١)، وابن راهويه (١٤٠٩)، وابن ماجه (١٩٧٣)، وابن سعد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، والطبراني (٢٤/رقم ١٨٧)، وفي «الأوسط» (٢٦٢٩) ـ وبعضهم اختصره ـ وفي إسناده شُمَية، وسماها حماد بن سلمة مرة (سمية) وهي مجهولة، **فإسناده ضعيف**، وانظر: «النكت الظراف» (١٢/ ٣٩٣) لابن حجر، وما سبق في «الإصابة» (٧/ ٧٣٨ ـ ٧٤٠، ط. الجيل).

محمد»[١]، فلقّنها النبي ﷺ حجة دامغة؛ لأنها تفتخر بنبيين لا يشاركها فيها أحد من أزواج النبي ﷺ، وهي تشاركهن فيه، فشتان ما بينها وبينهن.

وعن عطاء بن يسار قال: «لما قدمت صفية من خيبر، أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان فسمع [بها][٢] نساء الأنصار [وبجمالها][٢]، فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة متنقبة [حتى دخلت عليها فعرفها][٢]، فلما خرجت خرج النبي ﷺ إثرها، فقال: **«كيف رأيتها يا عائشة؟»** قالت: رأيت يهودية! فقال: **«لا تقولي ذلك؛ فإنها أسلمت، وحَسُن إسلامها»**[٣].

وقال أبو عمر بن عبد البر: «كانت صفية عاقلة حليمة فاضلة، روينا أن جارية لها أتت عمر، فقالت: إن صفية تحبُّ السبت، وتَصِلُ اليهود، فبعث إليها فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبت، فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود؛ فإن لي فيهم رَحِماً، فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشَّيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة»[٤].

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم قال: «اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله! لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن، فقال: **«مضمضن»**

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي (٣٨٩٢)، والحاكم (٤/ ٢٩)، والطبراني (٢٤/رقم ١٩٦) من حديث صفية، وفي إسناده هاشم بن سعيد الكوفي، ضعيف، ولذا قال الترمذي عقبه: «وهذا غريب لا نعرفه من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، **وليس إسناده بذلك القوي»**، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٩٦٣).
وقول المصنف: «في «الصحيح». . .» فيه تجوّز؛ نعم، ثبت الحديث بلفظ: **«إنّكِ ابنةُ نبيٍّ، وإنَّ عمَّكِ لنبيٌّ، وإنك لتحت نبيٍّ، ... تفخر عليك»** وقال لحفصة القائلة لها: «ابنةُ يهودي» ـ وليس «ما أنتِ إلا يهودية»! ـ: **«اتّقي الله يا حفصة»**، أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٢١) وعبد بن حميد (١٢٤٨)، وأحمد (٣/ ١٣٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩١٩)، والترمذي (٣٨٩٤)، وأبو يعلى (٣٤٣٧)، وابن حبان (٧٢١١)، والطبراني (٢٤/ رقم ١٨٦)، وأبو نعيم (٢/ ٥٥)، والضياء في «المختارة» (١٧٩٣ ـ ١٧٩٧) من حديث أنس، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، **وإسناده صحيح على شرط الشيخين.**

(٢) سقطت من الأصل، وأثبتها من مصدر التخريج.

(٣) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢٦)، **وإسناده ضعيف جداً**، فيه الواقدي، وهو متروك، وشيخه أسامة بن زيد بن أسلم العدوي، ضعيف من قبل حفظه، وهو من مرسل عطاء.

(٤) ما سبق من «الاستيعاب» (٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) رقم (٣٤٣٩) وعنه في «الإصابة» (٧/ ٧٤١، ط. الجيل).

فقلن: من أي شيء؟ فقال: «**من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة**»(١).

اختلف في سنة وفاتها، والراجح أنها توفيت سنة اثنتين وخمسين، كان عمرها تقريباً اثنتين وستين سنة.

ملحق في فضائل صفية: ذكر الحافظ في «الإصابة» في ترجمة أم سنان الأسلمية أن ابن سعد روى عنها قالت: «كنت فيمن حضر عرس صفية فمشطناها وعطرناها وكانت من أضوء ما يكون من النساء فأعرس بها رسول الله ﷺ فسألناها فذكرت أن سُرَّ بها، ولم ينم تلك الليلة، لم يزل يتحدث معها، وأصبح فأولم عليها»(٢).

الحادية عشرة: زينب بنت خزيمة الهلالية(٣) رضي الله عنها:

قال الحافظ في «الإصابة»: «أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وكانت يقال لها: أم المساكين، لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأُحد فتزوجها النبي ﷺ، وكان دخوله بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر، ثم لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، وماتت(٤).

قال ابن الأثير: «ذكر ذلك ابن منده في ترجمتها حديث: «**أولكن لحاقاً بي أطولكن يداً**»(٥) الحديث، وقد تقدم في ترجمة (زينب بنت جحش) وهو بها أليق؛ لأن المراد بلحوقهن به: موتهن بعده، وهذه ماتت في حياته»(٦).اهـ.

قال محمد تقي الدين: فجملة النساء اللاتي تزوج بهن النبي ﷺ ودخل بهن وصرن أمهات المؤمنين إحدى عشرة امرأة، اثنتان ماتتا قبله ـ وهما: خديجة وزينب بنت خزيمة ـ وتسع عشن بعده صلاة الله وسلامه عليه.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٢/ ٢١٣) و(٨/ ١٢٨)، **وحسن** إسناده ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٤١، ط. الجيل)، **وهو من مرسل** زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢٢) **بسندٍ ضعيف**، وانظر: «الإصابة» (٤/ ٤٦٣).

(٣) انظر ترجمتها في: «الإصابة» (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦، أو ٨/ ٦٧٢، ط. الجيل)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ١١٥)، «الآحاد والمثاني» (٥/ ٤٣١)، «أسد الغابة» (٧/ ١٢٩)، «السير» (٢/ ٢١٨).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٩٥)، والطبراني (٢٤/ رقم ١٤٨)، والحاكم (٤/ ٣٣) عن الزهري، ورجاله ثقات، وبنحوه عند الحاكم عن قتادة.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر: «أسد الغابة» (٧/ ١٢٩)، «الإصابة» (٤/ ٣١٥).

أسماء الله الحسنى

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الآية [١٨٠] من سورة الأعراف: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**»[١]، أخرجاه في «الصحيحين» ورواه البخاري وأخرجه الترمذي عن شعيب.. فذكر بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «**يحب الوتر**»: «**هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت**[٢]**، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك، الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور**»، ثم قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث»[٣]. ورواه ابن حبان في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة (٦٤١٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل مَن أحصاها برقم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة، والترمذيُّ برقم (٣٥٠٨).

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المقيت، الحسيب، الجليل».

(٣) سبق كلامه، وبيان أن الأسماء المذكورة مدرجة في الحديث. انظر لزاماً تعليقنا على (٢/ ٣٩ ـ ٤٥)، فهناك التفصيل.

«صحيحه»[١] من طريق صفوان به.

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير[٢] منحصرة في تسعة وتسعين[٣]، بدليل ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك وابن أَمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجِلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً**»، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: «**بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**»[٤].

فصل في شرح هذا الأسماء المباركة

قال المحقق أحد أئمة المحدثين في هذا العصر الأخير محمد صديق حسن القنوجي في أول تفسيره المسمى «فتح البيان» في شرح اسم الجلالة وبيان معناه:

١ ـ الله: «علم عربي مرتجل جامد عند الأكثر، خاص لذات الواجب الوجود، تفرد به الباري سبحانه، لم يطلق على غيره، ولا يشركه فيه أحد»[٥].

قال محمد تقي الدين: وهذا هو الصحيح خلافاً لمن قال: إنه مشتق؛ لأنه اسم الله سبحانه مع اختلاف قليل في اللفظ في جميع أخوات اللغة العربية، كالعبرانية والسريانية والآشورية وغيرهن.

٢، ٣ ـ الرحمٰن: «من الصفات[٦] لم يستعمل لغير الله[٧] ﷻ، قال[٨]

(١) برقم (٨٠٨ ـ «الإحسان») ولأبي نعيم جزء مفرد في طرقه، وهو مطبوع ـ ولله الحمد ـ بتحقيقي، وجهدتُ في تخريجه وحصر طرقه، ولابن حجر مجلس مفرد في تخريج الحديث المفصل، وتتبع الأسماء الواردة فيه، على وجه حسن، وهو منشور بتحقيقي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ليست».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «التسعة والتسعين».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وسبق تخريجه مفصلاً، وما سبق من «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٦٠ ـ ٤٦٤).

(٥) انظر: «فتح البيان» (١/ ٣٣).

(٦) في مطبوع «فتح البيان»: «الصفات الغالبة».

(٧) في مطبوع «فتح البيان»: «في غير الله». (٨) في مطبوع «فتح البيان»: «وقال».

أبو علي الفارسي: الرحمٰن اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله تعالى، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ إنما هو في جهة المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وعن ابن عباس قال: هما اسمان، أحدهما أرق من الآخر. وقيل: معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيد، وقيل غير ذلك، والأول أولى، وفي الرحمٰن من المبالغة ما ليس في الرحيم»[١].

قال ابن الأثير في «النهاية»: «في أسماء الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل: ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم، والرحمٰن خاص لله لا يسمى به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمٰن»[٢].

٤ ـ مالك: ثم قال القنوجي: «قد اختلف العلماء أيهما أبلغ[٣] «ملك» أو «مالك»، والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ[٤] وأبي بكر وعمر، وذكرهما الترمذي، فذهب إلى الأول: أبو عبيد والمبرد ورجحه الزمخشري، وإلى الثاني: أبو حاتم والقاضي أبو بكر ابن العربي، والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له، بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فأحدهما أقوى من الآخر في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله»[٥].

٥ ـ القدوس: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «القدوس» هو الطاهر المنزه عن العيوب، وفعُّول[٦]، من أبنية المبالغة، وقد تفتح القاف، وليس بالكثير، ولم يجئ منه إلا قَدُّوس، وسَبُّوح، وذَرُّوح»[٧].

٦ ـ السلام: قال: «في أسماء الله تعالى «السلامُ» قيل: مَعناهُ سلامتُه مما

---

(١) انظر: «فتح البيان» (١/ ٣٣ ـ ٣٤).

(٢) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٢١٠) باب الراء مع الحاء تحت مادة «رحم».

(٣) في مطبوع «فتح البيان»: «أيما أبلغ». (٤) في مطبوع «فتح البيان»: «وآله وسلم».

(٥) انظر: «فتح البيان» (١/ ٣٧).

(٦) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «نقول»!!

(٧) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٣) باب القاف مع الدال تحت مادة «قدس».

يلحق الخلَق من العَيب والفَناء، والسلام في الأصل السلامَةُ، يقال: سَلِمَ يسلَم سلامَة وسلاماً. ومنه قيل للجنة: (دار السلام)؛ لأنها دارُ السلامة من الآفات»[(١)].

٧ ـ [**المؤمن**]، قال: «في أسماء الله تعالى (**المؤمن**) هو الذي يصدُق عبادَه وعده، فهو من الإيمان بمعنى[(٢)] التصديق، أو يؤمِّنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان والأمن ضِدُّ الخوف»[(٣)].

قال محمد تقي الدين: الثاني هو الصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ ولقول النبي ﷺ: «**اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**»[(٤)].

٨ ـ **المهيمن**: قال ابن كثير في آخر «سورة الحشر»: «﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: هو[(٥)] الشاهد على خلقه: بمعنى[(٦)] رقيب عليهم»[(٧)]اهـ.

٩ ـ **العزيز**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: هو الغالب القوي الذي لا يغلب، والعزة في الأصل: القوةُ والشدةُ والغلبةُ، تقول: عَزَّ يَعِزُّ بالكسر إذا[(٨)] صار عزيزاً، وعزَّ يَعزُّ بالفتح إذا اشتدَّ»[(٩)].

١٠ ـ **الجبار**: قال: «في أسماء الله تعالى: «الجَبَّار» ومعناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي، يقال: جَبَر الخَلْقَ وأجبرهم، وأجبر أكثرُ، وقيل: هو العالي فوق خلقه، وفَعَّال من أبنيةِ المبالغة، منه قولهم: نخلة جَبَّارة، وهي العظيمة التي تَفُوت يدَ المتناوِل، ومنه حديث أبي هريرة: «يا أَمَةَ

---

(١) انظر: «النهاية» (٢/ ٣٩٢) باب السين مع اللام تحت مادة «سلم».

(٢) في مطبوع «النهاية» بدون: «بمعنى».

(٣) انظر: «النهاية» (١/ ٦٩) تحت مادة «أمن».

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣)، والبزار (٣١١٩ ـ زوائده)، وابن جرير (٢١/ ١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وللحديث شواهد هو بها **صحيح**، وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس وخباب الخزاعي، وقد صححه شيخنا في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٠١٨)، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٩، ١٨٠).

(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي الشاهدُ».

(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بمعنى هو رقيب».

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٥٠٣).

(٨) كذا في مطبوع «النهاية»، وفي الأصل: «ذا»!

(٩) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٨) تحت مادة «عزز».

الجبَّار»[(١)][(٢)].

١١ ـ المتكبر: قال ابن كثير في آخر «سورة الحشر» ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: «أي: الذي لا يليق الجبروت إلا لجلاله[(٣)]، ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدم في «الصحيح»: «**العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**»[(٤)]، الجبار: المصلح أمور خلقه المتصرِّف فيهم بما فيه صلاحهم؛ والمتكبر يعني: عن كل سوء»[(٥)].

١٢، ١٣، ١٤ ـ قال ابن كثير: «﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾، الخلق: التقدير. والبرء[(٦)][(٧)] هوَ تنفيذ وإبرازُ ما قدره وقرره إلى[(٨)] عالم الوجود، والمصور: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها ويختارها، كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الإنفطار: ٨]»[(٩)].

١٥ ـ الغفار: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: (الغفار والغفور) وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغَفْر: التغطية. يقال: غَفَر الله لك غَفْراً وَغُفْرَاناً ومغفرَةً. المَغْفِرَة: إلباسُ الله العفو للمذنبين»[(١٠)].

١٦ ـ القهار: قال: «في أسماء الله تعالى: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ هو الغالب جميع الخلائق. يقال: قَهَره يَقْهَره قَهْراً فهو قَاهِر، وَقَهَّار للمبالَغَة، وقهرت[(١١)] الرجل: إذا وجدته مقهوراً، أو صار أمْره إلى القَهر، وقد تكرر في الحديث»[(١٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (٩٧١) وعبد بن حميد (١٤٦١)، وأبو يعلى (٦٣٨٥، ٦٤٧٩) في «مسانيدهم»، وابن ماجه (٤٠٠٢)، والبيهقي (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) في «سننهما»، وابن خزيمة (١٦٨٢)، وهو **حسن** إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٣٥) تحت مادة «جَبَر».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا تليقُ الجبريةُ إلا له».

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٥٠٣).

(٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «البراء».

(٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو».

(٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى الوجود».

(٩) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٥٠٣) بتصرف.

(١٠) انظر: «النهاية» (٣/ ٣٧٣) تحت مادة «غفر».

(١١) في مطبوع «النهاية»: «أقهرت».

(١٢) انظر: «النهاية» (٤/ ١٢٩) تحت مادة «قهر».

١٧ ـ الوهاب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾ الهِبَة: العَطِيَّةُ الخاليةُ عَنِ الأعواض[(١)] والأغراض، فإذا كَثُرت سُمِّيَ صاحبها وَهَّاباً، وهو من أبنية المُبالغة»[(٢)].

قال محمد تقي الدين: الوهاب الكثير العطاء لخلقه، وهو غني عنهم لا يحتاج إلى عوض ولا مكافأة، وغيره لا يعطى عطاء إلا وهو يريد مكافأة، إما من الله أو من الناس، وعلى هذا لا يستحق أن يسمى في الحقيقة بهذا الاسم إلا الله تعالى.

١٨ ـ الرزاق: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ وهو الذي خلق الأرزَاق وأعْطَى الخلائِق أرزاقها وأوصلها إليهم. وفَعَّال من أبنية المبالغة، والأرزاق نَوْعَان: ظَاهِرَةٌ للأبْدان كالأقْوات؛ وباطِنَةٌ للقُلوبِ والنُّفوس كالمعارف والعُلُوم»[(٣)].

قال محمد تقي الدين: وأهم هذا النوع الهدى والتوفيق إلى العمل الصالح المقبول، فإن الإنسانَ أحوج إلى هداية الله في كل لحظة من لحظات حياته منه إلى الطعام والشرب.

١٩ ـ الفتاح: «في أسماء الله تعالى ﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾ هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وقيل: معناه الحاكم بينهم، يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، والفاتح: الحاكِمُ، والفتَّاح: من أبنية المبالغة»[(٤)].

قال محمد تقي الدين: والدليل على ذلك في معنى الرحمة قوله تعالى في أول «سورة فاطر»: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]، وفي معنى الحكم قوله تعالى في «سورة الأعراف [٨٩]: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

٢٠ ـ العليم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ هو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، وفعيل من أبنية المبالغة»[(٥)].

---

(١) كذا في مطبوع «النهاية»، وفي الأصل: «الأعراض».
(٢) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٣١) تحت مادة «وهب».
(٣) انظر: «النهاية» (٢/ ٢١٩) تحت مادة «رزق».
(٤) انظر: «النهاية» (٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) تحت مادة «فتح».
(٥) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٩٢) تحت مادة «علم».

قال تعالى في «سورة الطلاق»: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٢١ ـ القابض: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «القابض»، هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات، ومنه الحديث: «**يقبض الله الأرض ويقبض السماء**»(١) أي: يجمعها، وَقُبِض المريض إذا تُوُفِّيَ، وإذا أشرف على الموت»(٢).

٢٢ ـ الباسط: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الباسط» هو الذي يَبْسُطِ الرزق لعباده ويُوسّعه عليهم بجوُده ورحمته، ويَبْسُط الأرواحَ في الأجساد عند الحياة»(٣)، قال تعالى في «سورة البقرة» [٢٤٥]: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

٢٣ ـ الخافض: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الخافض» هو الذي يخفض الجبارين والفراعنة، أي: يضعهم ويهينهم، ويخفض كل شيء يريد خفضه، والخفض ضد الرفع، ومنه الحديث: «**إن الله يخفض القسط ويرفعه**»(٤)، **القسط: العدل ينزله إلى الأرض مرة، ويرفعه أخرى**»(٥).

٢٤ ـ الرافع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الرافع» هو الذي يرفع المؤمنين بالإسعاد، وأولياءه بالتقْريب وهو ضد الخفض»(٦).

قال محمد تقي الدين: قال تعالى في «سورة البقرة» [٢٥٣] في شأن الرسل: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ وقال تعالى في «سورة يوسف» [٧٦]: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (٤٨١٢)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر: «النهاية» (٤/ ٦) تحت مادة «قبض».

(٣) انظر: «النهاية» (١/ ١٢٧) تحت مادة «بسط».

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «**إن الله لا ينام**» وفي قوله: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» برقم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٥) انظر: «النهاية» (٢/ ٥٣) تحت مادة «خفض».

(٦) انظر: «النهاية» (٢/ ٢٤٣) تحت مادة «رفع».

٢٥ ـ المعز: قال ابن الأثير: «من أسماء الله تعالى «الْمُعِزّ» وَهُوَ الذي يَهَبُ العزَّ لِمَن يَشاءُ مِنْ عباده»[١].

قال محمد تقي الدين: وقال تعالى في «سورة فاطر» [١٠]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾، قال تعالى في «سورة آل عمران» [٢٦]: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾.

٢٦ ـ المذل: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المذل» هو الذي يُلْحِقُ الذُّلَّ بمن يشاء من عِبادِه، ويَنْفِي عنه أنواع العِزِّ جميعها»[٢].

قال محمد تقي الدين: قال الله تعالى في «سورة المنافقين»: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين: ٨]، وقد صدق الله وعده وأعز المؤمنين في كل زمان ومكان، وأذل المعرضين عن الإسلام الذين أعز الله أسلافهم به وأذلهم بالأعراض عنه، وذلك **مشاهد في هذا الزمان لا يخفي على أحد**.

٢٧ ـ السميع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «السميع»، وهو الذي لا يَعْزُب عن إدراكه مسموع وَإن خفي، فَهُوَ يَسْمَعُ[٣]، وفعيل من أبنية المبالغة.

وفي دعاء الصلاة: «سمع الله لمن حمده» أي: أجابَ من حَمِدَه وتقبله يقال: «اسمع دعائي» أي: أجب؛ لأن غرض السائل الإجابةُ والقبولُ»[٤].

٢٨ ـ البصير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «البصير»، هو الذي يشاهد الأشياء كلَّها ظاهرها وخافيها[٥]، والبصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها نعوت[٦] المبْصَرَات»[٧].

٢٩ ـ الحكم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الحَكَم والحكيم»

---

(١) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٢٨) تحت مادة «عزز».
(٢) انظر: «النهاية» (٢/ ١٦٦) تحت مادة «ذلل».
(٣) في مطبوع «النهاية»: «بغير جارحةٍ».
(٤) انظر: «النهاية» (٢/ ٤٠٠) تحت مادة «سمع».
(٥) في مطبوع «النهاية»: «وخافيها بغير جارحة».
(٦) في مطبوع «النهاية»: «كمال نعوت».
(٧) انظر: «النهاية» (١/ ١٣١) تحت مادة «بصر».

هما بمعنى الحاكم وهو القاضي، (والحكيم: فعيل، بمعنى: الحاكم، وهو القاضي)[١]، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحْكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فَعِيلٌ بمعنى، مُفْعِل، وقيل: الحكيمُ: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال: لمن يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويتقنها: حكيم، ومنه حديث صفة القرآن: «وهو الذكر الحكيم»[٢] أي: الحاكم لكم وعليكم، أو هو المُحْكَمُ الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعِيلُ بمعنى مُفْعَل، أُحْكِمَ فَهُوَ مُحْكَمُ، ومنه حديث ابن عباس: «قرأتُ المحْكَمَ على عهد رسول الله ﷺ»، يريد: المفَصَّلَ من القرآن؛ لأنه لم يُنْسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن مُتشابهاً؛ لأنه أُحْكِمَ بَيَانُه بنفسه ولم يَفْتَقِر إلى غيره»[٣].

٣٠ ـ العدل: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «العَدْل»، هو الذي لا يميل به الهَوَى فيجور في الحُكْم، وهو في الأصل مصدرٌ سُمِّي به فوُضِع مَوْضِعَ العَادِل، وهو أبلغ منه؛ لأنه جُعِلَ المُسمَّى نفسه عدلاً»[٤].

٣١ ـ اللطيف: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «اللطيف» هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وَإيصَالها إلى مَن قدّرها له مِنْ خَلْقه، يُقالُ: لَطَف به وله، بالفتح، يَلْطُف لُطْفاً إذا رَفَق به، فأمَّا لَطُفَ بالفتح[٥] يلطُفُ، فمعناه: صَغُرَ وَدَقَّ»[٦].

٣٢ ـ الخبير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الخبير» هو العالم بما كان وبما يكون، خَبَرت الأمر أخبُره: إذا عرَفته على حقيقته»[٧].

٣٣ ـ الحليم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الحَليمُ» هو الذي

---

(١) هذه الجملة غيرُ موجودة في مطبوع «النهاية».

(٢) أخرجه الترمذيُّ برقم (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٥)، وأحمد (١/ ٩١)، والدارمي (٣٣٣٤، ٣٣٣٥)، والبزار (٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦)، وأبو يعلى (٣٦٧)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٢/ ٣٢٥)، **وإسناده ضعيف مرفوعاً، وقد صح عن عليٍّ قوله**، كما سبق بيانه في التعليق على (٣/ ٩٩).

(٣) انظر: «النهاية» (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) تحت مادة «حكم».

(٤) انظر: «النهاية» (٣/ ١٩٠) تحت مادة «عدل».

(٥) في مطبوع «النهاية»: «بالضم».

(٦) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٥١) تحت مادة «لطف».

(٧) انظر: «النهاية» (٢/ ٦) تحت مادة «خبر».

لا يَسْتَخِفَّه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منتهٍ إليه»[١].

٣٤ ـ العظيم: قال القنوجي: «"العظيم": الكبير الشأن، الجليل القدر، رفيع الذكر، مطاع الأمر».

٣٥ ـ الغفور: بمعنى الغفار، وقد تقدم شرحه.

٣٦ ـ الشكور: قال القنوجي في قوله تعالى في سورة التغابن: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]: «يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة»[٢].

قال محمد تقي الدين: شكر المخلوق أن يكافئه على نعمته عليه بإحسان من قول وعمل بالجوارح وبالقلب، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المُحَجَّبا[٣]

أما شكر الله عبيده، فهو تفضله عليهم بالثواب على طاعتهم، وهو غني عن طاعتهم.

٣٧ ـ العلي: قال ابن الأثير في النهاية: «في أسماء الله تعالى "العَليُّ المُتعالي" فالعَليُّ: الذي ليس فوقه شيء في المرتبة والحكم، فَعِيل بمعنى فَاعل، من علا يعلو، المتعالي[٤]: الذي جَلَّ عن إفك المفتَرين وعَلا شأنه. وقيل: جَلَّ عن كل وصف وثناء، وهو متفاعل من العلو، وقد يكون بمعنى العالي»[٥].

قال محمد تقي الدين: وقد تقدم في (صدر هذا القسم) من «سبيل الرشاد» من أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه الذي هو فوق المخلوقات كلها ما يشفي صدور أهل الحق، ويشوي قلوب المعطلة، كابن عطية الذي يزعم أنه مفسر، وهو مكسِّر جهمي ضال!!.

٣٨ ـ الكبير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى "المُتَكبّر والكبير" أي:

---

(١) انظر: «النهاية» (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) تحت مادة «حلم».

(٢) انظر: «فتح البيان» (٧/ ١١٤).

(٣) ذُكِر دون نسبة في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٣٧٨)، و«طريق الهجرتين» (١/ ٥٠٨)، و«شرح الحكم العطائية» (١/ ٦٥)، و«البداية والنهاية» (١/ ١١٨) و(٧/ ١٦٩).

(٤) في مطبوع «النهاية»: «والمتعالي».

(٥) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) تحت مادة «علا».

العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المُتَعالي عن صفات الخلق»[١].

٣٩ ـ الحفيظ: قال القنوجي في تفسير قوله تعالى في سورة هود: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]: «أي[٢]: رقيب مهيمن عليه، يحفظه من كل شيء»[٣].

٤٠ ـ المقيت: قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]: «مقتدراً، من أقات على الشيء: إذا قدر عليه، قال الشاعر[٤]:

وَذِي ضُغْنٍ كَفَفْتُ الضُّغْنَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتا[٥]

أو شهيداً حافظاً، واشتقاقه من (القوت) فإنه يقوي البدن ويحفظه»[٦].

٤١ ـ الحسيب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الحَسِيب» هو الكافي، فعِيل بمعنى مُفْعِل، من أحْسَبَني الشيءُ: إذا كَفَاني، وأحْسَبْتُهُ وَحَسَّبْتُه بالتّشْديد: أعطَيْتَه ما يُرْضِيه، حتى يقولَ: حَسْبي»[٧].

٤٢ ـ الجليل: قال ابن الأثير: «ومن أسماء الله تعالى «الجَليل»، وهو الموصوف بِنُعُوتِ الجَلال، والحَاوِي جَمِيعَها، هو الجليلُ المُطلَق، وَهُو راجع إلى كمال الصِّفات، كما أنَّ الكبيرَ رَاجعٌ إلى كمال الذات والصفات[٨]»[٩].

٤٣ ـ الكريم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الكريم» هو الجواد المُعْطي الذي لا ينفُد[١٠] عطاؤه، وهو الكريم المُطلَق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشَّرَف والفضائل»[١١].

---

(١) انظر: «النهاية» (٤/ ١٣٩) تحت مادة «كبر».
(٢) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «إلى»!
(٣) انظر: «فتح البيان» (٣/ ٣٢٩).
(٤) كلمة (الشاعر) ساقطة من مطبوع «تفسير البيضاوي».
(٥) قاله أُحَيحَة بن الجلاّح (ت١٢٩ق.هـ)، وعُزي إلى أبي قيس بن رِفاعة. انظر: «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٨٩)، وهو في «إصلاح المنطق» لابن السكيت، ولم ينسبه.
(٦) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ٢٨٨، ط. دار الكتب العلمية).
(٧) انظر: «النهاية» (١/ ٣٨١) تحت مادة «حَسِبَ».
(٨) في مطبوع «النهاية»: «كمال الذات».
(٩) انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) تحت مادة «جَلل».
(١٠) كذا في مطبوع «النهاية»، بالدال المهملة في آخره، وفي الأصل بالذال المعجمة!
(١١) انظر: «النهاية» (٤/ ١٦٦) تحت مادة «كرم».

٤٤ ـ الرقيب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الرقيب»، وهو الحافظُ الذي لا يَغِيب عنه شيءٌ، فعيلٌ بمعنى فاعل»[١].

٤٥ ـ المجيب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المُجيب»، وهو الذي يُقابل الدعاءَ والسؤالَ بالقَبول والعَطاء، وهو اسم فاعلٍ مِن أجابَ يُجيب»[٢].

٤٦ ـ الواسع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الواسع»، هو الذي وَسِعَ غِنَاه كُلَّ فَقير، وَرَحمَتُه كُلَّ شَيءٍ»[٣].

٤٧ ـ الحكيم: تقدم معناه في شرح (الحَكَم).

٤٨ ـ الودود: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الودود»، وهو[٤] فَعُول بمعنى مفعول، من الوُدِّ: المحبَّة، يقال: وَدِدْتُ الرجلَ أَوَدُّه وُدّاً، إذا أحببته، فالله تعالى مَودودٌ، أي: مَحْبوب في قلوب أوليائه، أو هو فَعُول بمعنى فاعل، أي: إنه يحبُّ عباده الصالحين، بمعنى أنه يَرْضَى عنهم»[٥].

قال محمد تقي الدين: كنت أظن أن ابن الأثير سلفي العقيدة بريء من التعطيل والتجهم؛ لأني رأيت المتأخرين من المشتغلين ينقلون من كتابه «شرح غريب الحديث»، **ولما رأيتُ شرحه لأسماء الله الحسنى وجدته من شرار الجهمية المعطلة**، فانظر كيف أنكر محبة الله تعالى لخلقه وفسرها بالرضا[٦]، وغلاة الجهمية ينكرون أيضاً صفة الرضا والسخط، قاتلهم الله ونحن نثبت لله تعالى كلّ ما أثبته لنفسه من الصفات والأسماء بدون تشبيه، بل كما يليق بجلاله سبحانه، لا إله إلا هو.

٤٩ ـ المجيد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المجيدُ والماجد» المَجْد في كلام العرب: الشَّرفُ الواسع، ورجُلٌ ماجِد: مِفْضَال كثير الخير شريف، والمجيد، فعيل منه للمبالغة»[٧].

---

(١) انظر: «النهاية» (٢/ ٢٤٨) تحت مادة «رقب».

(٢) في الأصل: «مجيب»! والمثبت من «النهاية» (١/ ٣١٠) تحت مادة «جوبَ».

(٣) انظر: «النهاية» (٥/ ١٨٤) تحت مادة «وسع».

(٤) في مطبوع «النهاية»: «هو».

(٥) انظر: «النهاية» (٥/ ١٦٥) تحت مادة «ودد».

(٦) انظر ـ لزاما ـ كتابي: «الردود والتعقبات» (ص١٤٣) في رد تأويل صفة المحبة.

(٧) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٩٨) تحت مادة «مجد».

٥٠ ـ **الباعث**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الباعث»، هو الذي يبعث الخلق، أي: يُحْيِيهم بعد الموت يوم القيامة»(١).

٥١ ـ **الشهيد**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الشهيد» هو الذي لا يغيب عنه شيء، والشاهد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعْتُبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرةِ فهو الشَّهيدُ»(٢).

قال محمد تقي الدين: وقد أسندت الشهادة إلى الله تعالى في مواضع من كتابه قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

٥٢ ـ **الحق**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الحقُّ» هو الموجود حقيقة المُتَحقق وجُودُه وإلاهيته، والحقُّ: ضد الباطل»(٣).

٥٣ ـ **الوكيل**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الوكيل» هو القَيِّم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقتُه أنَّه يَسْتَقِلُّ بأمر المَوْكُول إليه»(٤).

٥٤ ـ **القوي**: قال محمد تقي الدين: معناه واضح، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وكل قوي سوى الله فإن الله هو الذي وهبه تلك القوة، وهو في الحقيقة ضعيف، قال الله تعالى في سورة الكهف [٣٩]: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، وقوة الله تعالى من ذاته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

٥٥ ـ **المتين**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المتينُ» هو القويُّ الشديد، الذي لا يَلْحَقُه في أفعاله مَشقَّة، ولا كُلْفَة ولا تَعَب، والمتانة: الشدَّة والقوَّة، فهو من حيث إنه بالِغُ القُدرةِ تامُّها قَوِيٌّ، ومن حيث إنه شديدُ القوَّة مَتين»(٥).

٥٦ ـ **الولي**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الوَلِيّ» هو النَّاصر، وقيل: المُتَولّي لأمور العَالَم والخلائِق القائمُ بها.

---

(١) انظر: «النهاية» (١/ ١٣٨) تحت مادة «بعث».
(٢) انظر: «النهاية» (٢/ ٥١٣) تحت مادة «شهد».
(٣) انظر: «النهاية» (١/ ٤١٣) تحت مادة «حقق».
(٤) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٢١) تحت مادة «وكل».
(٥) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٩٣) تحت مادة «متن».

ومن أسمائه ﷻ: «الوالي» وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرفُ فيها. وكأن الولايةَ تُشْعِرُ بالتَّدبير والقُدرة والفِعْل، وما لم يَجْتَمِع ذلك فيها لم يطلق[١] عليه اسمُ الوالي»[٢].

٥٧ ـ **الحميد**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الحميد» أي: المحمودُ عَلى كل حال، فَعيل بمعنى مفعول، والحمد والشكر مُتَقاربان، والحمد أَعمُّهما؛ لأنك تحمَدُ الإنسان على صِفاته الذَّاتية وعلى عطائه، ولا تَشْكَره على صفاته»[٣].

٥٨ ـ **المحصي**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المحصي» هو الذي أحصى كل شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفُوتُه دقيق منها ولا جليل. والإحصاء: العدُّ والحفظ»[٤].

٥٩ ـ **المبدئ**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المبدئ»، هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال»[٥].

٦٠ ـ **المعيد**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «المُعِيد» هو الذي يعيد الخلقَ بعد الحياة إلى الممات في الدُّنيا، وبعد الممات إلى الحياة يومَ القيامة»[٦].

٦١ ـ **المحيي**: **قال محمد تقي الدين**: المحيي، هو: الذي يهب الحياة لكل حي.

قال الله تعالى في سورة الحج [٦٦]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾، قال البيضاوي في تفسيرها: «﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جماداً عناصر نطفاً[٧] ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاء أجلكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ لجحودٌ لنعم الله مع ظهورها»[٨].

٦٢ ـ **المميت**: يفهم معناه من شرح الذي قبله، والذي بيده الإماتة، قال تعالى في سورة المؤمن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦٨].

---

(١) في مطبوع «النهاية»: «لم ينطلق». (٢) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٢٧) تحت مادة «ولا».
(٣) انظر: «النهاية» (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) تحت مادة «حمد».
(٤) انظر: «النهاية» (١/ ٣٩٧) تحت مادة «حصا».
(٥) انظر: «النهاية» (١/ ١٠٣) تحت مادة «بدا».
(٦) انظر: «النهاية» (٣/ ٣١٦) تحت مادة «عود».
(٧) في مطبوع «تفسير البيضاوي»: «عناصر ونُطفاً».
(٨) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٩٥، ط. دار الكتب العلمية).

٦٣ ـ الحي: قال القاسمي: «الحي» أي: الباقي الذي[1] لا سبيل عليه للفناء.

٦٤ ـ القيوم: الدائم القيام بتدبير الخلق»[2].

٦٥ ـ الواجد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الواجد»، هو الغَنِيُّ الذي لا يفتقر، وقد وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً، أي: استغنى غنًى لا فقرَ بَعْده»[3].

٦٦ ـ الماجد: تقدم معناه في شرح (المجيد).

٦٧، ٦٨ ـ الواحد، الأحد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الواحد» هو الفَرْد الذي لم يَزَل وَحْدَه، ولم يكن معه آخَرُ، قال **الأزهريُّ**: الفرق بين الواحد والأحد، أن الأحَدَ بُنِيَ لِنَفْي ما يُذْكَر مَعه من العَدَد، تقول: ما جاءني أحدٌ، والواحدُ: اسمٌ بُنِيَ لِمُفْتَتَح العدَد، تقول: جاءني واحدٌ من الناس، ولا تقول: جاءني أَحدٌ، فالواحد منفردٌ بالذاتِ، في عدم المِثل والنَّظير، والأَحَدُ مُنْفَرِدٌ بالمعنى.

وقيل: الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يُثنَّى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل، ولا يَجْمَعُ هذين الوصفين إلا اللهُ تعالى»[4].

٦٩ ـ الفرد: قال محمد تقي الدين: «الفرد» هو الذي تفرد بصفات الكمال لا يشاركه فيها أحد، وهو بمعنى الواحد والأحد[5].

٧٠ ـ الصمد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الصَّمد» هو السيِّد الذي انتهى إليه السُّؤدَد، وقيل: هو الدائمُ الباقي[6]، وقيل: الذي يُصْمَدُ في الحوائج إليه؛ أي يُقصد»[7].

٧١، ٧٢ ـ القادر، والمقتدر، والقدير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «القادِر، والمقتدِر والقَدِير» فالقادر اسم فاعل، مِنْ قَدَرَ يَقْدِرُ، والقَدِير:

---

(١) من مطبوع «تفسير القاسمي»، وسقط من الأصل.
(٢) انظر: «تفسير القاسمي» (٣/ ٣١٨) وفيه بعد كلمة (الخلق): «وحفظه».
(٣) انظر: «النهاية» (٥/ ١٥٥) تحت مادة «وجد».
(٤) انظر: «النهاية» (٥/ ١٥٩) تحت مادة «وحد».
(٥) لم يثبت، ولم يرد إلا في السياق المدرج، وعند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١١٦ ـ ١١٧): «أشهد أنك فرد أحد صمد» **وإسناده ضعيف**.
(٦) في مطبوع «النهاية»: «الباقي، وقيل: هو الذي لا جوف له، وقيل: الذي يُصمد...».
(٧) انظر: «النهاية» (٣/ ٥٢) تحت مادة «صمد».

فَعيل منه، وهو للمبالغة والمقْتدر: مُفْتَعِل من اقْتَدَر، وَهُوَ أَبْلَغ»[١].

قال محمد تقي الدين: هذه الأسماء الثلاثة تدل على ما ذكره ابن الأثير، وتدل على أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وقدرته من ذاته وقدرة غيره منه سبحانه.

٧٣ ـ المقدم: قال ابن الأثير: ««المُقَدِّم» هو الذي يُقَدِّمُ الأشياءَ ويَضَعها في مواضِعِها، فمن استحقَّ التقديمَ قَدَّمه»[٢].

٧٤ ـ المؤخر: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الآخر والمؤخر» فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كله ناطِقه وصامِتِه، والمؤخِّرُ هو الذي يُؤَخِّرُ الأشياءَ فيضَعُها في مَوَاضعها، وهو ضد المقدِّم»[٣].

٧٥ ـ الأول: قال القاسمي في تفسير أول سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾: «أي: السابق على كل موجود، من حيث إنه موجده[٤] ومحدثه»[٥].

٧٦ ـ الآخر: قال القاسمي: ««الآخر» أي: الباقي بعد فناء كل شيء».

وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «**اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، خالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس[٦] دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر**»[٧]. رواه مسلم»[٨].

٧٧ ـ الظاهر: قال القاسمي في «تفسيره»: ««والظاهر» أي: وجوده بالأدلة

---

(١) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٢) تحت مادة «قدر».
(٢) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٥) تحت مادة «قدم».
(٣) انظر: «النهاية» (١/ ٢٩) تحت مادة «أخر».
(٤) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «موجودة».
(٥) انظر: «تفسير القاسمي» (١٦/ ٣١).
(٦) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «ليس».
(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨١ و٥٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٨) انظر: «تفسير القاسمي» (١٦/ ٣١ ـ ٣٢).

الدالة عليه، وقال ابن جرير: أي: الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوقَ كل شيء فلا شيء أعلى منه»[١].

٧٨ ـ **الباطن**: قال القاسمي في «تفسيره»: ««والباطن» أي: باحتجابه بذاته وماهيته، أو العالم بباطن كل شيء، قال ابن جرير: أي: الباطن جميعَ الأشياء، فلا شيء أقرب[٢] منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]»[٣].

٧٩ ـ **الوالي**: تقدم معناه في شرح (الولي).

٨٠ ـ **المتعالي**: تقدم معناه في شرح (العليّ).

٨١ ـ **البر**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «البَرُّ» هو العَطوف على عباده بِبرّه ولُطفه. والبَرُّ والبارُّ بمعنى، وإنما جاء في أسماء الله تعالى البَرُّ دُونَ البار والبِرُّ بالكسر: الإحسان»[٤].

٨٢ ـ **التواب**: الذي يقبل توبة كل تائب مخلص، وهو من أبنية المبالغة، أي: كثير التوبة على من تاب. وقال تعالى في أول سورة المؤمن: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] وهذا المعنى في القرآن كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

٨٣ ـ **المنتقم**: الذي يعاقب عباده بذنوبهم، حسب مشيئته وإرادته سبحانه.

٨٤ ـ **العفو**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «العفُوُّ» هو فَعُول، من العَفْو، وهو التَّجاوزُ عن الذَّنب وتركُ العقابِ عليه، وهو من أبنية المبالغة»[٥].

٨٥ ـ **الرؤوف**: الرحيم، وقيل: الرأفة أبلغ من الرحمة.

٨٦ ـ **مالك الملك**: تقدم معناه في شرح (الملك).

٨٧ ـ **ذو الجلال والإكرام**: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «ذو

---

(١) انظر: «تفسير القاسمي» (١٦/ ٣٢).

(٢) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «أقرب إلى الشيء منه».

(٣) انظر: «تفسير القاسمي» (١٦/ ٣٢).

(٤) انظر: «النهاية» (١/ ١١٦) تحت مادة «برر»، وورد (البار) في إدراج الوليد ضمن سرده الأسماء، وهو عند أبي نعيم في «جزئه» (رقم ١٨ ـ بتحقيقي)، واستدل ابن منده عليه بما عند البخاري (٢٧٠٣): «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه»، ثم وجدته منصوصاً عليه عند ابن ماجه أيضاً (٣٩٠٧) وليس إسناده بذاك.

(٥) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٦٥) تحت مادة «عفا».

الجلال والإكرام» الجلال: العظمة، ومنه الحديث: «**ألظوا بياذا الجلال والإكرام**»[(١)]»[(٢)]. اهـ.

ومعنى «**ألظوا**» أي: لازموا وداوموا على قول: «يا ذا الجلال والإكرام» في دعائكم وابتهالكم إلى الله تعالى.

٨٨ ـ المقسط: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «المُقْسط» هو العادل، يقال: أَقْسَط يُقسِط فهو مُقْسِط، إذا عَدَلَ، وَقَسَط ويَقسِط[(٣)] فهو قاسط إذا جارَ»[(٤)].

٨٩ ـ الجامع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الجامع» هو الذي يَجْمَعُ الخلائق ليَوم الحساب، وقيل: هو المؤلّف بين المتماثِلاتِ، والمَتَباينات، والمتضادَّات في الوُجُود»[(٥)].

قال محمد تقي الدين: والراجح الأول؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ [آل عمران: ٩].

٩٠، ٩١ ـ الغني، المغني: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الغَنِيُّ» هو الذي لا يَحْتاج إلى أحد في شيء، وكُلُّ أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغِنى المُطْلَق، ولا يشارِكُ اللهَ تعالى فيه غيره، ومن أسمائه «المُغْني» وهو الذي يُغْني مَنْ يشاء من عِبادِه»[(٦)].

٩٢ ـ المانع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «المانع» هو الذي يمنع عن أهل طاعته، ويحُوطُهُم وينصُرُهُم، وقيل: يمنع مَنْ يُريدُ من خَلقِه ما يُرِيدُ، ويُعطيه ما يُريدُ، وفيه: «اللهم من مَنَعْتَ ممنُوعٌ» أي مَن حَرَمْتَهُ فهو

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٨٠)، والترمذي (٣٥٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧١٦، ١١٥٦٣)، والطبراني (٤٥٩٤)، وفي «الدعاء» (٩٢)، والحاكم (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٩٦)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عامر، وهو **صحيح**.

(٢) انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٧) تحت مادة «جلل».

(٣) في مطبوع «النهاية» من غير: «و».

(٤) انظر: «النهاية» (٤/ ٦٠) تحت مادة «قسط».

(٥) انظر: «النهاية» (١/ ٢٩٥) تحت مادة «جمع».

(٦) انظر: «النهاية» (٣/ ٣٩٠) تحت مادة «غنا».

مَحْرُوم، لا يُعطيه أحدٌ غيرُك»(١).

٩٣ ـ الضار: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الضَّارُّ» هو الذي يَضُر من يشاء من خلقه، حيثُ هو خالِقُ الأشياءَ كلها خَيرِها وشَرِّها وَنْفعها وَضَرِّها»(٢).

٩٤ ـ النافع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «النافع» هو الذي يُوصِّل النفع إلى مَن يشاء مِنْ خَلْقِه، حيثُ هو خالقُ النَّفْع والضَّر، والخير والشَّر»(٣).

٩٥ ـ النور: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «النُّور» هو الذي يبصر بنوره ذو العَماية ويَرْشُد بهُداهُ ذُوْ الغَوَاية، وقيل: هو الظاهر الذي به كلُّ ظُهورٍ. فالظاهر في نفسِه المُظْهِرُ لغيره يُسَمَّى نُوراً»(٤).

٩٦ ـ الهادي: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الهَادِي» هو الذي بَصَّرَ عِبادَه وَعَرَّفَهُم طريقَ معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بُدَّ له منه في بَقائِه وَدَوَام وجودِه»(٥).

٩٧ ـ البديع: «هو الخالق المخترع لا عن مِثال سَابق، فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِل، يقال: أبدَع فَهُوَ مُبْدِع»(٦). اهـ من «النهاية».

٩٨ ـ الباقي: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «البَاقي» هو الذي لا ينتهي تقدير وُجوده في الاستقبال إلى آخر يَنْتَهي إليه، ويُعبَّر عنه بأنه أبديُّ الوُجود»(٧).

قال محمد تقي الدين: ويفسر معناه قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

٩٩ ـ الوارث: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الوارِث» هو الذي

---

(١) انظر: «النهاية» (٤/ ٣٦٥) تحت مادة «منع».

(٢) انظر: «النهاية» (٣/ ٨١) تحت مادة «ضرر».

(٣) انظر: «النهاية» (٥/ ٩٨) تحت مادة «نفع».

(٤) انظر: «النهاية» (٥/ ١٢٤) تحت مادة «نور»، والثابت في النصوص (نور السماوات والأرض) وهو من الأسماء المضافة، انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٥).

(٥) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٥٣) تحت مادة «هدا».

(٦) انظر: «النهاية» (١/ ١٠٦) تحت مادة «بدع».

(٧) انظر: «النهاية» (١/ ١٤٧) تحت مادة «بقيَ».

يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم»(١).

١٠٠ ـ الرشيد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الرشيدُ» هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم: أَي هداهم ودَلَّهم عليها، فَعِيل بمعنى مُفْعِل، وقيل: هو الذي تنساق(٢) تدبيراته إلى غاياتها على سنن السَّداد، من غير إشارة مُشِير ولا تَسْديد مُسَدِّد»(٣).

١٠١ ـ الصبور: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الصَّبُور» هو الذي لا يُعاجل العُصَاة بالانتِقام، وَهُوَ من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحَليم، والفرق بينهما أَنَّ المُذْنب لا يَأْمَنُ العُقُوبة في صفة الصبور، كما يأمَنُها في صِفَة الحَلِيم»(٤).

١٠٢ ـ المغيث: هو الذي يغيث من استغاث به من عباده ويفرج كربه ويجعل له مخرجاً من كل ضيق وكل شدة، كما أغاث خير خلقه محمداً ﷺ لما استغاث به في غزوة بدر، والاستغاثة من أفضل العبادات فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر، قال تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

انظر تفسير هذه الآية مبسوطاً في (الباب الثالث) من (سورة النمل) من (القسم الأول) من هذا الكتاب.

١٠٣ ـ القريب: القريب من عباده بعلمه ولطفه، والله تعالى يقرب من عباده كيف يشاء بلا تشبيه ولا تمثيل، وليس المراد قرب المسافة؛ لأن الله تعالى لا يحل في خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال (ك): في تفسير هذه الآية: «روى(٥) أحمد والشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفاً، ولا نعلو

(١) انظر: «النهاية» (٥/ ١٧٢) تحت مادة «ورث».
(٢) كذا في مطبوع «النهاية»، وفي الأصل: «تتناسق»!
(٣) انظر: «النهاية» (٢/ ٢٢٥) تحت مادة «رشد».
(٤) انظر: «النهاية» (٣/ ٧) تحت مادة «صبر».
(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال الإمام أحمد: ... عن أبي موسى».

شرفاً، ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال: «**يا أيها الناس! ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنَّما تدعون سميعاً بصيراً، إنَّ الذي تدعون أقربُ إلى أحدكم من عُنُقِ رَاحِلَتِه**[(١)] **ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله**»[(٢)].

قال محمد تقي الدين: الأسماء التسعة والتسعون التي قصدها النبي ﷺ لا نعلم أعيانها بيقين، وقد ذكر الترمذي بدل تسعة وتسعين مائة وواحداً[(٣)]، وزاد بعض من نظم أسماء الله الحسنى شعراً اسمين آخرين وهما (المغيث والقريب) فزدتهما أنا فبلغت الأسماء مائة وثلاثة، وقد تقدم أن أسماء الله ليست محصورة في التسعة والتسعين ولا في المائة والثلاثة، وإنما جمعتها وشرحتها ليتوسل بها إخواننا الموحدون إلى الله الكريم امتثالاً لأمره، وطمعاً في رحمته، فإن المبتدعين يتوسلون إلى الله تعالى بذوات المخلوقين، والمؤمنون المتبعون لكتاب ربهم وسنة نبيهم إنما يتوسلون إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته وبأعمالهم الصالحة، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبيك»[(٤)]، فدعوا ودعا العباس عم النبي ﷺ فسقاهم الله تعالى، فالتوسل إنما كان بدعاء النبي ﷺ فلما انتقل إلى دار البقاء توسل عمر إلى الله تعالى بدعاء العباس، وهذا ثابت في «صحيح البخاري»؛ أعني: حديث عمر

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «راحلته يا عبد الله بن قيس ألا».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٠٢)، والبخاريُّ في كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، حديث (٢٩٩٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وما سبق من «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٨٧).

(٣) الراجح أن سرد الأسماء من إدراج الوليد بن مسلم، ولذا وقع الخلاف فيها، فهي مستنبطة لا منصوصة، وقد قدمت ما يدل على ذلك من الصنعة الحديثية، مع تنصيص فحول المحدثين على الإدراج، والرد على من خالف. انظر تعليقي على (٢/ ٣٩ ـ ٤٥).
وللعلماء ـ قديماً وحديثاً ـ جهودٌ في جمعها وشرحها، يصعب حصرها واستقصاؤها في هذا المقام، وعرف بمنهج جماعة منهم: الأستاذ عبد الله الغصن في كتابه المطبوع «أسماء الله الحسنى»، ولأخينا الشيخ محمد بن حمد الحمود «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» وهو مطبوع بالكويت في مجلدين.

(٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا برقم (١٠١٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وتوسله بالعباس رضي الله عنهما، وأما حديث الأعمى[١] الذي يموّه به المبتدعون فلا حجة لهم فيه، لأن الأعمى سأل النبي ﷺ الشفاعة والدعاء في حال حياته، وهذا لا نزاع فيه على فرض صحة الحديث، وفيه مقال، وقد قتل هذه المسألة بحثاً وتحقيقاً شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتابه المسمى «التوسل والوسيلة»، ودليل التوسل بالأعمال حديث النفر الثلاثة الذين دخلوا في الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فدعا الله كل واحد منهم بصالح عمله، ففرج الله عنهم، وهذا الحديث مشهور في «صحيح البخاري»[٢].

وهؤلاء المبتدعون ـ وأكثرهم مشركون ـ يتسترون بحديث الأعمى لِعُمْيِ بصائرهم، وإلا فباب التوسل إلى الله مفتوح، فمحبة النبي ﷺ واتباعه والعمل بسنته ونصر شريعته من أعظم الوسائل إلى الله تعالى، فبدل أن يقول المشرك أو المبتدع: اللهم إني أتوسل إليك بأنبيائك أو أوليائك، يتوب إلى الله تعالى من الشرك والبدعة، ويوحِّد الله ويتبع سنة نبيه ﷺ، ويقول بصدق: اللهم إني أتوسل إليك بتوحيدي لك واتباعي لسنة نبيك، فيكون على الصراط المستقيم ويخرج من الظلمات إلى النور ولا ينكر ذلك عليه أحد.

والله يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم، ويبعدنا عن طريق أصحاب الجحيم.

---

(١) وهو مما أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨) وغيره **بسند صحيح** عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريرَ البصر أتى النبيَّ ﷺ فقال: ادع الله أن يُعافيني. قال: «**إن شئتَ دعوتُ لك وإن شئت أخَّرتُ ذاك، فهو خير**»، (وفي رواية: «**وإن شئت صبرتَ فهو خيرٌ لك**»)، فقال: ادعهُ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم فشفّعه فِيَّ** «**وشفعني فيه**»» قال: ففعل الرجل، فبرئ».
وقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢٠٩)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائيُّ في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وابن خزيمة (١٢١٩)، وعبد بن حميد (٣٧٩)، والطبراني في الكبير (٨٣١١)، والحاكم (١/ ٣١٣)، وللاستزادة انظر تخريجنا: لـ«الحنائيات» رقم (٩٣) فقد فصّلت الكلام عليه، وانظر في توجيهه كلام شيخنا الألباني في: «التوسل أنواعه وأحكامه» (٧٦ ـ ٨٥، ط. مكتبة المعارف).

(٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجْرَهُ، فَعملَ فيهِ المُستأجرُ فزاد أوْ مَن عَملَ في مالِ غيره فاستفضلَ برقم (٢٢٧٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقد خرجت طرقه وبيان مخارجه في تعليقي على «فنون العجائب» للنقاش رقم (٣٥ ـ ٤٨)، وهو مطبوع ضمن «مجموعة أجزاء حديثية»، فانظره إن أردت الاستزادة.

قال محمد تقي الدين: وقفت على أسماء الله الحسنى منظومة شعراً في قصيدتين كل منهما اشتملت عليها، **إحداهما**: تنسب إلى الدمياطي ولا أدري من هذا الدمياطي، وفي أسماء حفاظ الحديث رجل يسمى الدمياطي نسبة إلى مدينة مشهورة في مصر، ولا أدري هل هو الذي نظم هذه القصيدة، فإن قوله في أولها؛ أي في البيت الثالث منها:

وبـعـد روينـا أن لله تـسـعـة   وتسعين اسماً فضلُها قد تَحَصَّلا

يدل على أنه هو الحافظ الدمياطي(١)، ولهذه القصيدة مزية على القصيدة الثانية التي سأذكرها، وهي أن ناظمها جعل كل شطر يتضمن اسماً واحداً من أسماء الله الحسنى مثال ذلك قوله في ذكر الاسم الأول «الله» والثاني «الرحمن»:

مِنَ اللّـهِ أرْجُـو أمـنَ قَلْـبٍ تَـوجّـلا   فـبالأمـن يَـا رَحـمـنُ لا تُبْـقِ مـوجَّـلا

غير أن هذه القصيدة ليس فيها انسجام ولا بلاغة؛ فلذلك تركت نقلها.
والقصيدة الثانية: للعلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي السِّجلماسي(٢) رَحِمَهُ اللهُ، وقد

---

(١) الدمياطي الإمام العلامة الحافظ الحجة الفقيه النَّسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التُّوني الشافعي، ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة، وتفقه، وبرع وطلب الحديث، فرحل وجمع فأوعى، وتخرّج بالمنذري وألّف، قال المزني: ما رأيت في الحديث أحفظَ منه، وكان واسع الفقه رأساً في النَّسب، جيّد العربية، غزير اللغة، مات فجأة سنة خمسٍ وسبعمائة. انظر: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للحافظ جلال الدين السيوطي (١/٣٠٨، ط. دار الفكر).
وظفرتُ بالقصيدة مطبوعة مع شرح لها باللغة التركية سنة ١٢٥٨هـ، واسمه «فرائد اللآلي في بيان أسماء المتعالي» لإبراهيم نور الدين القادري ابن محمد صالح القسطموني، وفي أوله (ص٣): «لله در الناظم، وهو الشيخ الولي الصالح، والمولى الناصح نور الدين الشهير بدمياطي» وقرّظه جمع ـ كما في أوله ـ ونسبه واحد منهم ـ وهو محمد عارف الحلمي ـ إلى محمد نور الدين الدمياطي، فالظاهر أنه غير الذي ترجمناه، والله أعلم.

(٢) هو العالم العلّامة المحقق المشارك والصَّالح الناصح أحمد بن عبد العزيز الهلالي نزيل مدغرة سجلماسَّة ودفينها كان ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إماماً في تحصيل العلوم وتحقيقها من نحو وبيان ومنطق ولغةٍ وفقه وحديث وتفسير وهندسة وأدب وتاريخ ونسب. قرأ بسجلماسَّة على العلّامة أحمد الحبيب وبفاس على الشيخ أحمد بن مُبارك وأبي عبد الله ابن الرخَا وأبي عبد الله الجندوز، وكان يحضر مجلس الشيخ السَّرغيني في التفسير، وكان رَحِمَهُ اللهُ كثير العبادة مقتصراً على ما يعني، فلا تراه إلا مُطالعاً أو مدرساً أو ذاكراً، وغالب أحواله المطالعة أو التقييد، ولا نظير له في علماء زمانه زهداً وورعاً وديناً ومروءةً ومحبة في أهل البيت والصالحين، والعلماء وطلبة العلم والضعفاء والمساكين، حريصاً على نوائب =

عزمت على نقلها؛ تسهيلاً لحفظ أسماء الله الحسنى، وهذا نصها:

«إِذَا نَابَنِي خَطْبٌ وَضَاقَ بِهِ صَدْرِي ... تَلَافَاهُ لُطْفُ اللّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي
وَلَا سِيَّمَا إِنْ جِئْتُهُ مُتَوَسِّلاً ... بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى المُعَظَّمَةِ القَدْرِ
فَيَلَّلهُ[1] يَا رَحْمَنُ إِنِّي لَذُو فَقْرٍ ... وَأَنْتَ رَحِيمٌ مَالِكُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ
بِقُدْسِكَ قُدُّوسٌ سَلَامٌ وَمُؤْمِنٌ ... مُهَيْمِنُ قَدْ سَنَى لَدَى السِّرِّ والجَهْرِ
عَزِيزٌ وَجَبَّارٌ وَيَا مُتَكَبِّرٌ ... وَيَا خَالِقُ الخَلْقِ اكْفِنِي أَزْمَةَ الدَّهْرِ
وَيَا بَارِئٌ مَا لِي سِوَاكَ مُصَوِّرٌ ... وَغَفَّارُ يَا قَهَّارُ جَبْراً لِذِي كَسْرِ
وَهَبْ لِيَ يَا وَهَّابُ رَزَّاقُ مَطْلَبِي ... وَفَتَّاحُ أَشْرِقْ يَا عَلِيمُ دُجَى فِكْرِي
وَيَا قَابِضٌ يَا بَاسِطٌ خَافِضُ العِدَا ... وَيَا رَافِعُ ارْفَعْ بِاتِّبَاعِ الهُدَى ذِكْرِي
مُعِزٌّ مُذِلٌّ يَا سَمِيعُ بَصِيرُ جُدْ ... عَلَى مَا تَرَى مِنْ فَادِحِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ

= الخير وإهمال الفتن، وبعداً عن الرِّياسة والجَاه والفضول، وقد رحل رَحِمَهُ اللهُ إلى الحجاز بقصد الحجِّ مرَّتين وإلى مصر ولقي مشايخ مصر والحرمين، وقد ألف رَحِمَهُ اللهُ كتباً عديدةً ومقيدات مفيدة، منها: «شرح خطبة القاموس»، و«المراهم في الدراهم» وشرحه لمنظومة عبد السلام بن الطيِّب القادري الحسني في المنطق سماه «الزواهر الأفقية على الجواهر المنطقية»، وشرع في «شرح مختصر خليل» فلم يكمله لوفاته، و«شرح الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي» لعبد السلام القادري، و«الياقوتة الفريدة في نظم لُبِّ واجب العقيدة»، وشرح على «إضاءة الأدموس في معرفة اصطلاح القاموس».
توفي رَحِمَهُ اللهُ بسجلماسة وَدُفِنَ بها يوم الثلاثاء واحد وعشرين من ربيع الأول عام خمسة وسبعين - بموحدة - ومائة وألف، وأفرده بترجمة مستقلة الفقيه رشيد المصلواتي الروداني، واسمها: «إتحاف المعاصر والتالي بجمع ترجمة الشيخ الهلالي» عام (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
انظر ترجمته في: «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» (٤/ ١٤٣ - ١٥٢)، و«شجرة النور» (٣٥٥)، و«معلمة الفقه المالكي» (١٠٨)، و«إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» (١/ ١٥).

(١) لا يدخل في السَّعة حرف النداء على ما فيه (أل) إلا في صور، منها: اسم الجلالة، تقول: يا الله، بإثبات الألفين، و«يلَّله» بحذفهما، و«يالله» بحذف الثانية فقط. والأكثر أن يحذف حرف النداء، وتُعوَّض عنه الميم المشدَّدة، فتقول: «اللَّهمَّ»، وقد تُجمعُ بينهما في الضرورة النادرة، تقول أبي خِراش الهُذَلي.
إنِّي إذا ما حَدَثٌ أَلَمَّا ... دَعَوْتُ يا اللَّهمَّ يا اللَّهُمَّا
أفاده الأستاذ عبد الغني الدقر في كتابه «معجم القواعد العربية في النحو والصرف»، (ص٥١٦، ط. الثانية).

وَيَا حَكَمٌ عَدْلٌ لَطِيفٌ خَبِيرُ مَا … لَنَا وَزَرٌ إِلَّاكَ فِي الضِّيقِ وَالعُسْرِ
حَلِيمٌ عَظِيمٌ يَا غَفُورُ شَكُورُ لَنْ … يَخِيبَ امْرُؤٌ يَرْجُوكَ لِلحِلْمِ وَالغَفْرِ
عَلِيٌّ كَبِيرٌ يَا حَفِيظُ مُقِيتُ هَبْ … لَنَا حِفْظَكَ الأَحْمَى لَدَى الحَادِثِ الوَعْرِ
حَسِيبٌ جَلِيلٌ يَا كَرِيمُ رَقِيبُ مَنْ … سِوَاكَ نُرَجِّيهِ لِخَلَّةِ ذِي فَقْرِ
مُجِيبٌ أَجِبْ يَا وَاسِعٌ يَا حَكِيمُ يَا … وَدُودُ دَعَا دَاعٍ لِفَضْلِكَ مُضْطَرٌّ
مُجِيدٌ فَجُدْ يَا بَاعِثٌ يَا شَهِيدُ بِالْـ … لَذِي نَرْتَجِي يَا حَقُّ مِنْ جُودِكَ الغَمْرِ
وَكِيلٌ قَوِيٌّ يَا مَتِينُ وَلِيُّ كُنْ … وَلِيًّا لِعَبْدٍ مِنْ خَطَايَاهُ فِي أَسْرِ
حَمِيدٌ وَمُحْصِي مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ لَمْ … يَزَلْ مِنْكَ جُودٌ يَنْتَحِينَا بِلَا حَصْرِ
وَمُحْيِي مُمِيتٌ حَيٌّ قَيُّومُ وَاجِدٌ … وَيَا مَاجِدٌ لَا تُولِنِي الخِزْيَ فِي النَّشْرِ
وَيَا أَحَدٌ نَرْجُوكَ يَا صَمَدٌ إِذَا … تَضِيقُ بِنَا يَا قَادِرٌ فُسْحَةُ العُمْرِ
وَمُقْتَدِرٍ ارْفَعْ يَا مُقَدِّمُ رُتْبَتِي … مُؤَخِّرُ أَخِّرْ كُلَّ مَنْ يَبْتَغِي ضَرِّي
وَيَا أَوَّلٌ يَا آخِرٌ ظَاهِرٌ وَبَا … طِنٌ وال اجذِبْنِي إلى حَضْرَةِ الطُّهْرِ
وَيَا مُتَعَالِ بَرُّ تَوَّابُ جُدْ وَتُبْ … وَمُنْتَقِمٌ حُلْ بَيْنَنَا وَذَوِي الشَّرِّ
عَفُوٌّ رَؤُوفٌ مَالِكُ المُلْكِ أَنْتَ ذُو الْـ … جَلَالِ وَالإِكْرَامِ اعْفُ عَنْ كُلِّ مَا وِزْرِ
وَمُقْسِطُ جَامِعٌ غَنِيٌّ فَأَغْنِنَا … غِنَى القَلْبِ يَا مُغْنِي لِنَغْنَى عَنِ الوَفْرِ
وَيَا مَانِعٌ يَا ضَرُّ يَا نَافِعُ اهْدِنَا … بِنُورِكَ يَا نُورٌ وَهَادٍ إِلَى اليُسْرِ
بَدِيعٌ وَبَاقٍ وَارِثٌ يَا رَشِيدُ يَا … صَبُورُ أَتِحْ لِي الرُّشْدَ لِلشُّكْرِ وَالصَّبْرِ
بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى دَعَوْنَاكَ نَبْتَغِي … رِضَاكَ وَلُطْفاً فِي الحَيَاةِ وَفِي القَبْرِ
وَفِي النَّشْرِ ثُمَّ الحَشْرِ وَالمَوْقِفِ الَّذِي … تُحَاسِبُ فِيهِ الخَلْقَ يَا وَاسِعَ البِرِّ
وَفِي حَالِ أَخْذِ الصُّحْفِ وَالوَزْنِ بَعْدَهَا … كَذَلِكَ فِي حَالِ المُرُورِ عَلَى الجِسْرِ
وَعَافِيَةً دِينًا وَدُنْيَا وَرَحْمَةً … بِفَضْلِكَ فِي الدَّارَيْنِ يَا وَاسِعَ البِرِّ
وَخَتْماً بِحُسْنَى مَعْ جِوَارِ نَبِيِّنَا … مُحَمَّدٍ المَحْمُودِ فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ … بِلَا مُنْتَهَى وَالآلِ مَعْ صَحْبِهِ الغُرِّ
وَلِلنَّاظِمِ اغْفِرْ يَا إِلَهِي وَأَهْلِهِ … وَأَحْبَابِهِ وَاسْتُرْهُمُ دَائِمَ السِّتْرِ
وَقَارِئِهَا وَالمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ … وَلِلَّهِ رَبِّي دَائِمُ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ»

جيوش الشعر

قال محمد تقي الدين: بدأت هذا القسم «بالجيوش الإسلامية» للإمام الحافظ ابن القيم هي نثر وأختمه بجيوش الشعر لأئمة مختلفين في أوطانهم وأزمانهم متفقين على العقيدة الحنيفية.

وأنقل هذه القصائد من «المجموعة المفيدة»، التي جمعها العالم السلفي الشاعر الأديب علي بن سليمان القصيمي المتوفى بالدورة في جنوب العراق في نحو سنة ١٣٤١، ولما وصلت أنا إلى الدورة في نحو سنة ١٣٤٣ وهبني ابنه الشيخ حسين بن علي وسائر الورثة خزانة كتب والدهم، ولا يزال عندي أكثرها وبعضها تلف بكثرة التنقل الذي أنا مبتلى به طول عمري ـ منذ الصبا إلى أقصى الشيخوخة ـ، فرحم الله الشيخ عليًّا رحمة واسعة وبارك في أبنائه وأحفاده، وجزى الله من طبع هذه «المجموعة» ومن بعثها إليَّ، وهو الصديق الصادق الشيخ عبد الله الغنيمان، بارك الله في حياته.

القصيدة الأولى

أثبتها مختصرة؛ لأني رأيت أن أحذف منها ما يتعلق بفروع المالكية، وهي للإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي:

يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالفُرْقَانِ ... بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ القُرْآنِ
اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الهُدَى ... وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ
وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي، وَأَخْلِصْ نِيَّتِي ... وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَصْلِحْ شَانِي(١)
يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَأَقْضِ مَآرِبِي ... وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ
وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي، وَحَقِّقْ تَوْبَتِي ... أَرْبِحْ(٢) بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانِ

(١) هنا يوجد تقديم وتأخير ففي مطبوع «كفاية الإنسان من القصائد الغرر الحسان» تقديم البيت الآتي على هذا البيت.

(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «وأربح».

طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي، وَصَفِّ سَرِيرَتِي ... أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي، وَأَعْلِ مَكَانِي
وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي، وَشَرِّفْ هِمَّتِي ... كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي
أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي، وَأَظْمِ جَوَارِحِي ... أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي
أُمْزُجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دَمِي ... وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ
أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي، وَخَلَقْتَنِي ... وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ
أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي، وَرَحِمْتَنِي ... وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ القُرْآنِ
أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي، وَسَقَيْتَنِي ... مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلَا دُكَّانِ
وَجَبَرْتَنِي، وَسَتَرْتَنِي، وَنَصَرْتَنِي ... وَغَمَرْتَنِي بِالفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي، وَحَبَوْتَنِي ... وَهَدَيْتَنِي مِنْ حِيرَةِ الخِذْلَانِ
وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ القُلُوبِ مَوَدَّةً ... وَعَطَفْتَ(١) مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
وَنَشَرْتَ لِي فِي العَالَمِينَ مَحَاسِناً ... وسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي
وَجَعَلْتَ ذِكْرِيَ فِي البَرِيَّةِ شَائِعاً ... حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي

ومضى في الدعاء إلى أن قال في القرآن:

وَلَأَتْلُونَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى ... وَلَأَحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي
أَنْتَ الَّذِي، يَا رَبِّ، قُلْتَ حُرُوفَهُ ... وَوَصَفْتَهُ بِالوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ
وَنَظَمْتَهُ بِبَلَاغَةٍ أَزَلِيَّةٍ ... تَكْيِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ
وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الحَفِيظِ حُرُوفَهُ ... مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الخَلْقِ فِي أَزْمَانِ
فَاللّهُ رَبِّي، لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّماً ... حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ
نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ ... مُوسَى، فَأَسْمَعَهُ بِلَا كِتْمَانِ
وَكَذَا يُنَادِي فِي القِيَامَةِ رَبُّنَا ... جَهْراً، فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ
أَنْ يَا عِبَادِي، أَنْصِتُوا لِي، وَاسْمَعُوا ... قَوْلَ الإِلَهِ المَالِكِ الدَّيَّانِ
هَذَا حَدِيثُ نَبِيِّنَا عَنْ رَبِّهِ ... صِدْقاً بِلَا كَذِبٍ وَلَا بُهْتَانِ
لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلَامِنَا ... إِذْ لَيْسَ يُدْرَكُ وَصْفُهُ بِعِيَانِ
لَا تَحْصُرُ الأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ ... أَبَداً، وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «والعطف».

وَهُوَ الـمُـحِـيـطُ بِـكُـلِّ شَـيْءٍ عِـلْـمُـهُ ... مِـنْ غَـيْـرِ إِغْـفَـالٍ وَلَا نِـسْـيَـانِ(١)
سُبْحَانَهُ مَلِكاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ... وَحَوَى جَمِيعَ المُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
وَكَـلَامُـهُ الـقُـرْآنُ أُنْـزِلَ آيَـةً ... وَحْياً عَلَى المَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
صلَّى عَلَيهِ اللّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ ... مَا لَاحَ فِي فَلَكَيْهِمَا القَمَرَانِ
هُوَ جَاءَ بِالقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي ... لَا تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الحَدَثَانِ
تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ وَوَحْيُهُ ... بِشَهَادَةِ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
وَكَلَامُ رَبِّي لَا يَجِيءُ بِمِثْلِهِ ... أَحَدٌ، وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
وَهُوَ المَصُونُ مِنَ الأَبَاطِلِ كُلِّهَا ... وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ
مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ ... وَيَرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالهَذَيَانِ
فَلْيَأْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ ... فَإِذَا رَأَى النَّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ
فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ ... رَبَّ البَرِيَّة، وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي
فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ ... ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِراً بِهَوَانِ
أَوْ فَلْيُقِرَّ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُ مَنْ ... سَمَّاهُ فِي نَصِّ الكِتَابِ مَثَانِي
لَا رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ ... وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانِ
اللّهُ فَصَّلَهُ، وَأَحْكَمَ آيَهُ ... وَتَلَاهُ تَنْزِيلاً بِلَا أَلْحَانِ
هُوَ قَوْلُهُ، وَكَلَامُهُ وَخِطَابُهُ ... بِفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَبَيَانِ
هُوَ حُكْمُهُ، هُوَ عِلْمُهُ، هُوَ نُورُهُ ... وَصِرَاطُهُ الهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ
جَمَعَ العُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا ... فَبِهِ يَصُولُ العَالِمُ الرَّبَّانِي
قِصَصاً عَلَى خَيرِ البَرِيَّةِ قَصَّهُ ... رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ
كَلِمَاتُهُ مَنْظُومَةٌ وَحُرُوفُهُ ... بِتَمَامِ أَلْفَاظٍ وَحُسْنِ مَعَانِ
وَأَبَانَ فِيهِ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ... وَنَهَى عَنِ الآثَامِ وَالعِصْيَانِ
مَنْ قَالَ: إِنَّ اللّهَ خَالِقُ قَوْلِهِ ... فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ
مَنْ قَالَ فِيهِ: عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ ... فَغَدَا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ

---

(١) بعده في مطبوع «كفاية الإنسان»، بيت ساقط من الأصل، وهو:
«مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهُ؟! ... وَهُوَ القَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ»

مَنْ قَالَ: إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ فَالْعَنْهُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ
لَا تَلْقَ مُبْتَدِعاً وَلَا مُتَزَنْدِقاً إِلَّا بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ
وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْثٌ بَاطِلٌ وَخِدَاعُ كُلِّ مُذَبْذَبٍ حَيْرَانِ
قُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ إِلٰهِنَا وَاعْجَلْ، وَلَا تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي
أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلَانِ
وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ، إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقَالُ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ
يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ، خُذْ بِوَصِيَّتِي وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإِخْوَانِ
وَاقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطاً عَدْلاً بِلَا نَقْصٍ وَلَا رُجْحَانَ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ رَبٌّ وَاحِدٌ مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ
الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ وَالآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِي
وَكَلَامُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلَالَةٌ مِنْهُ بِلَا أَمَدٍ وَلَا حَدَثَانِ

ثم مضى إلى أن قال:

وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانِ
وَالأَشْعَرِيُّ[1] يَقُولُ: يَأْتِي أَمْرُهُ يَأْتِي بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ
وَعَلَيْهِ عَرْضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ لِلْحُكْمِ كَي يَتَنَاصَفَ الْخَصْمَانِ
وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَى قَمَراً بَدَا لِلسِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

ومضى إلى أن قال:

قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِي
أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً فِي الْبَطْنِ إِذْ[2] مَشَجَتْ بِهِ الْمَاآنِ
أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدْتَ عَلِيقَةً فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ ثَوَانِ
أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ

---

(١) قال محمد تقي الدين: المراد بالأشعري هنا من ينتسب زوراً وبهتاناً إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله من المتأخرين. (منه).

(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «إذا».

أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّراً ... بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ
أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّساً ... مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ
أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ مِنْ لِبَانٍ(١) ثُدِيَّهَا ... فَرَضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الحَوْلَانِ
أَمْ صَيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً ... فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ
يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الهُدَى ... بِالمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَاليُونَانِي

ومضى إلى أن قال:

لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الكَلَامِ فَإِنَّهُ ... يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالهَيَمَانِ
لَا يَصْحَبُ البِدْعِيُّ إِلَّا مِثْلَهُ ... تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ
عِلْمُ الكَلَامِ، وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... يَتَغَايَرَانِ، وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ
أَخَذُوا الكَلَامَ عَنِ الفَلَاسِفَةِ الأُلَى(٢) ... جَحَدُوا الشَّرَائِعَ، غِرَّةً وَأَمَانِي
حَمَلُوا الأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ ... فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الحَيْرَانِ
مُرْجِيُّهُمْ(٣) يَزْرِي عَلَى قَدَرِيِّهِمْ ... وَالفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ

ومضى في ذم المتكلمين إلى أن قال:

دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُمْ ... يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الغِرْبَانِ
كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الهُدَى ... وَيَتِيهُ تَيْهَ الوَالِهِ الهَيْمَانِ
فَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ ... وَلَهُ الثَّنَا، عَنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

ومضى إلى أن قال:

أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ ... مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا هَذَيَانِ
هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ ... وَكِلَاهُمَا فِي شَرْعِنَا عَلَمَانِ
لِلَّهِ وَجْهٌ لَا يُحَدُّ بِصُورَةٍ ... وَلِرَبِّنَا عَيْنَانِ نَاظِرَتَانِ
وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلٰهُنَا ... وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الأَيْمَانِ
كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا ... فَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ
كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمٰوَاتِ العُلَى ... وَالأَرْضَ وَهْوَ يَعُمُّهُ القَدَمَانِ

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «باللِّبَانِ». (٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «الأولى».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مرجيئهم يُذْرى».

وَاللَّهُ يَضْحَكُ لَا كَضَحْكِ عَبِيدِهِ ... وَالكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمانِ
وَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلَا كِتْمَانِ
فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ ... فَأَنَا القَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي
حَاشَا الإِلَهَ بِأَنْ تُكَيَّفَ ذَاتُهُ ... فَالكَيْفُ وَالتَّمْثِيلُ مُنْتَفِيَانِ
وَالأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... شَيْءٌ، تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ
وَحَدِيثُهُ القُرْآنُ وَهْوَ كَلَامُهُ ... صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ ... رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ
فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ ... إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ

ثم قال:

إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي ... يَا مَعْشَرَ الخُلَطَاءِ وَالإِخْوَانِ
إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي المَصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأَنَامِلِ الأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ
هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وحُرُوفُهُ ... وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي ... فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ
هُوَ فِي المَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً ... أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيَّمَا إِيقَانِ

ومضى إلى أن قال:

تَعِسَ العَمِيُّ أَبُو العَلَاءِ فَإِنَّهُ ... قَدْ كَانَ مَجْمُوعاً لَهُ العَمَيَانِ
وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَينِ بِهَجْوِهِ ... أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ
وَالآنَ أَهْجُو الأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ ... وَأُذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ البُهْتَانِ
يَا مَعْشَرَ المُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ(١) ... عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ وَالحِيتَانِ
كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالهُدَى ... وَطَعَنْتُمُ بِالبَغْيِ وَالعُدْوَانِ
فَلَأَنْصُرَنَّ الحَقَّ حَتَّى أَنَّنِي ... أَسْطُو عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي
اللَّهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ ... حَتَّى تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي
بِأَدِلَّةِ القُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ ... وَبِهِ أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لَاقَانِي

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «غدوْتُمْ».

هُوَ مَلْجَئِي(١) هُوَ مدْرَئِي هُوَ مَنْجَيي(٢)   مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ
إنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ   أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْراً بِلَا عُمْرَانِ
وَاللَّهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً   وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي
أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُودُ الشَّجَا   أَعْيَا أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي
أَنَا حَيَّةُ الوَادِي، أَنَا(٣) أَسَدُ الشَّرَى   أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الغِرَارِ يَمَانِي

ومضى إلى أن قال يخاطبهم:

آثَرْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَدْيَانِكُمْ   لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ
وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ   فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ
كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ   وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى الأَدْيَان
قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ   فِئَتَانِ لِلرَّحْمٰنِ عَاصِيَتَانِ
يَتَكَالَبَانِ عَلَى الحَرَامِ وَأَهْلِهِ   فَعْلَ الكِلَابِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ
يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي   رَمَدُ العُيُونِ وَحِكَّةُ الأَجْفَانِ
أَنَا فِي كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قُرْحَةٌ   أَرْبُو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي
وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوخِكُمْ   فَصَرَعْتُ(٤) مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي
وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَاجِهِمْ وَنَثَرْتُهَا(٥)   فَوَجَدْتُهَا قَوْلاً بِلَا بُرْهَانِ
وَاللَّهُ أَيَّدَنِي وَثَبَّتَ حُجَّتِي   وَاللَّهُ مِنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَّانِي
وَالحَمْدُ لِلَّهِ المُهَيْمِنِ دَائِماً   حَمْداً يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي
أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي   مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنَانِ
أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ بِالسُّهَا   أَمْ هَلْ يُقَاسُ البَحْرُ بِالخُلْجَانِ
عُمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ   حُمُراً بِلَا عُنُنٍ وَلَا أَرْسَانِ
أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ   وَكَسَرْتُكُمْ كَسْراً بِلَا جُبْرَانِ
أَزَعَمْتُمُ أَنَّ القُرَانَ عِبَارَةٌ   فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ

---

(١) في الأصل: «ملتجأي»!!
(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «منجني».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «كذا».
(٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فصرفتُ».
(٥) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وهو الصحيح، وفي الأصل: «ونشرتها»!

إِيمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيمَانُ الَّذِي ... رَكِبَ المَعَاصِي عِنْدَكُمْ سِيَّانِ
هَذَا[(١)] الجُوَيْهِرُ وَالعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ ... أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الهُدَى أَصْلَانِ
مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا ... وَأَقَرَّ بِالإِسْلَامِ وَالفُرْقَانِ
أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ ... أَمْ عَاقِلٌ، أَمْ جَاهِلٌ، أَمْ وَانِي
عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمٰوَاتِ العُلَى ... وَالعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمٰنِ

ومضى إلى أن قال:

أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي ... طُوفَانُ بَحْرٍ، أَيَّمَا طُوفَانٍ!؟
أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُم ... أَنَا سُمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ
أَذْهَبْتُمُ نُورَ القُرْآنِ وَحُسْنَهُ ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ

ومضى إلى أن قال:

يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَهُ الوَرَى ... يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلَا آذَانِ
إِنِّي لَأُبْغِضُكُمْ[(٢)] وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ ... بُغْضاً أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي[(٣)]
لَوْ كُنْتُ أَعْمَى المُقْلَتَينِ لَسَرَّنِي ... كَيْلَا يَرَى إِنْسَانُكُمْ إِنْسَانِي

ومضى إلى أن قال:

أَنَا تَمْرَةُ[(٤)] الأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ العِدَى ... أَنَا غَصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي
وَأَنَا المُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... فَأَنَا[(٥)] الأَدِيبُ الشَّاعِرُ القَحْطَانِي

ومضى إلى أن قال:

يَا أَشْعَرِيَّةُ، يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَى ... بِدَعاً وَأَهْوَاءً بِلَا بُرْهَانِ
جَاءَتْكُمُ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ ... مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مُعَانِ

ومضى إلى أن قال:

هِيَ لِلرَّوَافِضِ[(٦)] دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ ... تَرَكَتْ رُؤُسَهُمْ بِلَا آذَانِ

---

(١) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وهو الصحيح معنىً ووزناً، وفي الأصل: «أهذا»!.
(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «لأبغضنكم».
(٣) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وفي الأصل: «أضناني»!.
(٤) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وفي الأصل: «ثمرة»!
(٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «وأنا».
(٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «للجهالة».

هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ ... فَكِلَاهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ
هِيَ فِي رُؤُوسِ المَارِقِينَ شَقِيقَةٌ ... ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ
هِيَ فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ ... صَابٌ، وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ
لَكِنْ لِأَهْلِ الحَقِّ شَهْدٌ صَافِياً ... أَوْ تَمْرَ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيحَانِي
وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا ... مَنْظُومَةً كَقَلَائِدِ المُرْجَانِ
وَنَصَرْتُ أَهْلَ الحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي ... وَصَفَعْتُ(١) كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ(٢)
أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الحَدَائِقِ تُجْتَنَى ... سَمْعاً وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الجَانِي

ومضى إلى أن قال في الختام:

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى الأَغْصَانِ
وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ ... وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالإِخْوَانِ
بِاللَّهِ قُولُوا كُلَّمَا أَنْشَدْتُمُ ... رَحِمَ الإِلٰهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي(٣)

قال محمد تقي الدين: قد علمت أيها القارئ فيما تقدم أن أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ كان على عقيدة السلف الصالح، وقد أنكر عليه بعض الأئمة المحققين مسألة واحدة أو مسألتين(٤)، والكمال لله، وقد صرح ـ رحمة الله عليه ـ

---

(١) في الأصل: «وصفت»!

(٢) كذا في «كفاية الإنسان»، وفي الأصل" «ضعفان»!

(٣) انظر: «كفاية الإنسان» (٢٥ ـ ٧٠، ط. دار ابن القيم).

(٤) الأمر ليس كذلك! نعم، تراجع أبو الحسن عن اعتزاليّاته، وصرح برجوعه إلى مذهب الإمام أحمد في «الإبانة»، ولكن بقيت رواسب عنده، ولم ينقطع بعد توبته من الاعتزال للأثر والنظر في الأدلة النقلية، فاكتفى بنصرة المسائل المشهورة عند أهل السنّة، وخبرته بها مجملة بخلاف خبرته بعلم الكلام فهي مفصَّلة. والحق أن عنده شوباً من الحق ومذهب أهله، وشوباً من فساد الاعتقاد، وفصَّل ذلك ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)، ومما قال مؤصِّلاً، جامعاً بين الحق والعدل:
«والأشعري» ابتلى بطائفتين: طائفة تبغضه، وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه ويقول: إنما صنف هذه الكتب تقية، وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسنّة، من الحنبلية وغيرهم. وهذا كذب على الرجل، فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه، ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته؛ فدعوى المدعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعاً وعقلاً؛ بل من تدبّر كلامه في هذا الباب ـ في مواضع ـ تبيّن له قطعاً أنه كان ينصر ما أظهره؛ ولكن =

أنه كان على عقيدة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وكتبه ناطقة بما ذكرت، وهي: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» و«الإبانة عن أصول الديانة»، وقد قرأت هذين الكتابين، وكتابه «الموجز» ذكره ابن القيم في كتابه «الجيوش الإسلامية»، ولم أطّلع عليه، وكذلك قدماء أصحابه، أما أشعرية هذا الزمان، فهم الذين ينطبق عليهم ويصدق عليهم هجو القحطاني.

قال الشيخ علي بن سليمان القصيمي الذي تقدم ذكره في تقريظ القصيدة القحطانية وأجاد:

يَا مَنْ يَرُومُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الجَزَا ... وَالفَوْزَ بِالجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
اسْمَعْ وَصِيَّةَ نَاصِحٍ يَهْدِي إِلَى ... دِينِ الإِلَهِ وَسُنَّةِ العَدْنَانِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ الشَّرِيعَةِ وَارْتَوَتْ ... مِنْهَا رِيَاضُ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ

= الذين يحبونه ويخالفونه في إثبات الصفات الخبرية يقصدون نفي ذلك عنه، لئلا يقال: إنهم خالفوه، مع كون ما ذهبوا إليه من السنّة، قد اقتدوا فيه بحجّته التي على ذكرها يعولون، وعليها يعتمدون.

و«الفريق الآخر»: دفعوا عنه لكونهم رأوا المنتسبين إليه لا يظهرون إلا خلاف هذا القول، ولكونهم اتهموه بالتقية، وليس كذلك، بل هو انتصر للمسائل المشهورة عند أهل السنّة، التي خالفهم فيها المعتزلة؛ كمسألة «الرؤية» و«الكلام» وإثبات «الصفات» ونحو ذلك؛ لكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنّة خبرة مجملة؛ فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنّة، واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنّة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك.

والمخالفون له من أهل السنّة والحديث، ومن المعتزلة والفلاسفة يقولون: إنه متناقض، وإن ما وافق فيه المعتزلة يناقض ما وافق فيه أهل السنّة، كما أن المعتزلة يتناقضون فيما نصروا فيه دين الإسلام، فإنهم بنوا كثيراً من الحجج على أصول تناقض كثيراً من دين الإسلام؛ بل جمهور المخالفين للأشعري من المثبتة والنفاة يقولون: إنما قاله في مسألة الرؤية، والكلام: معلوم الفساد بضرورة العقل.

ولهذا يقول أتباعه: إنه لم يوافقنا أحد من الطوائف على قولنا في «مسألة الرؤية، والكلام»؛ **فلما كان في كلامه شوب من هذا وشوب من هذا: صار يقول من يقول إن فيه نوعاً من التجهم**. وأما من قال: إن قوله قول جهم فقد قال الباطل. ومن قال: **إنه ليس فيه شيء من قول جهم فقد قال الباطل**، والله يحب الكلام بعلم وعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتنزيل الناس منازلهم». انتهى.

قال أبو عبيدة: وهذا هو التحقيق المنيف، والقول العدل الشريف، في هذه الشخصية التي كثر فيها الجدال، وزلت فيها أقدام، وضلت أفهام، والله الموفق لا ربّ سواه.

وَتَفَجَّرَتْ مِنْهَا يَنَابِيعُ الهُدَى ... فَجَلَتْ صَدَا التَّعْطِيلِ وَالبُهْتَانِ
وَبَدَا لَنَا مِنْهَا صَبَاحٌ مُسْفِرٌ ... لَكِنْ يَرَاهُ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
فَاتبعْ مَسَالِكَهَا وَسِرْ في ضَوْئِهَا ... وَاحْذَرْ سُلُوكَ مَنَاهِجِ الشَّيْطَانِ
نَظَمَتْ لآلِئَهَا قَرِيحَةُ جِهْبِذٍ ... حَازَ الفَخَارَ بِحَلْبَةِ الفُرْسَانِ
وَسَمَا عَلَى أَقْرَانِهِ بِفَخَارِهِ ... فَلَكَ العُلَى وَالفَخْرُ يَا قَحْطَانِي
فَلَقَدْ حَمَيْتَ حِمَى الشَّرِيعَةِ بَعْدَمَا ... مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ الخَبِيثِ الجَانِي
وَضَرَبْتَ هَامَ المُعْتَدِي بِمُهَنَّدٍ ... عَضْبٍ، صَقِيلِ الشَّفْرَتَينِ يَمَانِي
فَتَرَكْتَهُ مُتَجَنْدِلاً في ضَحْضَحٍ ... وَالحَقُّ يُزْهِقُ كُلَّ ذِي بُطْلَانِ
وَلَقَدْ حَرَصْتَ عَلَى الوَرَى وَهَدَيْتَهُمْ ... لِمَنَاهِجِ الإِيمَانِ وَالعِرْفَانِ
فَجَزَاكَ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَحَبَاكَ فِي الفِرْدَوْسِ بِالوِلْدَانِ
وَصَلَاةُ رَبِّي وَالسَّلَامُ مُضَاعَفٌ ... لِمُحَمَّدٍ وَالآلِ كُلَّ زَمَانِ

الشهب المرمية على المعطلة والجهمية

(للشيخ الفاضل أحمد بن مشرف)

نَفَيْتُمْ صِفَاتِ اللّهِ فَاللّهُ أَكْمَلُ ... فَسُبْحَانَهُ عَمَّا يَقُولُ المُعَطِّلُ
زَعَمْتُمْ بِأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِمُسْتَوٍ ... عَلَى عَرْشِهِ وَالاسْتِوَا لَيْسَ يُجْهَلُ
فَقَدْ جَاءَ فِي الأَخْبَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ... بِلَفْظِ اسْتَوَى لَا غَيْرَ يَا مُتَأَوِّلُ
وَقَدْ جَاءَ فِي إِثْبَاتِهِ عَنْ نَبِيِّنَا ... مِنَ الخَبَرِ المَأْثُورِ مَا لَيْسَ يُشْكِلُ
فَصَرَّحَ أَنَّ اللّهَ جَلَّ جَلَالُهُ ... عَلَى عَرْشِهِ مِنْهُ المَلَائِكُ[1] تَنْزِلُ
يَخَافُونَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَعُرُوجُهُمْ ... إِلَيْهِ وَهَذَا فِي الكِتَابِ مُفَصَّلُ
وَتُعْرَجُ حَقًّا رُوحُ مَنْ مَاتَ مُؤْمِناً ... إِلَيهِ فَتَحْظَى بِالمُنَى ثُمَّ تُرْسَلُ
وَبِالمُصْطَفَى أُسْرِي إِلى اللّهِ فَارْتَقَى ... عَلَى هَذِهِ السَّبْعِ السَّمٰوَاتِ فِي العُلُو

---

(١) في الأصل: «الملائكة»، ولا يستقيم وزن البيت بها، وبالتغيير الذي زبرناه استقام البيت، والله الموفق، وهكذا رأيته في «قصائد مختارة في العقيدة» (ص٩٨)، وأورد القصيدة بتمامها، ولابن مشرف (ت١٢٨٥هـ) في الإحساء، ديوان مطبوع، وترجمته في «تحفة المستفيد» (٤٠١).

وَمِنْهُ دَنَا الجَبَّارُ حَقًّا فَكَانَ قَا ... بَ قَوْسَينِ أَوْ أَدْنَى كَمَا هُوَ مُنْزَلُ
وَفِي ذَا حَدِيثٌ فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ ... صَحِيحٌ صَرِيحٌ ظَاهِرٌ لَا يُؤَوَّلُ
وَقَدْ رَفَعَ اللّهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمٍ ... إِلَيْهِ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا سَوْفَ يَنْزِلُ
فَيَكْسِرُ صُلْبَانَ النَّصَارَى بِكَفِّهِ ... وَمَا دَامَ حَيًّا لِلخَنَازِيرِ يَقْتُلُ
وَلَيْسَ لَهُ شَرْعٌ سِوَى شَرْعِ أَحْمَدٍ ... فَيَقْضِي بِهِ بَيْنَ الأَنَامِ وَيَعْدِلُ
وَزَيْنَبُ زَوْجُ المُصْطَفَى افْتَخَرَتْ عَلَى ... بَقِيَّةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ بِلَا غُلُو
فَقَالَتْ تَوَلَّى اللّهُ عَقْدِي بِنَفْسِهِ ... فَزَوَّجَنِي مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ مِنَ العُلُو
وَأَنَّ سَفِيرِي رُوحُهُ وَكَفَى بِذَا ... لِزَيْنَبَ فَخْراً شَامِخاً، فَهُوَ أَطْوَلُ
وَلَمَّا قَضَى سَعْدُ الرِّضَى فِي قُرَيْظَةٍ ... بِأَنْ يُسْتَرَقُّوا وَالرِّجَالُ تُقَتَّلُ
وَأَمْضَى رَسُولُ اللّهِ فِي القَوْمِ حُكْمَهُ ... لَقَدْ قَالَ مَا مَعْنَاهُ إِذْ يُتَأَمَّلُ
أَلَا إِنَّ سَعْداً قَدْ قَضَى فِيهِمْ بِمَا ... قَضَى اللّهُ مِنْ فَوْقِ السَّمٰوَاتِ فَافْعَلُوا
وَقَدْ صَحَّ أَنَّ اللّهَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... إِذَا مَا بَقِي ثُلْثٌ مِنَ اللَّيْلِ يَنْزِلُ
إِلَى ذِي السَّمَا الدُّنْيا يُنَادِي عِبَادَهُ ... إِلَى أَنْ يَكُونَ الفَجْرُ فِي الأُفْقِ يَشْعَلُ
يُنَادِيهِمُ: هَلْ تَائِبٌ مِنْ ذُنُوبِهِ ... فَإِنِّي لَغَفَّارٌ لَهَا مُتَقَبِّلُ
وَهَلْ مِنْكُمُ دَاعٍ وَهَلْ سَائِلٌ لَنَا ... فَإِنِّي أُجِيبُ السَّائِلِينَ وَأَجْزُلُ
وَقَدْ فَطَرَ اللّهُ العَظِيمُ عِبَادَهُ ... عَلَى أَنَّهُ مِنْ فَوْقِهِمْ فَلَهُ[1] سَلُوا
لِهَذَا تَرَاهُمْ يَرْفَعُونَ أَكُفَّهُمْ ... إِذَا اجْتَهَدُوا عِنْدَ الدُّعَاءِ إِلَى العُلُو
أَقَرُّوا بِهَذَا الاعْتِقَادِ جِبِلَّةً ... وَدَانُوا بِهِ مَا لَمْ يَصُدُّوا وَيَخْذُلُوا
عَلَى ذَا مَضَى الهَادِي النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ ... وَأَتْبَاعُهُمْ خَيْرُ القُرُونِ وَأَفْضَلُ
فَأَخْلَفَ[2] قَوْمٌ آخَرُونَ فَحَرَّفُوا ... نُصُوصَ كِتَابِ اللّهِ جَهْلاً وَأَوَّلُوا
فَجَاؤُوا بِقَوْلٍ سَيْئٍ سِرُّهُ وَمَا ... بَدَا بِهِ يَزْهُو بِاللَّآلِي[3] مُكَلَّلُ
هُمُ عَطَّلُوا وَصْفَ الإِلَهِ وَأَظْهَرُوا ... بِذَلِكَ تَنْزِيهاً لَهُ وَهُوَ أَكْمَلُ

---

(١) في الأصل: «فلهم»!! وكذا في «قصائد مختارة»!
(٢) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»، وفي الأصل: : «فأخلق»!
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «منه بزهو اللآلي».

وَمَنْ نَزَّهَ البَارِي بِنَفْيِ صِفَاتِهِ فَمَا هُوَ إِلَّا جَاحِدٌ وَمُعَطِّلُ
فَيَا أَيُّهَا النَّافِي لِأَوْصَافِ رَبِّهِ لَقَدْ فَاتَكَ النَّهْجُ الَّذِي هُوَ أَمْثَلُ
تَحِيدُ عَنِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ وَنَصِّهِ وتزورّ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَتَعْدِلُ
وَتَنْفِي صِفَاتِ اللَّهِ بَعْدَ ثُبُوتِهَا بِنَصٍّ مِنَ الوَحْيَيْنِ مَا فِيهِ مُجْمَلُ
إِذَا جَاءَ نَصٌّ مُحْكَمٌ في صِفَاتِهِ جَحَدْتَ لَهُ أَوْ قُلْتَ: هَذَا مُؤَوَّلُ
أَلَا تَقْتَفِي آثَارَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ فَمِنْهَاجُهُمْ أَهْدَى وَأَنْجَى وَأَفْضَلُ
فَمَا مَذْهَبُ الأَخْلَافِ أَعْلَمُ بِالهُدَى مِنَ القَوْمِ لَوْ أَنْصَفْتَ أَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ بَعْضِ مَا أَحْدَثَ الوَرَى وَمَنْ يَبْتَدِعْ في الدِّينِ فَهْوَ مُضَلَّلُ

فصل

في اعتقاد السلف الصالح[1]

وَلَكِنَّنَا وَالحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ عَلَى قَوْلِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ نُعَوِّلُ
نُقِرُّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عِبَادِهِ عَلَى عَرْشِهِ، لَكِنَّمَا الكَيْفُ يُجْهَلُ[2]
وَكُلُّ مَكَانٍ فَهْوَ فِيهِ بِعِلْمِهِ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ الوَرَى لَيْسَ يَغْفَلُ
وَمَا أَثْبَتَ البَارِي تَعَالَى لِنَفْسِهِ مِنَ الوَصْفِ أَوْ أَبْدَاهُ[3] مَنْ هُوَ مُرْسَلُ
فَنُثْبِتُهُ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ كَمَا جَاءَ لَا نَنْفِي وَلَا نَتَأَوَّلُ
هُوَ الوَاحِدُ الحَيُّ العَظِيمُ[4] لَهُ البَقَا مَلِيكٌ، يُوَلِّي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْزِلُ
سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، قَادِرٌ، مُتَكَلِّمٌ عَلِيمٌ مُرِيدٌ، آخِرٌ، وَهْوَ أَوَّلُ
تَنَزَّهَ عَنْ نِدٍّ وَوُلْدٍ، وَوَالِدٍ وَصَاحِبَةٍ، فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَكْمَلُ
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَمَا لَهُ شَبِيهٌ، وَلَا نِدٌّ، بِرَبِّكَ يُعْدَلُ
وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ مِنْ كَلِمَاتِهِ وَمِنْ وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ
فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا وَصْفِ حَادِثٍ فَيَفْنَى[5]، وَلَكِنْ مُحْكَمٌ لَا يُبَدَّلُ

---

(١) بعدها في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ﷺ».
(٢) في «كفاية الإنسان»: «مجهلُ»، وفي «قصائد مختارة» بنون أوله.
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»: «إبداءِ».
(٤) في «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»: «القديمُ».
(٥) في الأصل: «فينفي»، وفي مطبوع «كفاية الإنسان»: «فيفتى»، وكلاهما خطأ: والصواب المثبت، وكذا هي في «قصائد مختارة» (١٠٠).

هُوَ الذِّكْرُ مَتْلُوٌّ بِأَلْسِنَةِ الوَرَى وَفِي الصَّدْرِ مَحْفُوظٌ وفي الصُّحفِ مُسْجَلُ[١]
فَأَلْفَاظُهُ لَيْسَتْ بِمَخْلُوقَةٍ وَلَا مَعَانِيهِ، فَاتْرُكْ قَوْلَ مَنْ هُوَ مُبْطِلُ
وَقَدْ أَسْمَعَ الرَّحْمٰنُ مُوسَى كَلَامَهُ[٢] عَلَى طُورِ سِينَا، وَالإِلَهُ يُفَضِّلُ[٣]
وَلِلطُّورِ مَوْلَانَا تَجَلَّى بِنُورِهِ فَصَارَ لِخَوْفِ اللّٰهِ دَكًّا يُزَلْزَلُ
وَإِنَّ عَلَيْنَا حَافِظِينَ مَلَائِكَا كِراماً بِسُكَّانِ البَسِيطَةِ وُكِّلُوا
فَيُحْصُونَ أَقْوَالَ ابْنِ آدَمَ كُلَّهَا وَأَفْعَالَهُ طرًّا، فَلَا شَيْءَ يُهْمَلُ
وَلَا حَيَّ غَيْرَ اللّٰهِ يَبْقَى وَكُلُّ مَنْ سِوَاهُ لَهُ حَوْضُ المَنِيَّةِ مَنْهَلُ
وَإِنَّ نُفُوسَ العَالَمِينَ بِقَبْضِهَا رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ العَظِيمِ مُوَكَّلُ
وَلَا نَفْسَ تَفْنَى قَبْلَ إِكْمَالِ رِزْقِهَا وَلَكِنْ إِذَا تَمَّ[٤] الكِتَابُ المُؤَجَّلُ
وَسِيَّان مِنْهُمْ مَنْ وُدِي[٥] حَتْفَ أَنْفِهِ وَمَنْ بِالظبا[٦] والسَّمْهَرِيَّةِ يُقْتَلُ
وَإِنَّ سُؤَالَ الفَاتِنَيْنِ مُحَقَّقٌ لِكُلِّ صَرِيعٍ في الثَّرَى حِينَ يُجْعَلُ
يَقُولَانِ مَاذَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ مَا الَّذِي تَدِينُ؟ وَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مُرْسَلُ
فَيَا رَبِّ ثَبِّتْنَا عَلَى الحَقِّ وَاهْدِنَا إِلَيهِ، وَأَنْطِقْنَا بِهِ حِينَ نُسْأَلُ
وَإِنَّ عَذَابَ القَبْرِ حَقٌّ، وَرُوحُ مَنْ ورى[٧] في نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ سَتُجْعَلُ
فَأَرْوَاحُ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ نُعِّمَتْ بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَمَا هُوَ أَفْضَلُ
وَتَسْرَحُ في الجَنَّاتِ تَجْنِي ثِمَارَهَا وَتَشْرَبُ مِنْ تِلْكَ المِيَاهِ، وَتَأْكُلُ
وَلَكِنْ شَهِيدُ الحَرْبِ حَيٌّ مُنَعَّمٌ فَتَنْعِيمُهُ لِلرُّوحِ وَالجِسْمِ يَحْصُلُ
وَأَرْوَاحُ أَصْحَابِ الشَّقَاءِ مُهَانَةٌ مُعَذَّبَةٌ لِلْحَشْرِ وَاللّٰهُ يَعْدِلُ
وَإِنَّ مَعَادَ الرُّوحِ وَالجِسْمِ وَاقِعٌ فَيَنْهَضُ مَنْ قَدْ مَاتَ حَيًّا يُهَرْوِلُ
وَصِيحَ بِكُلِّ العَالَمِينَ فَأُحْضِرُوا وَقِيلَ قِفُوهُمْ لِلْحِسَابِ لِيُسْأَلُوا

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»: «في الصحف يُسجّلُ».
(٢) في الأصل: «وقد أسمع موسى الرحمٰنُ كلامَه..»، وقد أخَّرنا لفظة (موسى) على لفظة (الرحمٰن) لوزن البيت، وهي كذلك في «قصائد مختارة» (١٠١).
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يفصلُ». (٤) في الأصل: «تمت»!
(٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «أودى». (٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «بالظبي».
(٧) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «أودى».

فَـذَلِـكَ يَـوْمٌ لَا تُـحَـدُّ كُـرُوبُـهُ بِـوَصْـفٍ فَـإِنَّ الأَمْـرَ أَدْهَـى وَأَهْـوَلُ
يُحَاسَبُ فِيهِ المَرْءُ عَنْ كُلِّ سَعْيِهِ وَكُـلٌّ يُـجَـازَى بِـالَّـذِي كَـانَ يَـعْـمَـلُ
وَتُـوزَنُ أَعْـمَـالُ الـعِـبَـادِ جَـمِـيـعُـهَـا وَقَـدْ فَـازَ مَـنْ مِـيـزَانُ تَـقْـوَاهُ يَـثْـقُـلُ
وَفِي الحَسَنَاتِ الأَجْرُ يُلْفَى(١) مُضَاعَفاً وَبِـالْـمِـثْـلِ تُـجْـزَى الـسَّـيِّـئَـاتُ وَتُـعْـدَلُ
وَلَا يُدْرِكُ الغُفْرَانَ مَنْ مَاتَ مُشْرِكاً وَأَعْـمَـالُـهُ مَـرْدُودَةٌ لَـيْـسَ تُـقْـبَـلُ
وَيَـغْـفِـرُ غَـيْـرَ الـشِّـرْكِ رَبِّـي لِـمَـنْ يَـشَـا وَحُسْنُ الرَّجَا وَالظَّنُّ بِاللَّهِ(٢) أَجْمَلُ
وَإِنَّ جِـنَـانَ الـخُـلْـدِ تَـبْـقَـى وَمَـنْ بِـهَـا مُقِيماً عَلَى طُولِ المَدَى لَيْسَ يَرْحَلُ
أُعِـدَّتْ لِـمَـنْ يَـخْـشَـى الإِلَـٰهَ وَيَـتَّـقِـي وَمَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ فَهُوَ مُهَلِّلُ(٣)
وَيَـنْـظُـرُ مَـنْ فِـيـهَـا إِلَـى وَجْـهِ رَبِّـهِ بِـذَا نَـطَـقَ الـوَحْـيُ الـمُـبِـيـنُ الـمُـنَـزَّلُ
وَإِنَّ عَـذَابَ الـنَّـارِ حَـقٌّ وَإِنَّـهَـا أُعِـدَّتْ لِأَهْـلِ الـكُـفْـرِ مَـثْـوىً وَمَـنْـزِلُ
يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ عَلَى المَدَى إِذَا نَـضِـجَـتْ تِـلْـكَ الـجُـلُـودُ تُـبَـدَّلُ
وَلَـمْ يَـبْـقَ بِـالإِجْـمَـاعِ فِـيـهَـا مُـوَحِّـدٌ وَلَـوْ كَـانَ ذَا ظُـلْـمٍ يَـصُـولُ وَيَـقْـتُـلُ
وَإِنَّ لِـخَـيْـرِ الأَنْـبِـيَـاءِ شَـفَـاعَـةً لَدَى اللَّهِ فِي فَصْلِ القَضَاءِ فَيَفْصِلُ
وَيَـشْـفَـعُ لِـلْـعَـاصِـيـنَ مِـنْ أَهْـلِ دِيـنِـهِ فَـيُـخْـرِجُـهُـمْ مِـنْ نَـارِهِ، وَهْـيَ تُـشْـعَـلُ
فَـيُـلْـقَـوْنَ فِـي نَـهْـرِ الـحَـيَـاةِ فَـيَـنْـبُـتُـوا كَمَا فِي حَمِيلِ السَّيْلِ يَنْبُتُ سُنْبُلُ
وَإِنَّ لَـهُ حَـوْضـاً هَـنِـيـئـاً شَـرَابُـهُ مِنَ الشَّهْدِ أَحْلَى فَهْوَ أَبْيَضُ سَلْسَلُ
يُـقَـدَّرُ شَـهْـراً فِـي الـمَـسَـافَـةِ عَـرْضُـهُ كَأَيْلَةَ مِنْ صَنْعَا وَفِي الطُّولِ أَطْوَلُ
وَكِـيـزَانُـهُ مِـثْـلُ الـنُّـجُـومِ كَـثِـيـرَةٌ وَوَارِدُهُ حَـقّـاً(٤) أَغَـرُّ مُـحَـجَّـلُ
مِنَ الأُمَّـةِ الـمُـسْـتَـمْـسِـكِـيـنَ بِـدِيـنِـهِ وَعَـنْـهُ يُـنَـحَّـى مُـحْـدِثٌ وَمُـبَـدِّلُ
فَيَا رَبِّ، هَبْ لِي شَرْبَةً مِنْ زُلَالِهِ بِفَضْلِكَ، يَا مَنْ لِمَنْ يَزِلُّ يَتَفَضَّلُ

فصل

في الإيمان بالقضاء والقدر(٥) وما يتعلق بذلك

وَبِـالـقَـدَرِ الإِيـمَـانُ حَـتْـمٌ وَبِـالـقَـضَـا فَمَا عَنْهُمَا لِلْمَرْءِ فِي الدِّينِ مَعْدِلُ

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُلقى».
(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في الله».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مهلهلُ».
(٤) بعده في مطبوع «كفاية الإنسان»: «كل».
(٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في الإيمان والقدر»!

قَضَى رَبُّنَا الأَشْيَاءَ مِنْ قَبْلِ كَوْنِهَا ... وَكُلٌّ لَدَيْهِ فِي الكِتَابِ مُسَجَّلُ
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَكُلُّهُ ... مِنَ اللَّهِ وَالرَّحْمٰنُ مَا شَاءَ يَفْعَلُ
فَبالفَضْلِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنَ الوَرَى ... وَبِالعَدْلِ يُرْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ
وَمَا العَبْدُ مَجْبُوراً وَلَيْسَ مُخَيَّراً ... وَلَكِنْ لَهُ كَسْبٌ وَمَا الأَمْرُ مُشْكِلُ
وَإِنَّ خِتَامَ المُرْسَلِينَ مُحَمَّداً ... إِلَى الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ مُرْسَلُ
بِأَفْضَلِ دِينٍ لِلشَّرَائِعِ نَاسِخٍ ... وَلَا يَعْتَرِيهِ النَّسْخُ مَا دَامَ يُبْدَلُ[١]
فَمَا بَعْدَهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ نَازِلٌ ... عَلَى بَشَرٍ، وَالمُدَّعِي مُتَقَوِّلُ
وَنَعْتَقِدُ[٢] الإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ إِذَا مَا وَافَقَ الشَّرْعَ يُقْبَلُ
وَيَنْقُصُ أَحْيَاناً بِنُقْصَانِ طَاعَةٍ ... وَيَزْدَادُ إِنْ زَادَتْ فَيَنْمُو وَيَكْمُلُ
وَدُونَكَ مِنْ نَظْمِ القَرِيضِ قَصِيدَةً ... وَجِيزَةَ أَلْفَاظٍ جَنَاهَا مُذَلَّلُ
بَدِيعَةَ حُسْنٍ يُشْبِهُ الدُّرَّ نَظْمُهَا ... وَلَكِنَّهُ أَحْلَى وَأَغْلَى وَأَجْمَلُ
عَقِيدَةُ أَهْلِ الحَقِّ وَالسَّلَفِ الألى[٣] ... عَلَيهِمْ لِمَنْ رَامَ النَّجَاةَ المُعَوَّلُ
فَدُونَكَهَا تَحْوِي فَوَائِدَ جَمَّةً ... مِنَ العِلْمِ قَدْ لَا يَحْتَوِيهَا المُطَوَّلُ
فَيَا رَبِّ عَفْواً مِنْكَ عَمَّا اجْتَرَحْتُهُ ... مِنَ الذَّنْبِ عَنْ عِلْمٍ وَمَا كُنْتُ أَجْهَلُ
فَإِنِّي عَلَى نَفْسِي مُسِيءٌ وَمُسْرِفٌ ... وَظَهْرِي بِأَوْزَارِ الخَطِيئَاتِ مُثْقَلُ
فَهَبْ لِي ذنوبي وَاعْفُ عَنْهَا تَفَضُّلاً ... عَلَيَّ فَمِنْ شَأْنِ الكَرِيمِ التَّفَضُّلُ
وَأَحْسَنُ مَا يَزْهُو بِهِ الخَتْمِ حَمْدُ مَنْ ... بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى لَهُ نَتَوَسَّلُ
وَأَزْكَى صَلَاة وَالسَّلَام عَلَى الَّذِي ... بِهِ تَمَّ عَقْدُ الأَنْبِيَاءِ وَكُمِّلُوا
مُحَمَّدٍ المُخْتَارِ مَا هَلَّ[٤] عَارِضٌ ... عَلَى بَلَدٍ قَفْرٍ وَمَا اخْضَرَّ مُمْحِلُ
كَذَا الآل وَالأَصْحَاب مَا قَالَ قَائِلٌ ... نَفَيْتُمْ صِفَاتِ اللَّهِ فَاللَّهُ أَكْمَلُ[٥]

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يذبل».
(٢) بدلها في مطبوع «كفاية الإنسان»: «وإنا نرى».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «الأولى».
(٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ما انهلّ».
(٥) انظر: «كفاية الإنسان» (٢٩٣ ـ ٢٩٩) و«قصائد مختارة في العقيدة» (٩٨ ـ ١٠٤).

القصيدة البائية في الحث على مكارم الأخلاق

للإمام محمد بن إسماعي الصنعاني

أَمَا آنَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مَتَابُ ... وَهَلْ لَكَ مِنْ بَعْدِ البِعَادِ إِيَابُ
تَقَضَّتْ بِكَ الأَعْمَارُ في غَيْرِ طَاعَةٍ ... فَكُلُّ بِنَاءٍ قَدْ بَنَيْتَ خَرَابُ(١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ فِعْلُكَ خَالِصاً ... سِوَى عَمَلٍ تَرْضَاهُ وَهْوَ سَرَابُ
فَلِلْعَمَلِ الإِخْلَاصُ شَرْطٌ إِذَا أَتَى ... وَقَدْ وَافَقَتْهُ سُنَّةٌ وَكِتَابُ
وَقَدْ صِينَ عَنْ كُلِّ ابْتِدَاعٍ وَكَيْفَ ذَا ... وَقَدْ طَبَّقَ الآفَاقَ مِنْهُ عُبَابُ
طَغَى المَاءُ مِنْ مَجرَى ابْتِدَاعٍ عَلَى الوَرَى ... وَلَمْ(٢) يَنْجُ مِنْهُ مَرْكَبٌ وَرِكَابُ
وَطُوفَانُ نُوحٍ كَانَ في الفُلْكِ أَهْلُهُ ... فَنَجَّاهُمُ وَالغَارِقُونَ تَبَابُ
وَأَنَّى(٣) لَنَا فُلْكٌ يُنَجِّي وَلَيْتَهُ ... يَطِيرُ بِنَا عَمَّا نَرَاهُ غُرَابُ
وَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ المَطَارُ وَكُلُّ مَا ... عَلَى ظَهْرِهَا يَأْتِيكَ مِنْهُ عُجَابُ
نُسَائِلُ مَنْ دَارَ الأَرَاضِي سِيَاحَةً ... عَسَى بَلْدَة فِيهَا هُدًى وَصَوَابُ
فَيُخْبِرُ كُلٌّ عَنْ قَبَائِحِ مَا يَرَى(٤) ... وَلَيْسَ لِأَهْلِيهَا يَكُونُ مَتَابُ
لِأَنَّهُمُ عَدُّوا قَبَائِحَ فِعْلِهِمْ ... مَحَاسِنَ يُرْجَى عِنْدَهُنَّ ثَوَابُ
كَقَوْمٍ عُرَاةٍ في ذُرَى مِصْرَ مَا تَرَى ... عَلَى عَوْرَةٍ مِنْهُمْ هُنَاكَ ثِيَابُ
(يَدُورُنَ فِيهَا كَاشِفِينَ لِعَوْرَةٍ ... تَوَاتَرَ هَذَا لَا يُقَالُ كِذَابُ
يَعُدُّونَهُمْ فِي مِصْرِهِمْ فُضَلَاءَهُمْ ... دُعَاؤُهُمُ فِيمَا يَرَوْنَ مُجَابُ
وَفِيهَا وَفِيهَا كُلُّ مَا لَا يَعُدُّهُ ... لِسَانٌ وَلَا يَدْنُو إِلَيهِ خِطَابُ
وَفِي كُلِّ مِصْرٍ مِثْلُ مِصْرَ وَإِنَّمَا ... لِكُلٍّ مُسَمًّى، وَالجَمِيعُ ذِئَابُ
تَرَى الدِّينَ مِثْلَ الشَّاةِ قَدْ وَثَبَتْ لَهَا ... ذِئَابٌ وَمَا عَنْهَا لَهُنَّ ذَهَابُ

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»:
«تقضت بك الأعمار... ... سوى عمل ترضاه وهو سرابُ
إذا لم يكن ... ... فكل بناء قد بنيتَ خرابُ»
(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فلم».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فأنى».
(٤) ي مطبوع «كفاية الإنسان»: «ما أرى».

لَقَدْ مَزَّقَتْهُ بَعْدُ كُلَّ مُمَزَّقٍ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ جُثَّةٌ وَإِهَابُ)[١]
وَلَيْسَ اغْتِرَابُ الدِّينَ إِلَّا كَمَا تَرَى ... فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الاغْتِرَابِ إِيَابُ
فَيَا غُرْبَةً هَلْ نَرْتَجِي[٢] مِنْكِ أَوْبَةً ... فَيُجْبَرَ مِنْ هَذِي العِبَادِ مُصَابُ
فَلَمْ يَبْقَ لِلرَّاجِي سَلَامَةَ دِينِهِ ... سِوَى عُزْلَةٍ فِيهَا الجَلِيسُ كِتَابُ
كِتَابٌ حَوَى كُلَّ العُلُومِ وَكُلَّ مَا ... حَوَاهُ مِنَ العِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ
فَإِنْ رُمْتَ تَارِيخاً رَأَيْتَ عَجَائِباً ... تَرَى آدَماً إِذْ[٣] كَانَ وَهْوَ تُرَابُ
فَتَنْظُرُ[٤] هَابِيلاً قَتِيلَ شَقِيقِهِ ... يُوَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابُ
وَتَنْظُرَ نُوحاً وَهْوَ فِي الفُلْكِ إِذْ طَغَى ... عَلَى الأَرْضِ مَاءٌ لِلسَّحَابِ[٥] عُبَابُ
وَإِنْ شِئْتَ كُلَّ الأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ ... وَمَا قَالَ كُلٌّ مِنْهُمُ وَأَجَابُوا
تَرَى كُلَّ مَنْ[٦] تَهْوَى مِنَ القَوْمِ مُؤْمِناً ... وَأَكْثَرُهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُ وَخَابُوا
وَجَنَّاتُ عَدْنٍ حُورُهَا وَنَعِيمُهَا ... وَنَارٌ بِهَا لِلْمُسْرِفِينَ عَذَابُ
فَتِلْكَ لِأَصْحَابِ التُّقَى ثُمَّ هَذِهِ[٧] ... لِكُلِّ شَقِيٍّ قَدْ حَوَاهُ عِقَابُ
وَإِنْ تُرِدِ الوَعْظَ الَّذِي إِنْ عَقَلْتَهُ ... فَإِنَّ دُمُوعَ العَيْنِ عَنْهُ جَوَابُ
تَجِدْهُ وَمَا تَهْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ ... فَلِلرُّوحِ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابُ
وَإِنْ رُمْتَ إِبْرَازَ الأَدِلَّةِ فِي الَّذِي ... تُرِيدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ تُجَابُ[٨]
تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعٌ ... بِهَا قُطِعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ
وَفِيهِ الدَّوَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَثِقْ بِهِ ... فَوَاللهِ مَا عَنْهُ يَنُوبُ كِتَابُ
وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلذَّكِيِّ حِجَابُ

---

(١) ما بين الهلالين غير موجود في مطبوع «كفاية الإنسان».
(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُرتجى».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مُذ».
(٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ولاقيتَ».
(٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «من ماء السَّحاب».
(٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ما».
(٧) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فتلك لأرباب التقاء وهٰذه».
(٨) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مُجابُ».

وَفِي رُقْيَةِ الصَّحْبِ اللَّدِيغَ قَضِيَّةٌ ... وَقَرَّرَهَا الـمُخْتَارُ حِينَ أَصَابُوا(١)
وَلَكِنَّ سُكَّانَ البَسِيطَةِ أَصْبَحُوا ... كَأَنَّهُمُ عَمَّا حَوَاهُ غِضَابُ
فَلَا يَطْلُبُونَ الحَقَّ مِنْهُ وَإِنَّمَا ... يَقُولُونَ مَنْ يَتْلُوهُ فَهْوَ مُثَابُ
فَإِنْ جَاءَهُمْ فِيهِ الدَّلِيلُ(٢) مُوَافِقاً ... لِمَا كَانَ لِلآبَا(٣) إِلَيْهِ ذَهَابُ
رَضُوهُ وَإِلَّا قِيلَ هَذَا مُؤَوَّلٌ ... وَيُرْكَبُ لِلتَّأْوِيلِ(٤) فِه صِعَابُ
تَرَاهُ أَسِيراً كُلُّ حَبْرٍ يَقُودُهُ ... إِلَى مَذْهَبٍ قَدْ قَرَّرَتْهُ صِحَابُ
أَتُعْرِضُ يَا ذا عَنْ رِيَاضٍ أَرِيضَةً ... وَتَعْتَاضُ جَهْلاً بِالرِّيَاضِ هِضَابُ
يُرِيكَ عَلَى مَرِّ الجَدِيدَيْنِ جِدَّةً ... فَأَلْفَاظُهُ مَهْمَا تَلَوْتَ عِذَابُ
وَآيَاتُهُ فِي كُلِّ حِينٍ طَرِيَّةٌ ... وَتَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرَ وَهْيَ كِعَابُ
فَفِيهِ هُدًى لِلعَالَمِينَ وَرَحْمَةٌ ... وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ
فَكُلُّ كَلَامٍ غَيْرِهِ القِشْرُ لَا سِوَى ... وَذَا كُلُّهُ عِنْدَ اللَّبِيبِ لُبَابُ
دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ غَيْرِهِ وَسِوَى الَّذِي ... أَتَى عَنْ رَسُولِ اللهِ فَهْوَ صَوَابُ
وَعَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ وَاصْبِرُوا ... عَلَيهِ وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الفَمِ نَابُ
تَرَوا(٥) كُلَّ مَا تَرْجُونَ مِنْ كُلِّ مَطْلَبٍ ... إِذَا كَانَ فِيكُمْ هِمَّةٌ وَطِلَابُ
أَطِيلُوا عَلَى السَّبْعِ الطِّوَالِ وُقُوفَكُمْ ... تَدُرُّ عَلَيْكُمْ بِالعُلُومِ سَحَابُ
وَكَمْ(٦) مِنْ أُلُوفٍ(٧) بالمئين فكُنْ بِهَا ... أَلُوفاً تَجِدْ مَا ضَاقَ عَنْهُ حِسَابُ
وَفِي طَيِّ أَثْنَاءِ المَثَانِي نَفَائِسٌ ... يَطِيبُ بِهَا(٨) نَشْرٌ وَيُفْتَحُ بَابُ
وَكَمْ مِنْ فُصُولٍ في المُفَصَّلِ قَدْ حَوَتْ ... أُصُولاً إِلَيْهَا لِلذَّكِيِّ إِيَابُ(٩)
وَمَا كَانَ في عَصْرِ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ ... سِوَاهُ لِهَدْيِ العَالَمِينَ(١٠) كِتَابُ
تَلَا «فُصِّلَتْ» لَمَّا أَتَاهُ مُجَادِلٌ ... فَأَبْلَسَ حَتَّى لَا يَكُونَ جَوَابُ

---

(١) هذا البيت غير موجود في مطبوع «كفاية الإنسان».
(٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «جاءهُمُ الدَّليلُ».
(٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «للآباء».
(٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في التأويل».
(٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «تنالون». (٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فكم».
(٧) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في المئين». (٨) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «لها».
(٩) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مآبُ». (١٠) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «للعالمين».

أَقَـرَّ بِـأَنَّ الـقَـوْلَ فِـيـهِ طَـلَاوَةٌ وَيَـعْـلُـو وَلَا يَـعْـلُـو عَـلَـيْـهِ خِـطَـابُ
وَأَدْبَـرَ عَـنْـهُ هَـائِـمـاً فِـي ضَـلَالَـةٍ يُـرِيـدُ حِـراداً[١] فـي الأَنَـامِ يُـعَـابُ
وَقَالَ وَصِيُّ المُصْطَفَى لَيْسَ عِنْدَنَا سِـــوَاهُ وَإِلَّا مَـــا حَـــوَاهُ قِـــرَابُ
وَإِلَّا الَّـذِي أَعْـطَـاهُ فَـهْـمـاً إِلٰـهُـهُ بِـآيَـاتِـهِ فَـاسْـأَلْ عَـسَـاكَ تُـجَـابُ
فَمَا الفَهْمُ إِلَّا مِنْ عَطَايَاهُ لَا سِوَى بَلِ الخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ مِنْهُ[٢] يُصَابُ
سُلَيْمَانُ قَدْ أَعْطَاهُ فَهْماً فَنَادِهِ يُجِبْكَ سَرِيعاً مَا عَلَيْهِ حِجَابُ
وَسَلْ مِنْهُ تَوْفِيقاً وَلُطْفاً وَرَحْمَةً فَتِلْكَ إِلَى حُسْنِ الخِتَامِ مَآبُ[٣]

قال محمد تقي الدين: ونختم هذه الجيوش الشعرية بقصيدتي التي سميتها **«الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة»**[٤]. وقد صدرتها بالغزل، اقتداء بشعراء العرب، وخصوصاً الصحابة كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما، وهذه هي القصيدة:

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالجَوَى مَالِئ صَدْرِي وَبَـرَّحَ بِـي شَـوْقٌ إِلَـى رَبَّـةِ الـخِـدْرِ
أُقَضِّي نَهَارِي دَائِمَ الفِكْرِ والأَسَى وَلَيْلِيَ تَسْهَادٌ إِلى مَطْلَعِ الفَجْرِ
وَأَكْتُمُ أَسْرَارِي حِذَاراً مِنَ العِدَا ومَهْمَا أَبُحْ فالحُبُّ أَفْقَدَنِي صَبْرِي
تَـذَكَّـرْتُ أَيَّـامَ الـوِصَـالِ فـكَـادَ مِـنْ تَـذَكُّـرِهَـا قَـلْـبِـي يَـطِـيـرُ مِـنَ الـصَّـدْرِ
فَيَا وَيْحَ قَلْبِي مَا يُلَاقِي مِنَ الهَوَى وَمِـنْ فَـرْطِ آلَامِ الـصَّـبَـابَـةِ والـهَـجْـرِ
وعَـــاذِلَـــةٍ جَـــاءَتْ بِـلَـــوْمٍ كَـأَنَّـــهُ نُـعَـابُ غُـرَابٍ لِـلْـفُـؤَادِ غَـدَا يَـبْـرِي
ولَسْتُ بِسَالٍ لَو أَطَلْتِ مَلَامَتِي فَكُفِّي عَنِ الإِسْفَافِ والمَنْطِقِ الهُجْرِ
وكَيْفَ سلوِّي بَعدَمَا شَابَ مَفرِقِي وأَنْفَقْتُ في حُبِّي لَهَا زَهْرَةَ العُمْرِ
أَلَـمْ تَـعْـلَـمِـي أَنَّ الـمـلامَ وَإِنْ غَـدَا عَدِيماً مِنَ الجَدْوَى فَبِالحُبِّ قَدْ يُغْرِي
وَطُـفْـتُ بَـلَادَ اللهِ شَـرْقـاً وَمَـغْـرِبـاً عَلَى قَدَمِي طَوْراً وطَوْراً على مُهْرِ

---

(١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُدبِّرُ ماذا». (٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُضابُ».
(٣) انظر: «كفاية الإنسان» (١٣١ ـ ١٣٣).
(٤) نشر المصنف هذه القصيدة في «مجلة الجامعة الإسلامية» (١٨ شوال/ ١٣٩٢هـ (ص٢٣ ـ ٢٧)، وأوردها بتمامها في كتابه «الدعوة إلى الله» (٢١٤ ـ ٢١٨)، وفي ديوانه المُسمَّى «منحة الكبير المتعالي» (٧٣ ـ ٧٦) ومضى قِسمٌ منها في (٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٨).

وَأَنْضَيتُ بُعْرَاناً وحَلَّقتُ في السَّمَا ... على جَائِبَاتِ الجوِّ كالنَّجْمِ إِذْ يَسْرِي
وطَوْراً علـى فُلْـكٍ عَظِـيم كـأَنَّـهُ ... ثَبِيرٌ يَرُوعُ الحُوتَ في لُجَّةِ البَحْرِ
حَلِيفُ اغْتِرَابٍ في ثَوَاءٍ ورِحْلَةٍ[١] ... وإنْ كُنْتُ[٢] في أَهْلِ كَثِيرٍ ذَوِي وَفْرِ
(وَمَا غُرْبَةُ الإِنْسَانِ من شُقَّةِ النَّوَى ... ولَكِنَّهَا)[٣] في الدِّينِ والخُلْقِ والبِرِّ
إلى اللهِ أَشْكُو غُرْبَةَ الدِّينِ والهُدَى ... وَطُغْيانَ أَهْلِ الكُفْرِ وَالفِسْقِ وَالغَدْرِ
وَأَرْعَنَ غَمْرٍ جَاءَ يُرْعِدُ مُبْرِقاً ... يُحَرِّقَ أَنْيَاباً مِنَ الغَيْظِ وَالكِبْرِ
فَقُلْتُ لَهُ شُؤْشُؤْ لَكَ الوَيْلُ إِنَّمَا ... وَعِيدُكَ تَطْنَانُ الذُّبَابِ عَلَى النَّهْرِ
وَلَيْسَ يَضِيرُ النَّهْرَ صَوْتُ ذُبَابَةٍ ... وَمَهْمَا دَنَتْ تَرْدِي وَتَهْوِي إِلَى القَعْرِ
أَتُوعِدُ سُنَّاتِ الرَّسُولِ بِمَحْوِهَا ... تَعَرَّضْتَ لِلتَّدْمِيرِ وَيْلَكَ وَالثَّبْرِ
وَمَنْ يَقْلِ سُنَّاتِ الرَّسُولِ فَإِنَّهُ ... يُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا وَفِي فِتْنَةِ القَبْرِ
وَيَسْأَلُهُ فِيهِ نَكِيرٌ وَمنْكَرٌ ... وَمَا مِنْ جَوَابٍ عِنْدَهُ غَيْر لَا أَدْرِي
وَذِي سُنَّةُ الجَبَّارِ في كُلِّ مَنْ غَدَا ... يُحَارِبُ دِينَ اللهِ في السِّرِّ وَالجَهْرِ
أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ اللهَ نَاصِرُ دِينِهِ ... وَمُوقِعُ أَهْلِ البَغْيِ في دَارَةِ[٤] الخُسْرِ
وَكَمْ قَدْ سَعَى سَاعٍ لإِطْفَاءِ نُورِهِ ... بِكَيْدٍ فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُ في النَّحْرِ
وتَنْصُرُ إِشْرَاكاً وَفِسْقاً وبِدْعَةً ... ونَاصِرُ هَذِي خَاسِرٌ أَبَدَ الدَّهْرِ
دَعَا المُصْطَفَى قِدْماً عَلَيْهِ بِلَعْنَةٍ ... وَمَنْ يَلْعَنِ المُخْتَارُ فهو إِلَىٰ شَرِ
وَتَلْعَنُهُ الأَمْلَاكُ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةٍ ... كَذَلِكَ أَهْلُ الأَرْضِ في السَّهْلِ وَالوَعْرِ
تُحَدِّدُ لِلْوُعَّاظِ مَا يَدْرُسُونَهُ ... وَأَنْتَ يَمِينَ اللهِ أَجْهَلُ مِنْ حُمْرِ
(لَقَدْ هَزَلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا ... كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ ذِي عُسْرِ)
تَدُسُّ جَوَاسِيساً لِئَاماً بِوَعْظِهِمْ ... لِتَلْفِيقِ أَخْبَارٍ مِنَ المَيْنِ وَالمَكْرِ
لَقَدْ فُقْتَ الاسْتِعْمَارَ في اللُّؤْمِ وَالخَنَا ... وَفِي الكَيْدِ وَالبُهْتَانِ وَالخَتْلِ وَالخَتْرِ

(١) في «ديوانه»: «ثواءٍ ورحلة».
(٢) سقطت من «ديوانه»، وزادها بوخبزة عليه.
(٣) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «ولكنه»!!
(٤) في «ديوان الهلالي»: «درة»، وقد وضع تحتها بوخبزة خطًا لكن دون تعليق أو تصحيح في الهامش، والتصحيح من مجلة «الجامعة الإسلامية»، وهي على الجادة في الأصل.

تُحَارِبُ مَنْ يَدْعُو لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَيَا نَاطِحَ الطَّوْدِ المَتِينِ بِهَامَةٍ ... مُدَوَّرَةٍ جَوْفَا حَذَارِ مِنَ الكَسْرِ
وَلَيْسَ يَحِيقُ المَكْرُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ... وَحَافِرُ بِئْرِ الغَدْرِ يَسْقُطُ فِي البِئْرِ
وَكَمْ حَافِرٍ لَحْداً لِيَدْفِنَ غَيْرَهُ ... عَلَى نَفْسِهِ قَدْ جَرَّ فِي ذَلِكَ الحَفْرِ
وَكَمْ مُشْرِكٍ طَاغٍ تَرَدَّى بِشِرْكِهِ ... وَسَادِنِ قَبْرٍ بَاءَ بِالخِزْيِ وَالخُسْرِ
وَكَمْ رَائِشٍ سَهْماً لِيَصْطَادَ غَيْرَهُ ... أُصِيبَ بِذَاكَ السَّهْمِ فِي ثُغْرَةِ النَّحْرِ
وَهَلْ أَنْتَ يَا مَغْرُورُ إِلَّا مُعَبَّدٌ ... حَقِيرٌ كَفَأْرٍ صَالَ فِي غَيْبَةِ الهِرِّ
وَقُبَّرَةٍ أَضْحَى لَهَا الجَوُّ خَالِياً ... مِنَ النَّسْرِ وَالعُقْبَانِ[1] وَالبَازِ[2] وَالصَّقْرِ
فَلَا تَفْرَحِي[3] يَوْماً سَيَأْتِيكِ صَائِدٌ ... وَيَسْقِيكِ كَأْسَ الحَتْفِ كَالصَّابِ وَالصَّبْرِ
(فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ... وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي) زِدْتَ وِزْراً عَلَى وِزْرِ
(وَإِنَّكَ لَمْ[4] يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ... ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ) كَالسَّاقِطِ القَدْرِ
(فَيَا عَجَباً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي ... كَأَنَّ أَبَاهَا) مِنْ لُؤَيٍّ وَمِنْ فِهْرِ
أَتَغْتَرُّ بِالإِمْهَالِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... عَدِمْتُكَ إِهْمَالٌ وَذَا دَيْدَنُ الغُمْرِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا خَادِمُونَ لِسُنَّةٍ ... أَتَتْ عَنْ نَبِيِّ اللهِ ذِي الفَتْحِ وَالنَّصْرِ
أَخَادِمُ سُنَّاتِ الرَّسُولِ حَيَاتَهُ ... كَخَادِمِهَا مِنْ بَعْدِ مَا صَارَ فِي القَبْرِ
وَمَا غَابَ إِلَّا شَخْصُهُ عَنْ عُيُونِنَا ... وَأَنْوَارُهُ تَبْقَى إِلَى الحَشْرِ وَالنَّشْرِ
فَيَا مُبْغِضِي هَدْيِ النَّبِيِّ أَلَا ابْشِرُوا ... بِخِزْيٍ عَلَى خِزْيٍ وَقَهْرٍ عَلَى قَهْرِ
سَلَكْتُمْ سَبِيلاً قَدْ قَفَاهَا إِمَامُكُمْ ... أَبُو جَهْلٍ المَقْصُومُ فِي مُلْتَقَى بَدْرِ
وَعَاقِبَةُ المَتْبُوعِ حَتْمٌ لِتَابِعٍ ... كَمَا لَزِمَ الإِحْرَاقُ لِلقَابِضِ الجَمْرِ
فَإِنْ أَنْتُمُ كَذَّبْتُمُ بِوَعِيدِهِ ... فَكَمْ كَذَّبَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ أُمَمُ الكُفْرِ
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ سَوْطَ نِقْمَةٍ ... فَصَارُوا أَحَادِيثَ المُقِيمِينَ وَالسَّفْرِ
(فَيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى ... عَلَيْهِمْ) إِلَيْكَ الأَمْرُ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ
فَلَوْا سُنَّةَ المُخْتَارِ يَبْغُونَ مَحْوَهَا ... وَكَادُوا لَهَا فَاجْعَلْ لَهُمْ كَيْدَهُمْ يَفْرِي

---

(١) في «ديوان الهلالي»: «والثعبان».
(٢) في جميع الأصول: «والبازي»!
(٣) في «ديوان الهلالي»: «تفرحن».
(٤) في «ديوان الهلالي»: «وإن أنت لم».

هُمُ اسْتَضْعَفُونَا اليَوْمَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنَا ... قَلِيلٌ وَقَدْ يَعْلُو القَلِيلُ عَلَى الكُثْرِ
وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ للهِ قَائِماً ... وَأَعْدَاؤُهُ لِلْبَغْيِ مِنْ جَهْلِهَا تَجْرِي
وَإِدْرَاكُ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ مُحَقَّقٌ ... لِمَنْ يَقْتَدِي بِالمُصْطَفَى مِنْ ذَوِي الحِجْرِ
وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللهَ مُخْلِفُ وَعْدِه ... وَخَاذِلُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ بِذَا العَصْرِ
فَذَاكَ غَلِيظُ الطَّبْعِ أَرْعَنُ جَاهِلٌ ... عَرِيضُ القَفَا بَيْنَ الوَرَى مُظْلِمُ الفِكْرِ
تَكَفَّلَ بِالنَّصْرِ العَلِيُّ لِحِزْبِهِ ... حَيَاتَهُمُ هَذِي وَفِي مَوْقِفِ الحَشْرِ
فَفِي (غَافِرٍ) قَدْ جَاءَ ذَلِكَ وَاضِحاً ... وَلَكِنَّهُ يَخْفَى عَلَى الفَدْمِ وَالغُمْرِ
سَلَامٌ عَلَى أَنْصَارِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... فَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ فِي كُلِّ مَا دَهْرِ
إِلَيْهِمْ أَجُوبُ البَرَّ وَالبَحْرَ قَاصِداً ... فَرُؤْيَتُهُمْ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنَ الضُّرِّ
هُمُ حَفِظُوا الدِّينَ الحَنِيفَ وَنَاضَلُوا ... عَنِ الحَقِّ بِالبُرْهَانِ وَالبِيضِ وَالسُّمْرِ
هُمُ خَلَفُوا المُخْتَارَ فِي نَشْرِ سُنَّةٍ ... بِفِعْلٍ وَأَقْوالٍ تَلَألَأُ كَالدُّرِّ
هُمُ جَرَّدُوا التَّوْحِيدَ مِنْ كُلِّ نَزْعَةٍ[(١)] ... مِنَ الشِّرْكِ وَالإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَالنُّكْرِ
فَلَا قُبَّةٌ تُبْنَى عَلَى قَبْرِ مَيِّتٍ ... وَلَمْ يَعْبُدُوا مَيْتاً[(٢)] بِذَبْحٍ وَلَا نَذْرِ
وَلَا بِطَوَافٍ أَوْ بِتَقْبِيلِ تُرْبَةٍ ... فَذَلِكَ فِعْلُ المُشْرِكِينَ ذَوِي الكُفْرِ
وَلَا رَحَلُوا يَوْماً لِغَيْرِ ثَلَاثَةٍ ... مَسَاجِدَ خُصَّتْ بِالفَضَائِلِ وَالأَجْرِ
وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... بِغَيرِ إِلَّهِ النَّاسِ ذِي الخَلْقِ وَالأَمْرِ[(٣)]
وَلَمْ يَصِفُوا الرَّحْمَنَ إِلَّا بِمَا أَتَى ... بِنَصِّ كِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الزُّهْرِ
يُقِرُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا ... كَمَا فَعَلَ المُخْتَارُ مَعْ صَحْبِهِ الغُرِّ
فَلَوْ كَانَ فِي التَّأْوِيلِ خَيْرٌ لَبَادَرُوا ... لَهُ فَهُمُ الفُرْسَانُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
(أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا مَا) اجْتَمَعْنَا فِي المَجَالِسِ لِلْفَخْرِ
وَقَدْ أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ قَبْلُ دِينَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْ زَيْدٍ لِزَيْدٍ وَلَا عَمْرِو
بِمَائِدَةٍ قَدْ[(٤)] جَاءَ بِالنَّصِّ خَتْمُهُ ... وَإِتْمَامُ إِنْعَامٍ يَجِلُّ عَنِ الحَصْرِ

---

(١) في «ديوان الهلالي»: «نزغة».
(٢) في «ديوان الهلالي»: «قبراً».
(٣) كذا في «ديوان الهلالي»، وفي الأصل: «والأمري»!.
(٤) في «ديوان الهلالي»: «لقد».

وَكَمْ زَائِدٍ في الدِّينِ أَصْبَحَ نَاقِصاً يُبَدِّلُ دِينَ اللهِ بِالْحَدْسِ وَالحَزْرِ
وَمَنْ ظَنَّ تَقْلِيدَ الأَئِمَّةِ مُنْجِياً فَأَفْتَى بِتَقْلِيدٍ فَيَا لَهُ مِنْ غِرِّ
كَمُنْتَحِلٍ عُذْراً لِيُغْفَرَ ذَنْبُهُ أَضَافَ لَهُ جُرْماً تَجَدَّدَ بِالعُذْرِ
أَلَا إِنَّمَا التَّقْلِيدُ جَهْلٌ وَظُلْمَةٌ وَطَالِبُهُ خُلْوٌ مِنَ العِلْمِ وَالخُبْرِ[١]
كَطَالِبِ وِرْدٍ بَعْدَمَا شَفَهُ الظَّمَا جَرَى خَلْفَ آلٍ لَاحَ فِي مَهْمَهٍ قَفْرِ
فَإِنْ قُمْتَ بِالإِفْتَاءِ أَوْ كُنتَ قَاضِياً فَإِيَّاكَ وَالتَّقْلِيدَ فَهْوَ الَّذِي يَزْرِي
وَجَرِّدْ سُيُوفاً مِنْ بَرَاهِينَ قَدْ سَمَتْ عَنِ الحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ وَالسُّخْفِ وَالهَتْرِ
وَطَرْفَكَ سَرِّحْ فِي الكِتَابِ[٢] فَإِنَّهُ رِيَاضٌ حَوَتْ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الزَّهْرِ
وَمِنْ بَعْدِهِ فَاعْلَقْ بِسُنَّةِ أَحْمَدٍ فَأَنْوَارُهَا[٣] تَسْمُو عَلَى الشَّمْسِ وَالبَدْرِ
وَلَا تَحْكُمَنْ بِالرَّأْيِ إِلَّا ضَرُورَةً كَمَا حَلَّتِ المَيْتَاتُ أَكْلاً لِمُضْطَرِّ
وَمَهْمَا بَدَا أَنَّ القَضَاءَ عَلَى خَطَا أُقِيمَ فَبَادِرْ لِلرُّجُوعِ عَلَى الفَوْرِ
وَمَنْ يَقْضِ بِالتَّقْلِيدِ فَهْوَ عَلَى شَفَا كَعَشْوَا[٤] غَدَتْ فِي كَافِرٍ حَالِكٍ تَسْرِي
وَمَنْ يُفْتِ بِالتَّقْلِيدِ فَهْوَ قَدِ افْتَرَى وَفِي النَّحْلِ نَصٌّ جَاءَ فِي غَايَةِ الزَّجْرِ
لَعَمْرُكَ مَا التَّقْلِيدُ لِلجَهْلِ شَافِياً وَأَمَّا نُصُوصُ الوَحْيِ فَهْيَ الَّتِي تُبْرِي
وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي[٥] عَلَى النَّبِي صَلَاةً تَدُومُ الدَّهْرَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
فَدُونَكَهَا بِكْراً عَرُوباً خَرِيدَةً مُهَفْهَفَةً غَيْدَا عَرُوساً مِنَ الشِّعْرِ
يُضِيءُ ظَلَامَ اللَّيْلِ نُورُ جَمَالِهَا وَلَيْسَ لَهَا[٦] إِلَّا القِرَاءَةُ مِنْ مَهْرِ
قَصَدْتُ بِهَا نَصْراً لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ وَنَاصِرُهَا لَا شَكَّ يَظْفَرُ بِالنَّصْرِ
وَعِدَّتُهَا تِسْعُونَ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ وَأَخْتِمُهَا بِالحَمْدِ للهِ وَالشُّكْرِ

قال محمد تقي الدين: تم بحمد الله وحسن عونه (القسم الثالث) ـ وهو

---

(١) كذا في الأصل: و«ديوانه»، وفي «مجلة الجامعة الإسلامية»: «والخير».
(٢) في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «بالكتاب».
(٣) في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «فأنواره».
(٤) في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «كهشوا»! (٥) في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «إله».
(٦) سقطت من «ديوانه» فقط، وزادها بوخبزة.

الأخير ـ من كتاب «سبيل الرشاد»، وهذه نعمة عظيمة، كنتُ أتمناها على الله تعالى منذ عشرات السنين، وكان الفراغ منه يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلون من شهر محرم الحرام سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة النبي الأكرم.

اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم، وبمحبَّتي واتِّباعي لنبيِّك الكريم، وإن كنت مقصراً أن تعينني على ما بقي، وهو وضع فهرست وافٍ للقسم الثاني، وأن تنفعني به في الدنيا والآخرة، وتنفع به خلقاً كثيراً.

وكان الكاتب لختام هذا الجزء رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح، وجعله من الأئمة الداعين إلى الله على بصيرة، وهداه وهدى على يديه خلقاً كثيراً، وقرأ عليَّ هذا الكتاب وتولى تصحيحه حسب ما أمرته ابني البرُّ خَتَني عبد الغني بوزكري وفقه الله لخدمة الإسلام والمسلمين، وأطال بقاءه، وختم له بالسعادة والغفران، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) فرغت منه قبل صلاة الجمعة من السابع من رجب سنة ١٤٢٦هـ الموافق ١٢ أغسطس من سنة ٢٠٠٥، وعملت على تخريج آياته وأحاديثه من رأس القلم، ووثقت نصوصه وقابلتها على ما فيه حرفاً بحرف، وعلقت على ما رأيته مهماً وضرورياً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
ثم قرأتُه بعد تنضيده، وزدتُّ عليه، وفرغتُ من ذلك في السابع من صفر، وذلك بعد مقابلة بعض إخواني لأصوله على المصفوف، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.
ونظرتُ فيه مرة أخرى، وفرغت منه بعد صلاة ظهر يوم الأربعاء من عشري شعبان سنة ٢٠٠٦هـ، وأرجو الله تعالى أن يجعل ذلك في صحيفة الأعمال، وأن ينفع به في الحياة وبعد الممات، آمين آمين.

الموضوعات والمحتويات

الموضوع	الصفحة
• **نفي التشبيه والتمثيل والتأويل والتعطيل عن صفات الله تعالى**	٥
إرادة الله ومشيئته	٦
ذكر الآيات في ذلك وتفسيرها	٧
الفروق بين الإرادة الكونية القدرية والدينية الشرعية (ت)	١٨
• **إثبات صفة المحبة لله ﷻ**	٢٤
فصل من كلام المؤلف	٢٥
تأويل المازري صفة المحبة والردّ عليه (ت)	٢٦
فصل ثان من كلام المؤلف	٢٧
• **صفة المودة والمحبة**	٢٨
الدولة العادلة تدوم ولو كانت كافرة بخلاف الدولة الظالمة	٣٠
شروط التوبة	٣١
معنى المغفرة	٣٦
أقسام المحبة	٣٧
• **إثبات صفة الرحمة لله تعالى**	٤٠
معنى صفتي الرحمٰن والرحيم	٤٠
فصل من كلام المؤلف	٤٤
فصل ثان من كلام المؤلف	٤٦
أحاديث الرحمة	٥٠
دليل قاطع على ضلال نفاة الرحمة	٥٠
• **صفة الرضا والغضب والكراهية والسخط**	٥٢
فصل من كلام المؤلف	٥٣
• **إثبات صفة الفرح والضحك والعجب**	٥٨
• **صفة الرجل والقدم**	٦١
• **الكلام في الإسلام والإيمان والإحسان**	٦٤
كلام للمؤلف: للشهادتين شروط لا تنفعان إلا بها	٦٧

الموضوع — الصفحة

تقسيم القدرية إلى فرقتين وكفر أولاهما والاختلاف في كفر الثانية ٧٢
العمل داخل في الإيمان عند السلف ٧٣
الأدلة على دخول العمل في الإيمان ٧٣
حال الافتراق والاجتماع في الإسلام والإيمان ٧٥
فصل من كلام المؤلف ٧٧
هل الأعراب المذكورون في الآية منافقون أم عندهم شيء من الإيمان؟ (ت) . ٧٧
الإيمان يزيد وينقص ٧٨
أحاديث في تفسير الإسلام والإيمان ٨٠
• **مباحث في الإيمان** ١٠٠
المبحث الأول: ما هو الإيمان؟ ١٠٠
صلة الأعمال بالإيمان (ت) ١٠٠
المبحث الثاني: في زيادة الإيمان ونقصانه ١٠١
المبحث الثالث: في بيان أن الإيمان لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق ١٠٤
تعقب الألباني على صاحب الطحاوية (ت) ١١٠
رجوع أبي حنيفة إلى موافقة الجمهور في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد .. ١١١
مسألة الاستثناء في الإيمان ١١٢
• **بقية أركان الإيمان** ١١٤
• **الإيمان بالكرام الكاتبين** ١١٩
الإيمان بملك الموت ١٢٠
الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ١٢٠
حديث البراء بن عازب في وفاة الإنسان وما يجري عليه ١٢١
• **الإيمان بالكتب المنزلة** ١٢٤
حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ١٢٤
كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة ١٢٥
لا تحتاج الأمة مع القرآن والنبي إلى شيء ١٢٦
• **الإيمان بالأنبياء والرسل** ١٣١
الفرق بين النبي والرسول ١٣١
أفضل المرسلين أولو العزم ١٣٢
لا ولاية لله إلا بالاتباع ١٣٣
الواجب علينا للرسل، والأشياء التي تجوز عليهم، والأدلة على صدقهم وما أيدهم الله به ١٣٣

الموضوع | الصفحة

فصل من كلام المؤلف ١٣٣
بيان العلماء النكرة في قصة داود (ت) ١٣٤
البحث في المعجزات ١٣٩
الواسطة بين الله وبين خلقه في التبليغ ١٤١
عدد الأنبياء والرسل والكتب المنزلة ١٤٢
عدد الكتب المنزلة غير معلوم ١٤٣
• **الإيمان بالبعث وما بعده** ١٤٤
فصل من كلام المؤلف ١٤٦
قصة وقعت للمؤلف مع نصراني متعصب ١٤٧
رجوع إلى البحث في المعاد ١٤٧
قف على نظرية تحلل الأجسام ١٤٨
جزاء الأعمال ١٤٩
العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب ١٥٢
حديث: «من نوقش الحساب عذب» ١٥٣
فصل من كلام المؤلف ١٥٤
صفة حوض النبي ﷺ ١٥٧
حديث: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ١٥٧
حديث: «أنا فرطكم على الحوض» ١٥٨
المرور على الصراط ١٥٩
أحاديث المرور على الصراط ١٦٠
حديث: «لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة» ١٦٢
حديث: «عَلِّم الناسَ سنتي وإن كرهوا ذلك» ١٦٢
فصل من كلام المؤلف ١٦٣
الإيمان بالميزان ١٦٣
حديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان» ١٦٤
حديث البطاقة ١٦٤
كلام للمؤلف يوضح المعنى ١٦٤
الإيمان بالجنة والنار وفيه مباحث ١٦٥
المبحث الأول: في إثبات أنهما موجودتان ١٦٥
المبحث الثاني: في رد شبهة من احتج بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ١٦٦

الموضوع | الصفحة

المبحث الثالث: في ذكر شيء من الأدلة التي تثبت عقيدة أهل السنة ١٦٨
الاختلاف في فناء النار بين أهل السنة ١٦٩
بيان أن النار لا تفنى أبداً (ت) ١٧٢
الركن السادس الإيمان بالقدر خيره وشره كل ذلك من الله تعالى ١٧٣
حقيقة معنى الاعتقاد بالقدر من كلام الخطابي ١٧٤
فصل من كلام المؤلف ١٧٧
تنزيه الله تعالى عن الظلم ١٧٨
حديث: «إن الله ليملي للظالم» ١٧٩
• **انتفاع الميت بعمل الحي** ١٨٤
الأمور المبتدعة التي لا تنفع الميت ١٩٠
أولها: ما يسمى عند المغاربة بعشاء القبر ١٩٠
ثانيها: قراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات بأجرة أو بغير أجرة ١٩١
بدعة عجيبة أخرى: (الفدية) ١٩٥
• **ما يعتقده المسلم في الخلفاء الراشدين وسائر أصحاب رسول الله أجمعين وخلافة أبي بكر الصديق** ١٩٨
فصل في بيان معنى ما تقدم من الأحاديث ٢٠٠
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٠٢
مقتل عمر بن الخطاب ٢٠٤
خلافة عثمان بن عفان وفضله ٢٠٧
خلافة علي بن أبي طالب ٢٠٨
فضائل الخلفاء الراشدين جملة ٢١٠
ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل ٢١٠
فضل العشرة المبشرين بالجنة ٢١٠
لا يشهد أهل السنة لأحد بالجنة إلا بنص من النبي ﷺ ٢١٧
حديث وفاة عثمان بن مظعون ٢١٨
فصل من كلام المؤلف ٢١٩
ذكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ٢١٩
الفصل الثاني: في فضل المتعلقين بالشيخ أحمد التجاني ٢٢٠
التحذير من اتباع جهلة المتصوفة فيما أحدثوه من البدع ٢٢٢
الرد على الاتحاديين كابن عربي ٢٢٣
• **الإيمان بأشراط الساعة** ٢٢٥

الموضوع | الصفحة

• **فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ** ٢٢٨
فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ بالتفصيل وذكر بعض فضلهن ٢٣٧
خديجة بنت خويلد ٢٣٨
عائشة الصديقة بنت الصديق ٢٣٩
حفصة بنت عمر بن الخطاب ٢٤١
ميمونة بنت الحارث الهلالية ٢٤٢
أم سلمة ٢٤٣
أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ٢٤٥
جويرية بنت الحارث المصطلقية ٢٤٨
سودة بنت زمعة القرشية العامرية ٢٤٩
زينب بنت جحش الأسدية ٢٤٩
صفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية ٢٥٣
ملحق في فضائل صفية ٢٥٧
زينب بنت خزيمة الهلالية ٢٥٧
• **أسماء الله الحسنى** ٢٥٨
فصل في شرح هذه الأسماء المباركة ٢٥٩
حديث: «اللهم أنت الأول» ٢٧٣
حديث: «اربعوا على أنفسكم» ٢٧٨
قصيدة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي في نظم أسماء الله الحسنى ٢٨٠
• **جيوش الشعر** ٢٨٣
نخبة من القصيدة القحطانية في عقيدة أهل السنة ٢٨٣
قصيدة علي بن سليمان ٢٩٢
الشهب المرمية على الجهمية والمعطلة، للشيخ أحمد بن مشرف ٢٩٣
فصل في اعتقاد السلف الصالح ٢٩٥
فصل في الإيمان بالقضاء والقدر وما يتعلق بذلك ٢٩٧
القصيدة البائية في الحث على مكارم الأخلاق للصنعاني ٢٩٩
الكتيبة المظفرة للمؤلف ٣٠٢
ختام الكتاب ٣٠٦
* **الموضوعات والمحتويات** ٣٠٨